

# كتاب المكافأة

وحسن العقبى

ابن الذاية  
احمد بن يوسف الكاتب

حقيقه، وشرحه، واصله

محمود محمد شاكر

دار الكتب العلميه

كِتَابُ الْمَكَافَاةِ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله

[ أبو جعفر ، أحمد بن يوسف بن إبراهيم ، صاحب كتاب المكافأة وحسن العقبي ، لم نجد من ترجمه إلا ياقوت الحموي في معجم الأدباء ج ٢ ص ١٥٧ - ١٦٠ . وهذه الترجمة - على عادة شيوخنا رضوان الله عليهم - ناقصة لم تستوعب شيئاً مما يحقق المترجم معنى الترجمة . وذكر ياقوت في هذه الترجمة أباه : « يوسف بن إبراهيم » ، فذكر بعض خبره ، ثم ذكر أحمد بن يوسف ، وعدّد كتبه ، وذكر تاريخ وفاته ، ولم يذكر مولده . ونقل من هذا الكتاب القصتين المذكورتين برقم ١٣ ورقم ٢٦ ]

\*\*\*

كانت أم « يوسف بن إبراهيم » ظئراً<sup>(١)</sup> لإبراهيم بن المهدي ، أخي هرون الرشيد ، [ ولد إبراهيم بن المهدي سنة ١٦٢ ] ، وكانت مجددة العهد بيت الخلافة . وفي سنة ١٨٠ ولد للرشيد : أبو إسحق محمد بن هرون الرشيد ، وهو المعتصم أمير المؤمنين ، وفي هذه السنة ولدت أم يوسف ، ولدها يوسف ، فأرضعته مع المعتصم . لهذا كان يوسف بن إبراهيم يعرف بابن الداية<sup>(١)</sup> ، لمكان أمه من رعاية إبراهيم بن المهدي وحضاته وإرضاعه ،

---

(١) الداية والظئر واحد : وهي التي ترضع ولد غيرها وتحضنه

وكان يعرف برضيع المعتم (١) ، لمكان رضاعه مع المعتم وهو سليله  
والناشي معه

ونحن نرجح أن يوسف بن إبراهيم نشأ مع أبناء هرون الرشيد حتى  
مات الرشيد سنة ١٩٣ . فتخلق بأخلاق بيت الخلافة حتى قال ياقوت عنه :  
« كانت له مروءة تامة وعصية مشهورة » ، ويعنى بالعصية انتصاره لاهل  
بيت الخلافة وتحقيقه بحبهم وخدمتهم . والذي زاه أنه ولى بالحساب والطب  
والأخبار والكتابة ، فأخذ عن جبرئيل بن بختيشوع طبيب الرشيد ، وعن  
إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت ، وأيوب بن الحكم ، وعن أحمد بن رشيد  
الكاتب ، وصحب إبراهيم بن المهدي فأخذ عنه

ثم لم يزل مع إبراهيم بن المهدي حتى صار حاسبه القائم بأمر ضياعه ،  
وكانه الذي يتولى رسائله وصحبه وأسراره . وقد ذكر ولده أحمد بن يوسف  
« ص ١٣١ » ، أنه ألف كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . ولكن ياقوت الحموي  
خلط في ترجمته ، فذكر أن يوسف ألف كتاباً في أخبار المتطيين ، واقتصر  
على ذلك . وأدخل « كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي » و « كتاب الطبخ »  
في عدة مؤلفات ولده أحمد بن يوسف صاحب المكافأة . وهذا وهم فاسد ،  
فإن نص كلام أحمد بن يوسف في المكافأة « ص ١٣٦ » ، يدل دلالة واضحة  
على أن مؤلف هذين الكتابين هو أبوه : يوسف بن إبراهيم . وإنمارواهما

---

(١) انظر هذا الكتاب ص ١٣٦ ، وأخطأ ياقوت فقال : إنه رضيع إبراهيم بن المهدي

عنه أحمد بن يوسف ، وروى عنه أخبار إبراهيم بن المهدي أيضا: رضوان ابن أحمد جالينوس الصيدلاني ، ورواه عن رضوان أبو الفرج الأصفهاني ، وذكر بعض روايته عنه في كتابه «الأغاني» ،

ومّا تراح إليه النَّفس أن يوسف بن إبراهيم هرب إلى مِصر أو الشام ، في المادة التي استتَرَ فيها إبراهيم بن المهديّ بعد خلافته ومحاربه المأمون ، من سنة ٢٠٣ إلى سنة ٢١٠ ، إذ ظفر به المأمون فأخذه وعفا عنه واستبقا . فلما رجّع إبراهيم إلى بغداد ، وعاش بها في أمان المأمون - رجّع يوسف - وبقي معه إلى أن مات سنة ٢٢٤

وتزوَّج يوسف بن إبراهيم ببغداد من بنت ميمونة مولاة حمدونة أم محمد بنت الرشيد<sup>(١)</sup> ، وهذه الزوجة ليست أم «أحمد بن يوسف» بغير شك . وقد ذكر أحمد بن يوسف في المكافأة «ص ٥٦» ، أخا له لم يسمّه ، فلا ندري أهو شقيقه ، أم أخوه أكبر منه من بنت ميمونة هذه ؟

وقد رَوَى يوسف بن إبراهيم<sup>(٢)</sup> أنّه نزلَ دمشق سنة ٢٢٥ على عيسى بن حكم الدمشقي الطيب ، فظاهرُ هذا أنّه فارق بغداد بعد وفاة إبراهيم بن المهدي ، ولكنّه رجّع إليها وبقي بها إلى ما بعد سنة ٢٢٧ ، وهي السنة التي مات فيها المعتصم . ويدل على ذلك خبرٌ رواه أبو الفرج الأصفهانيّ في أغانيه<sup>(٣)</sup> ، يستبين منه أن

(١) ذكر ذلك في المكافأة ص ١١٧ - ١٢٨

(٢) عيون الأنباء: ج ١ ص ١٢١

(٣) ع ١٤ ص ١٠٦ - ١٠٧

يوسف بن إبراهيم كان يبعث إلى وفاة المعتصم

فأرجح إذن أنه رحل من بغداد إلى مصر بعد ذلك ، فقد مات مولاه إبراهيم ، ومات رضيعه المعتصم ، واضطربت الدولة اضطراباً شديداً . وكان هو قد اعتقد من المال ما يسوغه النعمة في رغد العيش ، فنزل مصر ، وعمل في تقبُّل الضياع ، وحسن حاله وظاهره ، كما روى ذلك لولده «ص ١٢٦» . .  
ويدلّ ما رواه أحمد بن يوسف في المكافأة «ص ١٣٦» على أن يوسف بن إبراهيم كان من كتاب مصر إلى سنة ٢٥٠ ، فإن حساب ضياعه كان في الدستورات القديمة التي طلبها أبو العباس بن بسطام ليعتبر منها عبر الضياع ، فلما جاء ابن طولون عزله عن ذلك لما يعرف من أسبابه بالحضرة العباسية

ولم يزل يوسف بن إبراهيم بمصر إلى أن جاء أحمد بن طولون إليها سنة ٢٥٤ . فلما استقر أحمد بن طولون بها جعل يحكم أمر دولته ، ويأخذ بأفواه الطرق على كل من له سبب إلى الحضرة العباسية <sup>(١)</sup> . فمن ذلك ما جرى بينه وبين ابن مدير ، ثم ما كان من حنسه يوسف بن إبراهيم في داره - وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه - [ كما قال مؤلف المكافأة «ص ٢٨» ] ثم أطلقه بعد ذلك

وقد ذكر ياقوت أن يوسف بن إبراهيم كانت له عصية مشهورة ، وهي عصيته لبيت الخلافة ، فلما توفى بعث أحمد بن طولون خدمه فهجموا الدار ،

---

(١) انظر المكافأة ص ٨١

« وطالبوا بكتبه : مقدرين أن يجدوا فيها كتاباً من بيغداد »<sup>(١)</sup>، يعنى الخليفة  
 فبين أن وفاة يوسف بن إبراهيم كانت ما بين سنة ٢٥٥ وسنة ٢٦٠ ، وهو  
 العهد الذى استقل فيه أحمد بن طولون بمصر واشتد فيه فى ضبط المملكة لنفسه  
 وولده . وأولى الأقوال بالصواب أن تكون وفاته فى سنة ٢٦٠ أو بعدها بقليل ؛  
 فقد روى صاحب المكافأة « ص ٢٩ » ، أن جماعة من مستورى مصر كانوا فى  
 مجلس أحمد بن طولون حين قبض على يوسف ، وجاء فى كلامهم أنهم قالوا : « لنا  
 ثلاثون سنة ما فكرنا فى ابتياع شىء مما احتجنا إليه ، ولا وقفنا بباب غيره »  
 يعنون « يوسف بن إبراهيم » . فإذا صح أنه قد دخل مصر بعد وفاة المعتصم سنة  
 ٢٢٧ فلا شك أن القبض عليه كان حوالى سنة ٢٥٨ ، وتكون وفاته بعد ذلك  
 بعام أو عامين على الأرجح

\*\*\*

والراجح أيضاً عندنا أن يوسف بن إبراهيم تزوج بعد أن دخل مصر سنة  
 ٢٣٠ ، وأن أحمد بن يوسف يوم وفاة والده كان كبيراً مدركاً لا يقل عمره عن  
 العشرين « انظر المكافأة ص ٥٦ » ، فولده إذن فيما بين سنة ٢٣٥ وسنة ٢٤٥ ،  
 وأقرب ذلك عندى أن يكون مولده فى سنة ٢٤٠ أو نحوها ، وعلى ذلك  
 فأحمد بن يوسف نحو مائة سنة تزيد أو تقل قليلاً [ مات أحمد سنة ٣٤٠ ]  
 فأحمد بن يوسف إذن مصرى المولد مصرى المنشأ مصرى المرَبى ،

(١) المكافأة ص ٥٦

تدلُّ على ذلك روايته في كتابه هذا ، فإنه لم يرو عن غيره من المصريين ،  
ولم يحدث إلا عن أخبارهم ، أما أخباره الأخرى عن بغداد فهي مما رواه  
عن أبيه يوسف

وقد نشأ أحمد في كنف أبيه ، فأخذ عنه ولعه بالكتابة والحساب  
والهيئة ، فقد قال ياقوت أنه « أحد وجوه الكتاب الفصحاء ، والحساب  
والمنجمين : مجسطى أو قليدسى ، حسن المجالسة ، حسن الشعر ، قد خرج من  
شعره أجزاء »

وقد ذكر هو من شعره في كتابه « ص ٢٢ » وفي « ٥٢ » ، وزعم أنه كتب  
لأبي الفياض سوار بن أبي شراة الشاعر جزءاً منه ، فدخل به بغداد ، وعرضه  
على جماعة الأحرار ، واشتهر أمره ، حتى كان من ذلك ما قصه هناك من سؤال  
محمد بن سليمان عنه حين دخل مصر

والظاهر أن أحمد بن يوسف لم يلب شيئاً من أمر الكتابة في مصر في عهد  
أحمد بن طولون ، لما كان يظن بأبيه من مآلة الحضرة العباسية ، فانصرف إلى  
ضياعه وضياع أبيه يقوم في أمرها . وكانت ضياعهم هذه في جهة أهناش والبهنسا  
والمُسطط في صعيد مصر كما ذكر في « ص ٢١ ، ٢٧ » ، وعمل كعمل أبيه في تقبل  
الضياع ، وفرغ للتأليف والكتابة

فألف كتاب المكافأة ، وكتاب حسن العقبى [ هذا المطبوع ] ، ثم كتب  
سيرة أحمد بن طولون ، وكتاب سيرة ابنه أبي الجيش خارويه بن أحمد بن



طولون ، وسيرة هارون بن أبي الجيش ، وأخبار غلمان بني طولون ، وكتاب مختصر المنطق ألفه للوزير علي بن عيسى ، وكتاب الثرة ، وكتاب أخبار المنجمين . وقد ذكر ياقوت في عداد كتبه : كتاب أخبار الأطباء ، وكتاب الطيخ ، وكتاب أخبار إبراهيم بن المهدي . وهذه الثلاثة هي كتب أبيه بغير شك كما مضى ، وأنا أرجح أن كتاب أخبار المنجمين هو من عمل أبيه أيضاً ، ورواه هو عنه وزاد عليه

\*\*\*

رأيت قبل أن يوسف بن إبراهيم وولده ، كانوا على عهد أحمد بن طولون مظنة النعمة في مراسلة الحضرة العباسية ، ولذلك أخذوا أخذاً شديداً ، وأخيفوا وراعهم ما يلقى أنصار الخلافة العباسية من بطش ابن طولون . واستمروا على ذلك فيما زجج إلى وفاة ابن طولون في سنة ٢٧٠

وتولى مضر بعده أولاده : خمارويه بن أحمد بن طولون إلى سنة ٢٨٢ ، ثم جيش بن خمارويه إلى سنة ٢٨٣ ، ثم هارون بن خمارويه إلى سنة ٢٩٢ ، ثم شيبان بن أحمد بن طولون وفي عهده انقضت دولة بني طولون . والظاهر أن أحمد بن يوسف كان مجاملاً لهؤلاء الولاة ، فلم يلق منهم كيداً بعد الذي لقيه هو وأبوه في عهد أحمد بن طولون ، ولذلك عد من أعوان الدولة الطولونية ، وكذلك توهم هو نفسه

فقد ذكر في « ص ٥٥ » قال : « لما دخل محمد بن سليمان بصر ، نزل في

ظاهرها ، واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية ، فاستصنى ماله بالسوط وعظيم الإخافة ، فراغنى أمره ، وخفت أن يلحقنى عسفه ، فلولا ما كان من اشتاله على المداهنة لولاة الطولونية لما خاف هذا الخوف ، ولما استتر وتخفى من أصحاب دميانة البحرى <sup>(١)</sup> الذى وكله محمد بن سليمان باستباحة مضر ، فنهبا أصحابه وأخذوا الأموال ، واستباحوا الأعراض ، [قال صاحب النجوم الزاهرة] : « ثم تعدوا إلى أرباب الدولة وأخرجوهم من دورم وسكنوها كرها ، وهرب غالب أهل مصر منها ، وفدلوا فى المصريين مالا يفعلونه فى الكفرة ، وأقاموا على ذلك أياما كثيرة مصرين على هذه الأفعال القبيحة »

كان ذلك فى سنة ٢٩٢ ، ولكن أحمد بن يوسف يقص علينا فى « ص ٥٠ - ٥٢ » كيف انتهى أمره مع محمد بن سليمان ، وكيف أجاره وحفظه ورعاه ، وكان أفضل عون له فى أموره « ص ٥٢ » ، وأنه ملحقه شئ يكرهه حتى انصرف عن البلد « ص ٥١ »

وكان محمد بن سليمان هذا كاتباً ، وكان لا يسمى باسمه ولا بكنيته ، وما كان يدعى إلا بالأستاذ ، وقد كان أعظم ماعطفه على أحمد بن يوسف مارواه من شعره فاستحسنه ، حتى قال له : « والله لقد اشتقت الدخول إلى مضر من أجلك ! » « ص ٥٢ » . هذا ، على ما يروى من أن حكمه فى أهل مصر كان

(١) انظر المكافاة صفحة « ٢٤ و ٢٥ »

بضرب أعناقهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وتمزيق ظهورهم بالسياط ، وصلبهم على جذوع النَّخل ، ونحو ذلك من أصناف النكال . وحتى إنه شرد رجال الدولة الطولونية ، ولم يبق بمصر منهم أحد يذكر ، وخلت الديار وعفت الآثار ، وزالت الدولة الطولونية على يديه ، وكانت إقامته بمصر أربعة أشهر إلى مستهل رجب سنة ٢٩٢

وعاش أحمد بن يوسف بعد انقضاء الدولة الطولونية في ظلّ الولاة على ترتيبهم إلى ولاية الإخشيد ، ثم أنوجور بن الإخشيد ، ومات في السنة السادسة من ولايته سنة ٣٤٠ . ولسنا نعرف على التحقيق شيئاً عن حياته في ظلّ هذه الدول ، ونستثنى صلته بالوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح الكاتب البغدادي . فإنه ألف له كتاب مختصر المنطق ، كما مضى ذكره . وكان على بن عيسى قدم من مكة إلى مصر ليكشفها في سنة ٣١٣ وبقى بها ثلاثة أشهر ، ثم خرج عنها إلى الرملة ، وعاد إلى بغداد . ولم نجد في كتابه هذا [المكافأة] ، ما يدلُّ على شيء من حياته وتصرفه في أعماله في حكم الولاة من سنة ٢٩٢ إلى سنة ٣٤٠ ، ولعلّه أقام واستقرّ وانقطع في بعض ضياعه ، وكان دخوله الفسطاط قليلاً



كان عصر الدولة الطولونية في مصر من أحسن عصورها في ذلك التاريخ ، ولذلك أفرده أحمد بن يوسف بالتأليف كما ذكرنا قبل . وهذه الكتب التي كتبها في سيرة الدولة الطولونية ، هي التي خلدت ذكره ، ووسّمته بالكتابة ،

وجعلت قوله مشهوراً في تاريخ هذا العصر

وليس بين يدي الآن شيء مما كتبه في سيرة ابن طولون، وقد بقي منها جزءٌ، فأراني غير مستطيع أن أكتب عن حقيقة أسلوب الرجل في التاريخ والرواية وتحرير القول . ولكن كتاب المكافأة أغنى بعض الغناء في البيان عن شيء من ذلك

فقد ساق أحمد بن يوسف كتابه هذا على مدرجة من القول في المكافأة على الحسن والقيبح، وحسن العقبي في الصبر والتشدد ونبي الجزع عن النفس، وهو في أكثره يروي الخبرَ عن حدثه به أو يصوغ في عبارته حكاية ما لقيه أو شاهده أو استخرجه

وهو في بيانه قليل التكلف، قريب اللفظ، بعيد عن الغموض . وسهل له ذلك أنه بفطرته محدثٌ بارع، أو كما قال ياقوت: «حسن المجالسة» . فكانت سياقة كلامه في كتابته أشبه بالحديث منها بالكتابة . وهو إذا عرض لغرض أبان عنه بوضوح وترتيبٍ وتسويقٍ، ثم هو في خلال ذلك جزلُ الرأي، مُحكم الفكرة، قريبُ القور

وسببُ ذلك أن أحمد بن يوسف كان صاحب منطق، وحساب وهندسة، كما رأيت، ومن طبيعة التحقق بدراسة هذه العلوم أن تجعل الرأي جزالة وإحكاماً ليست لغيره من عدم النظر فيها والتفكير بها . وقد صدق الشافعي رضي الله عنه إذ يقول:

« من تعلم القرآن عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه تبّل مقداره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رّقّ طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه ، ومن لم يرض نفسه لم ينفعه علمه » . ولم يخل أحمد بن يوسف من أكثر ذلك

وقد اعتمد أحمد بن يوسف فيما يقصه أن يتبع رأى الجاحظ في رواية بعض القول على وجهه كما يجرى في الحديث ، غير مستنكر أن يكون فيه اللحن والخطأ في اللغة ، مادلاً ذلك على حكاية لفظٍ يختل حاله إذا أزيل عن الوجه الذى نطق به

ومع ذلك ، ومع ما عرف عنه من حُسن المجالسة ، فإنه كان ركيناً ثابتاً قليل الحظ من الفكاكة والسخرية والعبث ، فقد جرى في كتابه بعض ما لو أزيل قليلاً عن وجهه لكان غايةً في استدعاء الضحك واستخراج الهزأة ، ولكنه كان يعدل عن ذلك لقلة حظّه من اللهو ، وكأن ذلك كان الأدب الذى أدبه به أبوه من آيين<sup>(١)</sup> بيوت الخلفاء ، ثم ما لقي من الأحداث الكثيرة المفزعة التى كانت تنفي عنه أفراحه ونشاطه للهو ، ثم لما لعله كان فيه من الحرص الذى هو شيمة أصحاب التقبل بالضياع والأموال وما شاكلها ، وما لازمه مع ذلك من الخوف من أول حياته ، كما رأيت من خبره يوم وفاة أبيه وما تبع ذلك ، ثم طبيعة النفس وانصرافها إلى الفكر في علم الحساب والنظر في الهيئة

---

(١) الآيين : هو قريب مما نسميه الآن « الإنيكيت » ،

وقد استعمل أحمد بن يوسف في كتابه هذا كثيراً من الألفاظ المصرية التي لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا ، وعرض بعض العادات القديمة التي لا تزال تنحدر إلينا من ذلك العصر ، ولكنه كان قليل الخفيل بالبيان عنها وكشفها ووصفها واستيعاب القول فيها . وذلك لأنه كان يرمى إلى غرض بعينه ، فلم يسر في قصصه سيرة الجاحظ في الاستطراء والتوسع ، وتشقيق المعاني العارضة في وجوه كثيرة . وكان ما تعود من الضبط في الحساب ، هو الذي حمّله على الضبط في الحديث ، ولو فَعَلَ لكان في كتابه بعض التاريخ الاجتماعي الضائع للمصور العربية الزاهرة التي لا نعرف إلا بعض رسمها وأشتاتها من صفاتها

\*\*\*

وبعد ، فهذا غاية ما أعانَ عليه الوقتُ ، وهو ما هو ، من ترجمة « أحمد بن يوسف » ، فإن تسكن في العمر بقيةً ، نأت في ترجمته بما يعين الله عليه ، مع التحرير والضبط والتفصيل بعد الإجمال . وبالله التوفيقُ ، ومنا العجز والتقصير .

محمد مجيد شكر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا أبو محمد عبد الله الفرغانيُّ، قراءةً مني عليه ، قال :  
أخبرنا أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتبُ ، قراءةً مني عليه ، قال :

سَدَّ اللَّهُ فِكْرَكَ ، وَأَحْسَنَ أَمْرَكَ ، وَكَفَّكَ مُهِمَّكَ  
إِنَّ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَمَتِّحِينَ مِنْ مِحْنَتِهِ ، عُدُوْلُهُ فِي سَعْيِهِ عَنْ مَصْلَحَتِهِ ،  
وَتَسَكُّبُهُ الصَّوَابَ فِي بُغْيَتِهِ . وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ مِنَ الْجَدْوَى مَا تَى  
تُسْتَنْزَلُ بِهِ عَوَائِدُهَا ، وَيَقْرَبُ مَعَهَا مَا اسْتَصْعَبَ مِنْهَا ، يَسْتَشِيرُهُ  
حُسْنَ الرَّوِيَّةِ ، [ وَيَهْدِي إِلَيْهِ ] صَالِحُ التَّوْفِيقِ

وقدر أيتك لا تزيد من رَغِبْتَ إليه - فيما تحذوه على برك ،  
وتحذوه لما أغفل من أمرك - على نصِّ مكارم من سلف<sup>(١)</sup> . وترى  
أنَّه يَهْشُ إِلَى مُسَاجِلَتِهِمْ ، فَلَا تَبْلُغُ فِي هَذَا أَكْثَرَ مِنْ إِحْرَازِ الْفَضِيلَةِ  
لِلرَّغْوِبِ إِلَيْهِ ، وَلَا تُوجِدُ فِي الرَّاغِبِ فَضِيلَةً تَحْثُهُ عَلَى شَفِيعِ  
قَصْدِهِ<sup>(٢)</sup> . ولو عدلتَ عن مكارم من رُغِبَ إليه ، إِلَى حُسْنِ مُكَافَأَةِ  
مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، لَكَانَتْ لَكَ ذِرَاعُ يَمْتُ<sup>(٣)</sup> بِهَا الرَّاغِبُ ، تُوجِدُ

(١) نص الشيء ، بنصه : رفعه وأظهره

(٢) شفيح قصده : هو المكافأة والشكر

(٣) امت إليه ، يمت : توسل إليه

المرغوب إليه سبيلاً إلى الإنعام ، وتَفَسَّحَ أَمَلَهُ فِي مُوَاطَرَةِ  
الإحسان<sup>(١)</sup>

ولم يُؤْتَ الجودُ من أُنَى هو أغمض من مُغادرةِ حَسَنِ  
المكافأة . ولو أنعمتَ النَّظَرَ فيها : لَوَجَدْتَهَا أَقْوَى الاسبابِ في  
نَمْعِ الفاصد ، وحبيرةِ الطالب . ولو كانت تُوجَد مع كُلِّ فعلٍ  
أَسْتَحَقَّهَا ، لَأَثَرَ النَّاسُ قاصِدِيهِم على أَنفُسِهِم ، وَلَجَرُوا على السَّنَنِ  
المأثورةِ عنهم

[وقد كتبتُ لك] في هذه الرسالة أخباراً - في المكافأة على  
الحسن والقيح ، تُنعمُ<sup>(٢)</sup> الخاطرَ ، وتقرَّبُ بُغْيَةَ الراغب -  
عما سمعناه من تقدُّمنا ، وشاهدناه بعصْرنا ، وبالله التوفيق



---

(١) الموازنة : المتابعة

(٢) في الاصل : « نعم »



## ١ - المكافأة على الحسن

١ - حدثني أبو محمد يحيى بن الفضل ، عن عبد العزيز بن خالد ، خالد القسري وديوانياته  
الأموي ، عن أبيه خالد ، قال : أخبرني محارب بن سَلَمَةَ  
كاتبُ خالدِ القسري :

« أن دِيوانِيانَ خالدٍ <sup>(١)</sup> أخرج من ديوانه وثيقةً على بعض المتضمّنين <sup>(٢)</sup> فدفعها إليه يبرّ تَعَجَّلَه منه . فدعا به خالدٌ وأمر بقطع يده بين يديه ، فقال له : « آسْتَبِقِي ، أصلاحَ اللهُ الأميرِ ! » ، فقال : « وما يكونُ منْ مثلكِ ؟ » ، فقال له : « إن لم يُقدِّرْ في الزمانِ رِفْعَتِي إلى منزلتك ، فلا تأمُنْه على حَطِّكَ إلى مَنْزِلَتِي ، فيكونُ مِنِّي ما تَحْمَدُهُ ! » ، فقال خالد : « أَطْلِقُوهُ فِيقِهِ عَظِيمٌ ! »

فلم يمضِ حَوْلٌ حتى وردَ العراقَ يوسفُ بنُ عُمرَ متولياً لعمَلِهِ فحبسه في حُجْرَةٍ من ديوانه ، ووَكَّلَ بِيابِ الحُجْرَةِ جماعةً . فتدسَّسَ الدِّيوانِيانُ حتى دَخَلَ في جُمْلَتِهِمْ ، وتلطَّفَ للجماعة حتى رَأَسَهَا بِالخِبرَةِ وحُسْنِ المداخلة . وتحرَّم <sup>(٣)</sup> خالدٌ طعامَ يوسفَ بنِ عمرٍ - خوفاً من أن يكون مسموماً - فطَوَى <sup>(٤)</sup>

(١) الديوانيان : صاحب الديوان وحافظه

(٢) المتضمن : الكفيل الذي يتحمل بأموال الضياع وخراجها وأدائها

ليت المال

(٣) تحرّم الطعام : أمسك عنه فلم يقربه

(٤) طوى : تعمد أن لا يأكل ولا يشرب

وتأمل من ذلك الديوانيان ، فجعل في مندِيلٍ نظيف ما يكفُّ  
جوعته من طعامٍ قد تأنَّق فيه ، ودخل إليه كالمستجسِّس عن حاله ،  
فقال له : « أنا الديوانيانُ الذي تَهَوَّت عنه ، وهذا طعامٌ تأمَّنُ فيه  
ما تخافُه من غِرَّةٍ <sup>(١)</sup> . فأقام أياماً يأتيه من طرائف الأَطعمةِ  
والفواكه ما ينسى به وحشته ، ويكفُّ فاقته ، ثم دخل إليه فقال :  
« ليس هذا الذي أفعله مقداراً ما يقتضيه إحسانك إليَّ ؛ وقد  
استأجرت الدارَ التي في هذه الحجرة <sup>(٢)</sup> ، وأحضرتُ قوماً أتقُّ بهم  
من حُذاق النقاين ، حتى نَقَبْتُ سَرَباً إلى موضعك <sup>(٣)</sup> ، ولم يبق إلا  
أن تركضَ بعض بلاط هذا المجلس ركضةً فتُقْضَى إلى السَّرَبِ . <sup>(٤)</sup>  
وقد أعددتُ في الدارِ نَجيبين <sup>(٥)</sup> أحدهما لك والآخر لي ،

فلما صَلَّى الداوانيانُ العصرَ أغلقَ البابَ ، ومضى إلى الموضع  
المسكُرى <sup>(٦)</sup> ، وركضَ خالدُ الموضعَ وخرج من السَّرَبِ ، وركبا  
نَجيبهما وحثَّتا المسيرَ . فما فُطِنَ بخالدٍ إلا في غدٍ ذلك اليوم ، فطلبته  
الخيْلُ والنُجُب <sup>(٧)</sup> فقَاتَها . ولم يزل يُوضَعُ <sup>(٧)</sup> في البلاد حتى لحق

(١) الغرّة . الخديعة ، وفي الاصل : « في غرة ،

(٢) الحجرة : الناحية

(٣) السرب : الطريق الخفي ، السرداب

(٤) ركض الشيء برجله : ضربه

(٥) النجيب : الخفيف السريع من الإبل ، والجمع نجب

(٦) اكترى الموضع : استأجره

(٧) أوضع في الأرض : أسرع

مَسْئَلَةٌ بن عبد الملك ، فَشَفَعَ له إلى هشام ورَدَّهُ إلى عمله

\*\*\*

ابن مرزوق  
ومتضمن

٢ - وحدثني هارون بن ثؤل ، قال :

« كنت عند أحمد بن خالد الصريني - وهو يتولَّى الخراج بمصر ،  
ووجوهها عنده ، وقد أكبَّ على حاصل ما استخرج في أمسه ، وهو  
يقابل به ثبَّت المصادرة <sup>(١)</sup> - ، فقال لصاحب حمَّالته <sup>(٢)</sup> : « ما أرى  
أسم فلان المتضمن في هذا الحاصل ، وقد صادَرْنَا بالأمس على  
خمس مائة دينار ؟ ، فقال : « ما صحَّ له شيء ! » فقال : « أبعثْ إليه من  
يسحبُه صاغراً حتى يَحْمِلَه على خُطَّة المطالبة <sup>(٣)</sup> ، ، فقال له رجل من  
المتضمنين يُعرف بما شاء الله بن مرزوق : « الخسُ المائة - أيِّدك  
الله - تصحُّ لهذا الرجل في هذه العشيَّة إن شاء الله ، إن أعفى بما قد  
أمرت به فيه ، ، فقال : « هي عليك ؟ ، ، فقال : « نعم ! ، ، فتقدَّم إلى <sup>(٤)</sup>  
صاحب الحماله ألا يعرض له . فالتفت إلى ما شاء الله فقال :  
« تعرف هذا الرجل ؟ ، ، فقلت : « نعم ! ومن العجب ألا تعرِّفه ! ، ،

(١) الثبت : الفهرس أو الدقتر ( أو ما نسميه الآن الكشف )

صدرت فلانا من حسابي على كذا ، وفارقت ، إذا قطعت الأمر بينك  
وبينه على أمر وقع عليه اتفاقكما

(٢) صاحب الحماله : من أعمال بيت المال ، وكأنها وظيفة القائم

بحساب المتضمنين

(٣) هذه العبارة كثيرة الورد في كتب هذا العصر ، ويراد بها

التعذيب للمطالبة ، على طريقهم في ذلك

(٤) تقدَّم إلى فلان بكذا : أمره به

فقال : « يا أخى أمر فى رجل يجرى تجرانا فى معاشنا بما لم أطق  
والله احتماله ، وعندى ضعف ما طولب به ، وكانت صيانتُه أحب  
إلى مما حويته . فإذا لقيته فعرفه أتى أورد المال عنه لئلا يورد  
المال مُضعفاً ،

وأنصرفتُ من مجلس أحمد بن خالد ، فلقيتُ الرجلَ فى  
طريق ، وهو مجذود<sup>(١)</sup> ، فسألته عن خبره وأخبرته الخبر ، فقال :  
« يا أخى ! وما فى هذا من الفرج ؟ إنما انتقلتُ من غمِّ إلى رِقِّ !  
ومتى أتضى إلى هذا الرجل إحسانه إلى ؟ والله لو دِدتُ أن أمرَ  
السلطان نَفَذَ نى ، ولم أتحمَل هذه العارفة منه<sup>(٢)</sup> . »

قال أحمد بن يوسف ، فقال لى هارون : « وحضرتُ [موتَ]  
ما شاء الله بن مرزوق بعد هذا بأربع سنين - فى الوقت الذى توفى -  
فأنفق أن كان إلى جانبي رجلٌ قد ألقى بعض رِدائه على وجهه ، وهو  
يعجج بالبكاء والشهيق<sup>(٣)</sup> ، ثم كَشَف وجهه فكان الرجل الذى  
أورد ما شاء الله عنه الخمس مائة الدينار . فقال : « من الوصى من  
جماعتكم ، فقال له الوصى : « ها أنا ذا ! ، فقال : « عندى لهذا الرجل  
رحمه الله ألفاً دينارٍ وخمُس مائة دينار ، فقلت له : « حدثت بينكما  
معاملة بعدى ؟ ، فقال : « لا والله ، ولكنها الخمس مائة الدينار ،  
صرتُ بها إليه عند تيسرها فقال : « وما [أبغى بها] ؟ تكون عندك

(١) يريد أنه صاحب حظ وجد

(٢) العارفة : المعروف

(٣) عجّ يعج : رفع صوته بالبكاء أو الدعاء

إلى أوانٍ حاجتي إليها . فسألته [الإذن] في شئها . فقال : « هو مالك ، اعمل به ما شئت ، فلم تزل تنمي وتزيد حتى بلغت هذا المقدار . فقال هارون : « ووجدت ما خلفه ماشاء الله لبنات كُنَّ معه شيئاً نزرأ ، فخبَرهنَّ الله بذلك المال ،

• • •

ابن دعيم  
وأعرابي

٣ - وحدثني أحمد بن دُعَيْم - وكان من خاصة قُواد أحمد بن طولون - بعد أن ترك الديوان ، وحسُنَ انقطاعه إلى الله ، قال : « قلدني أحمد بن طولون الصَّعيدَ الأوسط . وخرج عليه سوارٌ أبو عبد الرحمن العُمري<sup>(١)</sup> ، فكتب إلى يستخبرني عن حاله ، فأعلمته ضعف يده ، وانتشار أمره لِقَلَّةِ المال . وقبضتُ على رئيس من الأعراب اتهمته بمكاتبته وأنهيت خبره إليه . فكتب إلى أحمد بن طولون : يا مُرُني بحمَل الأعرابي ، [وجمع] ما قدرتُ عليه من النُجُب ، والشُّخوص إليه ؛ ليقف من مُشافهتي على ما لا تبلغه المكاتبه . فامتثلتُ أمره

فاسيرتُ مَرَحَلَةً حتى لحق بي وجوهُ بُحَّارِ العَمَل ، ومعهم شبابُ أعرابي ، وقالوا لي : « جئناك في أمر هذا الأعرابي المحمول ، فإنَّ معنا من يَبْدُل في إطلاقه خمسَ مائة دينار ، ؛ فقلت لهم : « قد أنهيتُ أمره إلى الأمير ، ؛ فقال الأعرابي الذي معهم : « فَخُذْ

---

(١) في الاصل : « القرني ، وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحميد ، من ولد عمر بن الخطاب

الخمسة مائة على أن تجعلني مكانه ، ؛ قلت : « أفعل ، » . فأحضرت  
الاعرابي ؛ وكان من عشيرتي ؛ فقالت له : « والله لقد كنت مغموماً  
بك حتى سرتني خلاصك ! ، ؛ قال : « بماذا تخلصت ؟ » ؛ قلت : « بَدَل لي  
رجلٌ خمس مائة دينارٍ على أن يكون بمكانك وأطلقك ! ،

فقال : « ومن هذا الرجل ؟ » ؛ فأحضرتُه إياه . فلما رآه قال :  
« أمض لشأنك ، » ثم التفت إلي فقال : « يحسنُ بشيخٍ مثلي أن يتَّربح  
في المعروف ؟ هذا رجلٌ لقيته وقد أكتب عليه خيلٌ لتسلبه ثيابه  
وما كان معه ، ففرَّ قُتُّها عنه حتى تخلص ، فرأيتُ أن يُخلصني بحصوله في  
موضعٍ لا يخرج منه أخرى الليلي ، و [ هو ] غرَّم ثقيل على مثله .  
والله هذا مما لا أقبله ولا أركنُ إليه ، ؛ قلت له : « أنصرف في حفظ  
الله فقد رضى الرجل ، » فقال : « والله إن أمضيت هذا لألحقك ،  
ولا أخبرنَّ الأمير بصليحك ، » فتوقفتُ ، وبكى الاعرابي فقال : « إذا  
كان تحبُّس الأمير على ما تصف ، وليس ترجو خلاصاً منه ؛ فما أعمل  
في عارِفتك عندي ؟ وأنا أنشدك الله لما قبلت مني ما بذلته وأعظم  
منه ؛ وأزلت هذه العارقة عن عُنتي ؛ فإن عاراً ونقيصة على الكريم  
أن يموتَ وعليه دَبْن من ديون المعروف ، ؛ فقال له : « إذا رأيت  
رجلاً أحاطتُ به خيلٌ تُربغ سلبه <sup>(١)</sup> فذدتها عنه ؛ فقد كافات عارقي ؛  
أنصرف مصاحباً <sup>(٢)</sup> . فعرض عليه مامعه من المال ؛ فقال : « ما بي إليه .

(١) تربغ : تريد وتحتال

(٢) مصاحباً : تصحبك السلامة

حاجة١، فأكبَّ على رأسه ورجليه يقبلها ويبيكي؛ فأبكي جماعتنا فلما دخلتُ على أحمد بن طولون شافهته من خبر العُمريِّ بما سره؛ وعَرَضت عليه النُجْب؛ فقال: « حسنة والله »؛ فقلت: « معي أيها الأميرُ ما هو أحسنُ من هذا »، وحدثته الحديثَ. فأحضر الأعرابيَّ وتخلَّع عليه وأثبتته في ديوانه، وأمرني بإنفاذِ رسولي معه في الأعرابيِّ الآخر، فلما وافى خلع عليه وأثبتته. فلم يزالا في خاصته إلى وفاته

\*\*\*

أبو مصلح  
ومحبوس

٤- وحدثني موسى بن مصلح المعروف بأبي مصلح - وكان هذا

من الثقات عند أحمد بن طولون -

أنَّ أحمد كان بُراعي أمر المحبوس حتى يمضي له حولٌ<sup>(١)</sup>، فإذا جازه لم يذكره. وكان يقولُ لي سِرًّا: « إذا تبيئت من رجلٍ براءة ساحة فسَهِّلْ عليه واستأْمِرْني<sup>(٢)</sup>؛ فإني أستعملُ التَّشَدُّدَ للضرورة إليه، قال موسى بن مصلح: « وكان في الحبس رجل قد زادَ على سنتين منقطعاً إلى الله برغبته؛ لا يسأُنا شيئاً من أمره؛ وهو يُكبِّ على الصلاة والتَّسْبِيح والتَضَرُّع إلى الله

فقلتُ له يوماً: « النَّاسُ يضطربون في أمورهم؛ ويسألونني إطلاقَ الرُّقعة<sup>(٣)</sup> إلى ذَوِي عِنَايَاتِهِمْ؛ وأنتَ خارجٌ عن جُمَّلتهم؟ »، فجَزَانِي

(١) الحول: السنة

(٢) استأمره: شاوره

(٣) إطلاق الرقعة: يعني إرسال الرسائل

خيراً<sup>(١)</sup>. ورَقَّ قلبي عليه وكُبر في نفسي محله، فخلوتُ به وقلت له: «لو استجزتُ إطلاقك بغير إذنٍ لفعلتُ؛ وإن كنتِ استعين بي في أمرك». فقال: «والله ما أعرف في هذا البلد غيرَ أبي طالب الخليج - وكان هذا الرجلُ يتولى شُرطتي أحمد بن طولون بمصر - ولو وصلتُ إليه يراً؛ أو برسالة مع من<sup>(٢)</sup> يفهم؛ لرجوتُ تسهيلَ أمري، فقلت له: «والله لا تبتين في أمرك ما أخطر به على نفسي. أنا أطلقك سرّاً على أن تؤثقتي بأيمانٍ مُحرجة أنك لا تهربُ عني ولا تُخفِرنِي،<sup>(٣)</sup> فقال: «إذا كنتُ عندك بمنزلة من يشكُ فيه؛ فلا حاجة لي بإخراجك إياي». فوافقته - من غير يمينٍ آرتهنتُ بها - على أن يقيمَ ثلاثة أيام، فأطلقته ليلة الجمعة، وفارقته على أن يصيرَ إلى ليلة الاثنين

فلماً كان سَحَرُ يوم السبت، وافأني كما فتحت<sup>(٤)</sup> باب السجن، فلماً دَخَلَ سَجَدَ وَحَمِدَ الله، وقال لي: «بعثتُ إلى أبي طالب الخليج امرأةً من أهلنا وطَوَّيْتُ عنه إطلاقي، وسألته أن يُلطف في أمري فوعَدَ بذلك، وخلفَ المرأةَ حتى ترجعَ إلى بالجواب. وركب إلى

---

(١) جزاء خيراً: قال له، «جزاك الله خيراً».

(٢) في الاصل: «من».

(٣) أخفر ذمته: نقضها

(٤) كما فتحت: يريد (حين فتحت) وقد ورد هذا الحرف في كثير

من كتب هذا العصر؛ وانظر هذا في آخر القصة (٦٨)



الأمير عَشِيَّةَ الْجُمُعَةِ ، فأقام إلى قريب من العَتَمَةِ ، ثم آنصرفتُ  
إلى المرأة فقالت : « واتي أبو طالب الأمير وهو مغمومٌ ، فقال لي :  
« كَلِمَتُهُ فِيهِ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْكَرْتُ نِجْرًا يَحْتَاجُ إِلَى عُقُوبَةٍ ! » ،  
ثم تقدم إلى رجلٍ أن يصيرَ بك إليه عند جلوسه في يوم السبت ،  
ووجهه إلى أن أرجع إلى الله عز وجل في أمرك ، فليتني لم أتكلم  
فيك ! » . فَسِحِرْتُ (١) - مع ما تيقنته في أمرى - خوفًا أن يأتيك  
رسوله فلا يجدني ، فيلحقك مكروهٌ منه . ورأيتُ كُلَّ ما بُوعِدني  
به أسهلُ عليَّ من أن أخفِرَ ظَنكَ بي ، وتقديرِكَ في ،

فما ترَجَّلَ النهارُ (٢) حتى واتي الرجلُ فقلسه مني . وحضرتُ  
الدار - وقد أحضره أحمد بن طولون ، ومجلسه بين الخاص والعام -  
فلما رآه بكته بالإجلاب عليه في الثغر (٣) . فاعتذر بعذرٍ قبيله ،  
ولقيه بالرافة ، بضدِّ ما خفته عليه ، وأطلقه . فكان من آثارِ إخواني  
عندي (٤) إلى أن فرقت الأيام بيني وبينه »



ابن أسباط  
والخناق

٥ - وحدثني عمي إسحاق بن إبراهيم ، قال :

- 
- (١) سحر : بكر في السحر  
(٢) ترجل النهار : ارتفع ، كما يرتفع الرجل عن الصبا  
(٣) أجلب عليه : أعان عليه عدوه ، والثغر : موضع المخافة من  
أطراف البلاد  
(٤) من آثرهم : أي من أحبهم وأفرهم

« انتظرتُ أبا عبد الله الواسطى - كاتبَ أحمد بن طولون -  
في داره ، حتى رَجَعَ من عند أحمد بن طولون . فأوصلَ إليه بعضُ  
الحُجَّابِ ثَبَّتَ من وقفٍ بالباب ، فرأى فيه إسماعيلَ بنَ أسباط  
فسأل عنه . فقيل له : « وقف بالباب طويلاً وأنصرفتُ » . فقال :  
« إن هذا الرجلَ ممنَ عَمَرَ هذه المنزلةَ مدَّةً طويلةً ، ولست أشكُ أن  
يَجِيئه حاجةٌ له ، ومن الجليلِ أن أركبَ إليه فأقتضيه حوائجه ، وأبُغِ  
فيها مَحَبَّتَه » . ثم ركبَ وسيرتُ معه ، حتى دخلنا دارَ إسماعيلِ  
ابن أسباط - وهي التي ملكها الشيرُ بعده - ، فرأينا داراً عاريةً من  
الستورِ والفرش ، وتأمنا منَ فيهما من الحشم على حالٍ سيئةٍ . فاستقبله  
إسماعيلُ بالشكر والدعاء له ، فقال له الواسطى : « إنه لا فرقَ بينك  
الساعةَ عندي في المرتبةِ التي كنتَ فيها . ومن جَمَّالنا فيما أفضى إلينا  
أن نُحسِنَ فيه خِلافةً من تقدَّمنا ، وأن نراهم كالآباءِ المستحقِّين  
البرَّ من أولادِهِم » . وسأله عن حاجته ، فقال : « أخبرك بها بعد  
أن أحدثك بشيءٍ يدلُّ على أن المعروفَ ينفَعُ عند مستحقِّه من  
غيرِ المستوجبين له » .

« كانت لي - أيدك الله - دارٌ خيلٍ نحو المنظر <sup>(١)</sup> ، وكنتُ  
أركبُ إليها في غداةِ الليلة التي أعاقِرُ فيها إخواني . فركبتُ إليها  
يوماً فالفيتُ في الصحراءِ جمعاً من العامة ، وقد ضاقت بهم ، ومعهم  
عاملُ المعونة . واستقبلتني امرأةٌ قد هتكت سترها ، وكشفت

(١) المنظر : يريد الصحراء

شعرها، فقالت: «ياسيدي أخي، ووإحدى، وكإفلي، يُعرض على القتل الساعة!». فعدلتُ إلى صاحب المعونة وسألتُه عن حالِ الناس، فقال: «اجتمعنا لضربِ خنَاقِ بالسوط»، فقلت له بحضرة الناس: «ماحقُّ هذا إلا الإحراقُ بالنار، وأنا أكتب فيه إلى السلطان»، فأعلنَ الجميع بالدُّعاء لي، وانصرفوا. فسألتُه البِعثَةَ بالخنَاقِ إلى، فوعدني بذلك في المساء. فلما صليتُ عِشاءَ الآخرة أنفَذَ إلىَّ منه شابًا مُكفَهَرًا الوجه لا تخفى قسوتهُ، فقلت له: «أما تستحي من الله وتخافه في طُعْمَتِكَ؟<sup>(١)</sup>»، فقال: «ياسيدي! أنا أشهد الله أني لا أعادُ هذا الفعلَ أبدًا»، فأوصيتهُ بخير، وأصفتُ إليه من أخرجه عن البلد في حالِ سترٍ،

«وأقنا بعد ذلك سنين، وتقاصرتُ أمورنا وتغيرت أحوالنا بتقليدِ إسحاق بن تميمٍ علينا. فلما بلحنا<sup>(٢)</sup> بما نطالب به، أشخصني وأخى أحمدًا إلى الحضرة، فطالبنا الوزيرُ بما لفقهُ ابنُ تميمٍ علينا، فشكونا إليه شدةَ اختلالنا<sup>(٣)</sup>، فقال: «فلان! فوافاه رجلٌ بمنزلةِ أثيرة<sup>(٤)</sup> عنده: غليظ الطبع، كريبه الوجه، تأمل الشرِّ في سجاياه، فقال: «استخرج من هذين مائة ألفِ دينارٍ اليوم».

---

(١) الطعمة: طريقة كسب الرزق، يقال: «فلان طيب الطعمة أو خبيثها».

(٢) بلح الغريم: أفلس

(٣) الاختلال: الحاجة والفقر

(٤) أثيرة: مكينة مقربة

فانزَعَنَا من بين يديه بفظاظَةٍ أَيْقَنَتْنا بِالهِلْكَه . ثم صارَ بنا إلى حُجْرَةٍ له في دار الوزير ، فسألنا عن بلدنا ونسبتنا ، فلما سمع « أسباط ، سَكَنَ قَوْرُهُ وَرَقَّ قَلْبُهُ ، وقال : « من تَكُونُونَ من إسماعيل ؟ ، فقلت : « أنا إسماعيل ! » فسكى وأنكَبَ على رأسي ورجلي ، وقال لي : « يَا سَيِّدِي ! أتعرفني ؟ » ، قلت : « لا » ، قال : « أنا الخنّاق الذي أطلّقتني بمصر ! ووالله ما خنّقتُ أحداً بحمدِ الله بعد إطلاقي ، ولكنَّ شراسةَ طَبِيعِي عدَلتْ بي عن الزَّهَادَةِ إلى مادون الخنق ، وهو استخراجي للوزير الأموال بالتعذيب ، وقد وَجَدَ عندي فيه ما لم يَجِدْهُ عند غيري » . ثم طَعَنَ<sup>(١)</sup> في تلك الحجرة فأخرجَ إلى صندوقاً يحمله غلامان ، فقال : « في هذا من المالِ والحلي ما نَكَتْفي به ، فقوموا بنا حتى نهربَ لئلا يقَعَ بكم بأس » . فأعلمته أَنَا تخاف في الهرب تتبّع الولدِ والأهل . فرجع إلى الوزير يسكى بين يديه ويحدثه مَحَلِّناً - كانَ - وما أولئناهُ ، فعجِبَ الوزيرُ من رِقَّتِهِ علينا ، لما وَآفَ عليه من فظاظته ، وكان - شَهِدَ اللهُ - أقوى .

الأسباب في دَفْعِ المطالبة عَمَّا

« ثم سأل أبا عبد الله الواسطي - بعد هذا الحديث - حوائجَ وَقَعَ بها في مجلسه ، ووَكَّلَ بها مُتَنَجِّزًا من خاصته ، ولم تزل الأُطافه<sup>(٢)</sup> تعتاده إلى أن تُوفِّيَ ،

(١) طعن في الحجرة : أدخل ومعن د

(٢) المتعجل : المتعجل . الأُطاف : جمع لطف ، وهي التحفة والهدية

٦ - وحدثني يوسف بن إبراهيم والدي ، قال : حدثني إبراهيم  
ابن المهدي عن إسحاق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس ، عن  
أبيه :

أنه كان مع أبي عبد الله محمد بن علي - أبي الخُلُفاء - برُصافة  
هشام بعد وفاة أبي محمد علي بن عبد الله ، وأنه أقام ثلاثة أشهر  
برُصافة هشام لا يأذن له هشام عليه ، إلى أن باغَ أبا عبد الله لإجماع  
مَسَلَمَةَ القُدومِ على هشام ، فتلقاه على أميالٍ من الرُصافة ، وشكى إليه  
جَفْوَةَ هشامٍ وتأخيرَه الإذن عليه . فقال له مسلة : « أرجو أن  
يزولَ هذا بقُدومي » ، وأمره أن يُقيم بباب هشام إذا دخل عليه  
مسلةُ ، ولا يَريمُ ما أقام مسلةُ عنده <sup>(١)</sup> ؛ فأقام أبو عبد الله إلى  
وقت زوالِ الشمس

قال عيسى بن علي : فخرج مسنةُ إليه ، فقال له : « قَوْضَ رَحْلَكَ  
أبا عبد الله ! فمالكَ عند الرجل من خَيْرِ ! لا تني خاطبتَه في أمرِك -  
بعد ما نَقَضَى سلامي عليه - : » محمد بن علي بن عبد الله على شاكِكِهِ  
رَحِمَهُ برسولِ الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، يقيم ثلاثة أشهرٍ  
ببابك فلا يؤذن له عليك ؟ » . فقال : « ألهُ عنه أبا سعيد » ،  
فأمسكت حتى حَضَرَ الطعامُ ، فأعدته أتى لا أستجيزُ الأكل وإنه  
قائمٌ على الباب ! فغضب غضباً زاد به حَوْلُهُ <sup>(٢)</sup> ، وقال : « يسمي

(١) لا يريم . لا يبرح مكانه

(٢) كان هشام بن عبد الملك أحول

أَبْنَيْهِ عَبْدِ اللَّهِ وَعَبْدَ اللَّهِ ، وَيَرْجُو هَذَا أَنْ يَلِيَا الْخِلَافَةَ ، ثُمَّ يَطْمَعُ فِي خَيْرٍ مِنِّي ، وَاللَّهُ لَوْلَا مَاتَسُهُ رَحِمَهُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لَقَطَعْتُ مِنْ وَسْطِهِ شَيْبًا (١) ،

ثُمَّ عَانَقَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَقَالَ : « رُسُولِي إِلَيْكَ صَائِرٌ » . فَرَجَعَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَوَّضَهُ ، وَبَقِيَ فِي حَيْرَةٍ لِعَجْزِهِ عَمَّا يُنْهَضُهُ . وَوَأَفَاهُ رَسُولُ مُسَلِمَةَ يَقُولُ : « لَمْ أَقْدَرُ فِي سَفَرِي هَذَا طَوْلَ اللَّبَنِ ، وَأَشْهَدُ اللَّهُ أَنِّي مَا حَمَلْتُ مَعِيَ إِلَّا أَلْفًا وَثَلَاثِمِائَةَ دِينَارٍ ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْكَ بِالْأَلْفِ ، وَخَلَّفْتُ الثَّلَاثِمِائَةَ لِنَفْقَتِي ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ : لُحِثَتْ بِهَذَا الْحَدِيثِ الرَّشِيدُ فِي حَدِيثِهِ الْمَوْصِلِ فَبَكَى ، وَقَالَ : « وَصَلَتْ أَبَا سَعِيدٍ رَحِمَهُ ، وَاللَّهُ لَا دَخَلَ الرِّقَّةَ حَتَّى أَقْضَى عَارِفَتَهُ عِنْدَنَا ، فَلَمَّا وَافَقْنَا حَصَنَ مُسَلِمَةَ ، أَحْصَى مَنْ فِيهِ مِنْ وَلَدِهِ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ فَوَجَدَهُمْ أَرْبَعِينَ ، فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ،

\*\*\*

٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ وَبَيْدٍ ، قَالَ :

« وَدَعَتِ إِسْحَاقُ بْنُ نَصِيرِ الْعِبَادِيِّ فِي بَعْضِ خَرَاجَاتِي إِلَى بَغْدَادَ ، فَأَخْرَجَ إِلَيَّ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ وَقَالَ : « إِذَا دَخَلْتَ بَغْدَادَ ، فَادْفَعْ أَلْفَ دِينَارٍ إِلَى ثَعْلَبٍ ، وَأَلْفَ دِينَارٍ إِلَى الْمُبَرِّدِ ، وَصِرْ إِلَى قَصْرِ وَضَّاحٍ فَانظُرْ إِلَى أَوَّلِ دُكَّانٍ لِلرُّوَّاقِينَ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَهَا - إِنْ كَانَ حَيًّا لَمْ يَمُتْ - قَدْ شَاخَ ، فَاجْلِسْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ : « إِسْحَاقُ بْنُ

ابن نصير  
والوزاق

نُصيرُ يقرأُ عليك السَّلامُ : وهو الغلامُ الذي كان يقصِدُكُ كُلَّ عَشِيَّةٍ - راجلا من دارِ الرُّومِيِّينَ - بدرَّاعَةٍ<sup>(١)</sup> وعِمَامَةٍ ونعلٍ رقيقَةٍ ، فيستعيرُ منك الكتابَ بعد الكتابِ ، فإذا آتَضِيتهُ كِرَاءً ما تَسَخَّ منه<sup>(٢)</sup> قال : « أَصيرُ عليَّ إلى الصُّنْعِ<sup>(٣)</sup> ، فإذا استقرَّتْ مَعْرِفَتِي في نَفْسِهِ دَفَعْتَهُ إِلَيْهِ هَذِهِ الأَلفُ الدِّيَنارُ وقلتُ له : « هَذِهِ تَمْرَةٌ حَصْبُكَ عَلَيَّ ،

قال لي أحمدُ بنُ وليدٍ : فَلَمَّا دَخَلْتُ بَغدَادَ - ودَفَعْتُ الأَنيُّ دِينَارَ إلى ثعلبٍ والمبردِ - ، مَضَيْتُ إلى قَصْرِ وِضَّاحٍ ، فَأَلْفَيْتُ الدَّكَانَ الَّتِي وَصَفَ لِي قَفْرًا لَيْسَ فِيهِ كِتَابٌ ، وَرَأَيْتُ فِيهَا الشَّيْخَ الَّذِي وَصَفَهُ لِي فِي حَالِ رَفَةٍ وَثِيَابٍ خَلَقَةٍ<sup>(٤)</sup> ، وَقَدْ أَفْضَى بِهِ الأَمْرُ إلى التَّوْرِيْقِ لِلنَّاسِ<sup>(٥)</sup> . فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ وَسَأَلْتُهُ عَن حَالِهِ ، فَقَالَ : « يَا أَخِي ! مَا ظَنُّكَ بِحَالِ : مَا تَتَمَلَّطُهُ فِي أَحْسَنُ مَا فِيهَا ؟ ، ثُمَّ خَرَجْنَا إلى المَسْأَلَةِ إلى أَشْيَاءَ كَانَتْ فِيهَا خَيْرٌ إِسْحاقَ بنِ نُصَيْرٍ ، فَقَالَ : « قَدْ كَانَ يَجِيئُنِي مِن دَارِ الرُّومِيِّينَ غلامٌ - وَوَصَفُهُ - فَأَسْمَحُ لَهُ بِالأُتْسُخَةِ بَعْدَ الأُتْسُخَةِ - يَقَالُ لَهُ : « إِسْحاقُ ، وَكَانَ يَعِدُّنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ يَأْخُذُهُ إلى الصُّنْعِ ، وَأُخْبِرْتُ أَنَّهُ وَقَعَ بِنِوَاحِي مِصْرَ وَمَا حَصَلَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ ؟ ! ، فَأَخْرَجْتُ الأَلفَ

(١) الدرَّاعَةُ : جِبَّةٌ مَشْفُوقَةٌ المَقْدَمِ

(٢) الكِرَاءُ : أَجْرُ المِستَأْجِرِ

(٣) الصُّنْعُ : يَرِيدُ صَنَعَ اللهُ وَلَطْفَهُ

(٤) خَلَقَةٌ : بِالِيَةِ

(٥) التَّوْرِيْقُ : نَسْخُ الكِتَابِ - عَلَيِ الوَرَقِ - وَتَجْلِيدُهَا . وَهُوَ الوَرَقُ

الدينار وقلتُ له ، يقول لك : « هذه ثمرة صمبرك ، ، فكاد والله يموتُ فرحاً . فقلت له : « ايستُ دراهم وهي دنانير ! ، . وانصرفت عنه وهو أحسنُ من في سوقه حالاً .

قال لي أحمد بن وليد : واجتزت بعد ذلك فرأيت دُكانه معمورة . . وهو متصدرٌ فيها على أحسنِ حالٍ وأوفاهَا ،

\*\*\*

٨ - وكان بنحو دارِ العنقودِ شيخٌ يذخسُ<sup>(١)</sup> في الدوابِّ - يُعرفُ بابن الزنق - قد لحقَ بمصرَ أكابرها ، ورأيتُه في أيام أحمد ابن طولون قد علّت سنه ، وضعف عن التصرف . وكان له ابنُ أخت - خفيفُ الروح ، مقبولُ الصورةِ ، حُلُوُ الألفاظِ ، يذخسُ في الدوابِّ - نخف على قلب القاسم بن سُعبَةَ . وكان سُعبَةَ من أكابر أصحابِ أحمد بن طولون ، ومات في طاعته ، فردّ إلى القاسمِ ابنه . إحدى الشرطتين بمصر . فانصرف ابنُ أخت ابن الزنق من عند القاسم وقد خلع عليه دُرَاعَةٌ خَزَّ من تحتها جِبَةٌ مَلْحَمٌ ،<sup>(٢)</sup> فنظر إليها خاله ابن الزنق ، فقال : « ما هذه الخلعة الرائعة ؟ » ، فقال : « خلعتها على القائد . ! » ، يريد القاسم بن سُعبَةَ . فقال : « يا بُنَيَّ ! إن كنتَ تصبر على التمدُّلِ معه في محنِهِ ، كما تمدّلتُ في نِعَمِهِ ، وإلا فاعتزله . ولا تفضّحنا بالقعود عنه في نوائبه ، » ، فقال : « أرجو أن يصوته الله

ابن الزنق  
والقاسم بن  
سُعبَةَ

(١) الذخاس : بائع الدواب . وبتنخس فيها : يتجر

(٢) الملحَم : ضرب من الثياب تختلف لحنه عن لحمه غيره في نوعها



وما أنعمَ عليه به، من نائبةٍ تَلْمَحُه ، أو مكروهٍ يقع به ، ، فقال : « وأنا أرجو هذا أيضاً له ، ولكن ينبغي أن لا تُلْسَى نصيبه منك في الشدة ، كما عني بك في النعمة ،

واتصل بأحمد بن طولون عن القاسم بن شعبة شيء أنكره ، فحبسه ووكّل بداره جماعةً ، وأختفى النخّاس في دارِ خاله . فسأله بعد يومين عن سبب مُلازِمته المنزل ، فقال : « وَجَدْتُ عِلَّةً » ، إلى أن اتصل الخبرُ بالشيخ ، فدخِل إلى ابن أُخْتِهِ فقال : « قَبَحَكَ اللهُ ! سرقت معروف هذا القائد ، وخاليتهُ يُقَارِع شَجْوَه بِمُخَنَّتِهِ ؟ ١٩ . وأسرج حماراً له وركبه ، وجيرانه يناشدونه اللهُ ألا يَفْعَل ، فقال : والله القتلُ أحسنُ مما أتى به هذا الوغدُ »

ثم قصد دارَ القاسم بن شعبة - وعليها جماعةٌ من الموكّلين وأصحاب الأخبار<sup>(١)</sup> - ، فوقف على الباب فقال : « كيف حالُ القائد أبي محمد أيده اللهُ ؟ » ، فقالوا : « أمض يا شيخ » ، فقال : « ما أمضى حتى أُبَلَى عُذراً ! هذا رجل قد لَزِمْتَنِي له عارفةٌ ، وهذا أوانُ تَضَامها . فوقع خبره إلى أحمد بن طولون فأحضره ، وقال : « ما كنت تَعْمَله للقاسم ابن شعبة ؟ » ، قال : « أولاني في بعضِ أقاربي جليلاً ، فانتصبتُ الساعةً لما يحتاجُ إليه ؛ وما أحقُّ الأميرَ أن يَفُضِّلني بِمُحْسِنِ المِكَافَاةِ عن طاعةٍ والديه له ، فقد كان مشهوراً بها ،

فخدّني أبو العباس الطرسوسيّ . أن أحمد بن طولون قال له في

(١) أصحاب الأخبار : الجواسيس

هذا المجلس : « ما أحسن ما اهتدى هذا الشيخ إلى إذكاري بحق قاسم وعظفني عليه ! » ، ثم أحضر القاسم بن شعبة وخلع عليه خِلمة رضى ، وصرفه إلى منزله . وعدل الشيخ ولم يدخل معه داره ؛ وانصرف إلى بيته وقد قام بما قعد عنه ابنُ أخته

\*\*\*

هارون بن  
ملول وابن تميم

٩ - وحدثني هارون بن ملول ، قال :

لمامات أبي ورثتُ منه مالا جمًّا ومُسْتَعْلَاتٍ نَفِيسَةً - وكان يَقْضِرُنِي عَلَى زِيِّ التِّجَارِ ، وَيَمْنَعُنِي مِنَ التَّخْرُقِ <sup>(١)</sup> وَالسَّرْفِ فِي الْهَيْئَةِ - ، فَتَمَدَّتْ إِلَى أَثْوَابِ وَشِيِّ سَعِيدِي <sup>(٢)</sup> كَانَتْ فِي الْمَتَاوِجِرِ الَّتِي خَلَفَهَا وَالِدِي فَقَطَعْتُهَا ، وَقَطَعْتُ لِحْدِيمَ - أَرْتَبِطُهُمُ لِلتِّجَارَةِ - مِنَ الْمُلْحَمِّ وَالِدِيَّاجِ مَا لَا يَتَسَمَّحُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَبْنَاءِ التَّرَفِ . وَجَلَسْتُ فِي الْوَشِيِّ ، وَقَامَ الْغُلَامَانِ بَيْنَ يَدَيَّ فِيمَا قَطَعْتَهُ لِهَمِّ

وَوَافَانَا إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ [بْنِ تَمِيمٍ] مُفْتَقِدًا ، فَتَأَمَّلْنِي فَقَالَ : « لَقَدْ سَرَفَنِي بَعْدُ يُتَمِّمُكَ وَحُسْنُ زِيَّتِكَ <sup>(٣)</sup> ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ . » ثُمَّ وَافَى جَمَاعَةً مِنْ [خِوَانِ أَبِي وَأَصْفِيَايَةِ ، فَوَاللهَ مَا أَنْكَرَ عَلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَا خَرَجْتُ إِلَيْهِ مِنْ زِيِّ أَسْلَافِي . فَلَمَّا كَانَ فِي عَشِيِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَافَانِي رَسُولُ إِسْحَاقَ بْنِ تَمِيمٍ : « عِنْدِي مِنْ لَاتَحْتَشِمُهُ ، فَتُوْنُسُ

(١) التخرق : التوسع في العطا . والمعيشة

(٢) وشي سعيدي : ضرب من برود اليمن موشية تعرف بالسعيدية ،

منسوبة إلى سعيد بن العاص

(٣) اليتمة : حالة اليتيم ، ولم ترد في كتب اللغة

جَمَاعَتَنَا بِمُحْضُورِكَ ؟ فَقَدْ أَعْجَبَنِي الْيَوْمَ حُسْنَ زِيَّكَ ! ». فَرَدَّتْ فِي  
الْحِلْمَةِ وَرَكِبَتْ ، فَلَمَّا دَخَلَتْ إِلَيْهِ لَمْ أَقِدْ عِنْدَهُ أَحَدًا مِنْ إِخْوَانِ  
وَالِدِي . فَلَمَّا تَوَسَّطَ الصَّخْنِ ابْتَدَرَ فِي الْغُلْمَانِ ، وَصَاحَ بِإِسْحَاقَ :  
« تَتَوَهَّمُ بِأَجَاهِلٍ أَنْ أَبَاكَ مَضَى وَاسْتَرْحَتَ ! وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ أَبَاكَ  
خَلَّفَ لَكَ هَؤُلَاءِ الْآبَاءَ بِأَسْمِهِمْ يَرُدُّونَكَ عَنِ الْخَطَا بِأَلِيمِ الْعُقُوبَةِ ،  
وَلَا يَشْفَعُونَ فِي مَصْلَحَتِكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا كَانَ أَبُوكَ يَرْتِقُ عَنْهُ فِيكَ ؟ ،  
ثُمَّ يُطِئُ فِي وَسْطِ الدَّارِ ، فَصَحْتُ بِهِمْ : « يَا سَادَتِي ! وَاللَّهِ  
مَا قَرِعْتُ قَطُّ بِمِقْرَعَةٍ ! » ، فَقَالَ إِسْحَاقُ : « وَلَا أَتَيْتَ بِمِثْلِ هَذَا  
الْفِعْلِ ! » . وَضُرِبْتُ ضَرْبًا هَبْرًا حَا ، وَلَمْ تُرْفَعِ الْمِقْرَعَةُ عَنِّي حَتَّى  
حَلَفْتُ لَهُمْ أَلَّا أَزِيدَ عَلَى مَعْرِضِ وَالِدِي وَأَقْتِصَادِهِ ، فَأَقَمْتُ عَلَى هَذَا  
إِلَى الْيَوْمِ »

وما زالَ عنه إلى أن تُوتِيَ



المؤلف  
١٠ - ولما استَفْحَلَ أمرُ ابنِ الخَلِيجِ ، انْحَازَ عَنْهُ جَيْشُ مِصْرَ و عَرَابِ مِنَ  
إِلَى الإسْكَندَرِيَّةِ وَخَلَا الفُسْطَاطَ مِنْهُمْ ، وَكُنْتُ بِمَدِينَةِ أَهْنَسَ (١) ،  
وَاضْطَرَبَتِ النُّوَاحِي ، وَاحْتَجَّتْ إِلَى مُشَاهَدَةِ الفُسْطَاطِ . فَتَخَفَّرْتُ  
بِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ مِنَ الْقَيْسِيَّةِ ، دَفَعْتُ إِلَيْهِمْ عِشْرِينَ دِينَارًا وَخَرَجْتُ مَعَهُمْ ،  
فَأَحْسَنُوا الْعِشْرَةَ ، وَأَجَلُّوا الصُّحْبَةَ . وَكَذًا لَا يَنْجِئُ بَحِيٍّ وَلَا جَمَاعَةَ  
إِلَّا كَفُونَا مَوُونَةَ كَلَامِهِمْ ، وَصَرَفُوا عَنَّا بِأَسْمِهِمْ . وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ

(١) أَهْنَسَ : بَلَدَةٌ بِالصَّعِيدِ مِنْ عَمَلِ الْبَهْنَسَا

دَابُّنَا حَتَّى بَلَّغْنَا قَصْرَ الْجِيزَةِ ، فَأَقْبَلَتْ رَعْلَةٌ مِنَ الْأَعْرَابِ (١) -  
 قَدَّرْتُهَا بِرَأْيِ الْعَيْنِ خَمْسِينَ فَارْسًا - كَانَتْ مِنْ غَيْرِ حِيَّهِمْ ، فَصَمَّمَتْ  
 نَحْوَنَا بِرِمَاحِهَا ، وَعَمِلَتْ عَلَى نَهْبِنَا وَقَتْلِنَا ، وَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِي أَسِنَّتِهِمْ .  
 وَأَحْسَنَ الْأَرْبَعَةَ - الَّذِينَ تَخَفَّرْنَا بِهِمْ - لِقَاءَهَا وَالتَّضَرُّعَ إِلَيْهِمْ ،  
 وَنَاشِدُورَهُمْ أَلَّا يُخَفِّرُوا ذِمَّتَهُمْ ، وَأَجْمَلُوا النَّاتِقَ حَتَّى انصَرَفُوا (٢) .  
 وَجَدَدْنَا فِي السَّيْرِ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى حَيِّ الْمُخَفَّرِينَ لَنَا ، فَقَالَ  
 الْمُخَفَّرُونَ : « قَدْ بَلَغْتَ إِلَى مِنْ تَأَمَّنَهُ ، لِحُطِّ رَحْلِكَ ، فَمَا تَسْتَقِلُّ (٣) »  
 دَوَّابُّكَ الزِّيَادَةَ عَلَى هَذَا السَّيْرِ . فَزَلْتُ وَتَقَدَّمْتُ إِلَى الْعِلْمَانِ فِي  
 إِطْعَامِهِمْ ، وَلَمْ أَجِدْ لِلطَّعَامِ مَسَاغًا مِنْ فَرِطٍ مَا لِحِقْتِي مِنَ الرَّوْعِ .  
 وَعَمِلْتُ فِي الْمُخَفَّرِينَ هَذِهِ الْآيَاتِ :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مَعْشَرًا حَقَّقُوا دَبِّي  
 وَقَدَّ شُرْعَتُ نَحْوِي الْمُثَقَّفَةُ السُّمُرُ  
 دَرَاهِمُهُمْ مَبْدُولَةٌ لِيَضُّوا وَيُفِيهِمْ  
 وَأَعْرَاضُهُمْ مِنْ دُونِهَا الْغَفْرُ وَالسُّتْرُ  
 إِذَا مَا أَغَارُوا وَاسْتَبَاحُوا غَنِيمَةً  
 أَغَارَ عَلَيْهِمْ فِي رِحَالِهِمُ الشُّكْرُ  
 وَإِنْ نَزَلُوا قَطْرًا مِنَ الْأَرْضِ شَاسِعًا  
 فَمَا ضَرَّهُ إِلَّا يَكُونُ بِهَا قَطْرُ

(١) الرعلة : القطعة من الخيل قدر عشرين

(٢) تَأْتِي لِلشَّيْءِ : تَرْفُقُ لَهُ وَأَتَاهُ مِنْ وَجْهِهِ

(٣) تَسْتَقِلُّ : تَحْتَمِلُ

فَلَحَظْنِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَنَا أَكْتُبُهَا ، فَظَنَّ أَنِّي أَكْتُبُ إِلَى السُّلْطَانِ  
فَأَشْتَكِي مَا كَانَ مِنَ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ أَقْرُونَا بِقَصْرِ الْجِيزَةِ ، فَقَالَ :  
« قَدْ سَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ أَوْلِيكَ الْقَوْمِ ، وَقَدْ أَحْسَنُوا إِلَيْنَا فِي حُسْنِ  
الْإِجَابَةِ لَنَا ، فَلَا تَكْتُبْ فِيهِمْ بِشَيْءٍ » . فَقَالَتْ : « وَاللَّهِ مَا كَتَبْتُ  
فِيهِمْ وَلَا فِي غَيْرِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ بِشَيْءٍ » ، فَقَالَ لِي شَيْخٌ مِنَ الْمُخَفَّرِينَ  
- وَقَدْ قَرُبَ مِنِّي - : « فَمَا تَكْتُبُ ؟ » ، قُلْتُ : « أَكْتُبُ آيَاتًا  
مُدْحِثُكُمْ فِيهَا » ، فَقَالَ : « وَإِنَّكَ لَتَتَّقِرُضُ الشَّعْرَ ؟ » ، قُلْتُ :  
« نَعَمْ أ » ، قَالَ : « أَتَشِدُّنِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ » ، فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فَقَالَ :  
« بَرَكَ اللَّهُ وَوَصَّلَكَ أ » .

ثُمَّ صَاحَ بِالثَّلَاثَةِ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَنْشَدَهُمْ إِيَّاهَا ، فَمَا حَرَمَ - شَهِدَ  
اللَّهُ - حَرْفًا وَاحِدًا ، فَعَجِبْتُ مِنْ حِفْظِهَا وَلَمْ أُعِدْ عَلَيْهِ حَرْفًا  
مِنهَا ، وَتَبَيَّنْتَ الْفَرَحَ فِي سَائِرِهِمْ ، وَحَفِظُوهَا بِأَجْمَعِهِمْ . ثُمَّ صَاحَ  
بِهِم الشَّيْخُ : « مَا تَلْتَقِظُونَ ؟ أَرَحُضُوا <sup>(١)</sup> السَّوَاءَ عَنْكُمْ » . فَأَدْخَلُوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي جُيُوبِهِمْ ، وَجَمَعُوا شَيْئًا أَخَذَهُ الشَّيْخُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ قَالَ لِي :  
« قَدْ شَكَرْنَا صَدِيقَتَكَ ، وَاللَّهِ لَا نَجْمَعُ بَيْنَ شَعْرِكَ وَوَفْرِكَ أ » ، وَوَضَعَ  
الْعَشْرِينَ الدِّينَارَ بَيْنَ يَدَيَّ فَأَكْبَرْتُ ذَلِكَ وَأَعْظَمْتُهُ . فَقَالُوا لِي :  
« الصَّوَابُ أَلَّا يَعْلَمَ بِهَا عَشِيرَتُنَا ، فِيرْجِعْ عَلَيْكَ مِنْهَا أَكْثَرُ مِمَّا  
خِيفْتَهُ مِّنْ لَّقَيْكَ بِقَصْرِ الْجِيزَةِ » . وَرَكِبْتُ فَسَرْتُ مَعَ جَمْعٍ كَثِيرٍ  
مِنْهُمْ وَهُمْ يَدْشُدُونَ تِلْكَ الْآيَاتِ ، فَالْتَمَسْتُ أَنْ يَقْبَلُوا مِنِّي بَرًّا فَلَمْ

أَصِلْ إِلَى ذَلِكَ ، وَرَأَوْا أَنَّ الشَّعْرَ أَحْسَنُ مَوْعِماً مِمَّا مَلَكَتْهُ

\*\*\*

المؤلف  
وعباسي

١١ - وَنَزَلَ فِي حَارَتِنَا غَلَامٌ مُرْمِدٌ تَأْخُذُهُ الْعَيْنُ ، وَكُنْتُ  
أَسْلَمَ عَلَيْهِ إِذَا أَجْتَرَزْتُ بِهِ ، كَمَا أَفْعَلُ هَذَا بغيرِهِ مِنْ جِيرَتِي .  
فَانصَرَفْتُ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِي فَوَجَدْتُهُ قَائِمًا عَلَى بَابِهِ ، فَدَفَعَنِي إِلَى رَقْمَةٍ  
يَذْكُرُ فِيهَا أَنَّهُ عَبَّاسِيٌّ مِنْ وَلَدِ الْمَأْمُونِ ، وَيَسْأَلُنِي فِيهَا بِرَبِّهِ . وَدَخَلَ  
مَنْ كَانَ مَعِيَ بُدْخُولِي ، فَفَضِيحْتُ شُغْلِي بِالْجَمَاعَةِ حَتَّى أَنْصَرَفُوا ، وَوَضَعْتُ  
الْمَائِدَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَبَّاسِيِّ فَأَكَلْنَا ، وَهُوَ يَتَأَمَّلُنِي فَلَا يَجِدُ فِيَّ شَيْئًا  
قَدَّرَهُ . فَلَمَّا غَسَلَ يَدَيْهِ ، دَفَعْتُ إِلَيْهِ ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ ، وَاعْتَذَرْتُ إِلَيْهِ  
مَنْ تَقْصِيرِي فِي حَقِّهِ ، وَأَنْصَرَفَ وَقَدْ رَأَيْتُ تَبَجُّجِي فِي حَمَالِقِ  
عَيْنَيْهِ

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بَسُنَيَاتٍ<sup>(١)</sup> - وَأَنَا فِي ضِيَاعٍ تَقَبَّلْتُ بِهَا<sup>(٢)</sup>  
وَلِي فِيهَا غَلَّةٌ<sup>(٣)</sup> بِمَالٍ جَسِيمٍ ، نَفَقْتُ أَنْ أَدْخُلَ الْقِسْطَاطَ فَتَخَرَّبَ .  
الضِيَاعُ وَتَتَعَطَّلَ عِمَارَتُهُمَا ؛ فَكُنْتُ أَكُنُ نَهَارًا فِي بَعْضِ مَنَازِلِ  
الْفَلَاحِينَ ، وَأُظْهِرُ لَيْلًا فَأَعْقِدُ مِنْهَا مَاتِهِي إِلَى عَقْدِهِ<sup>(٤)</sup> . فَإِنِّي لِكَامِنٌ  
فِي يَوْمٍ مِنَ الْإَيَّامِ حَتَّى سَمِعْتُ رَجَّةً شَدِيدَةً ، فَدَخَلْتُ إِلَى بَعْضِ

(١) تصغير سنوات

(٢) تقبل بخراج أو جباية : تكفل بها والتزمها بعقد

(٣) الغلة : الدخل من كراء دار ، أو أجر غلام ، أو فائدة أرض

(٤) يعقد منها : يريد يجمع منها

غُلباني . فقال : « دَخَلَ أَصْحَابُ دُمَيَانَ الضَّيْعَةَ ، وَعَمِلُوا عَلَى نَقْلِ الْغَلَّاتِ ، ، وَأَيُّنْتَ بِنَافٍ أَكْثَرَ مَا أَمْلِكُ ، ثُمَّ سَكَنْتَ أَصْوَاتُهُمْ »

ودخل إلى غلام لي فقال لي : « يا مولاي ! كانت هذه الضياع قد أشفت على نقل ما فيها <sup>(١)</sup> ، حتى نظار إلى العباسي الذي كان في جوارنا ، فقال لي : « ألسمت غلام أحمد بن يوسف ؟ » قلت : « نعم ، ، قال : « فهذه ضياعه ؟ » ، قلت : « نعم ، ، اصباح بالجماعة التي دَخَّات من أصحاب دُمَيَانَ : « أخرجوا بأسرهم عنها ، ، فخرجوا . ثم قال لي : « قل لمولايك : يا سيدي ! محلي عند الأمير دُمَيَانَ محل الأخر ، فأظهر واركب إليه ، فقد آمنتك الله على نفسك ومالك . فسألت الغلام : « ما كان زُيِّه ؟ » ، فقال : « كان عليه كساءٌ صوفٍ مما يُنام فيه ؛ وتحتهُ خُفَّتَانِ » <sup>(٢)</sup> .

فأحضرتُ بعضَ شايخ الضيعة ، وحملت معه إليه دُرَاعَةَ خَزْرٍ كُحْلِيَّةً ، و«مُطْرَفَ خَزْرٍ» <sup>(٣)</sup> ، وخمسين ديناراً ، وسألته أن يقبل ما يحتاج إليه من ناحيتي . فقبل الدُرَاعَةَ الخَزْرَ ، ورَدَّ المَطْرَفَ والدنانير ، وقال لرسولي : « والله للثلاثة الدنانير - التي وهبها لي لشرافي لا لشيء مما ظننته به - أحسن موقفاً عندي مما رددته إليه ،

(١) أشفى على كذا : أشرف وقارب

(٢) الخفتان : ضرب من الثياب ، وكأنه قريب مما نسميه (القفطان)

(٣) المطرف : ثوب يكون في أطرافه وشي وأعلام

فكثّر الله في الناس مثله ا ،

فلم يزل عَضُدًا لِي وَسِئْرًا عَلِيَّ ، حتى انصَرَفَ دميانة عن

الناحية

\*\*\*

١٢ - وحدثني يحيى بن الفضيل ، عن يحيى بن نجبه - وكان هذا

يحيى بن نجبه  
والرخجي

الرجل حَسَنَ الكتابة - ، قال :

« تَرَدَدْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ فَرْجِ الرَّخَجِيِّ مُدَّةً ، فدخلتُ عليه

في يوم من الأيام . فقال : « قد أنصبتناك <sup>(١)</sup> ا قد استتممت في

هذا اليوم سنة » ، ووقع لي بتقليد عمل سني . واضطربت فيما

أحتاج إلى التجهز به ، فلما لم يبق علي إلا أنص <sup>(٢)</sup> ركابي ، برزت

ظَهْرِي وَنَقَلِي <sup>(٣)</sup> ، ووقفت على باب دار أمير المؤمنين المنتصر

أنتظر توديع عمر والخروج إلى عملي . فرأيت غلمان عمر يتسللون

فسألت عن السبب ، فقيل لي : « سيخط أمير المؤمنين على عمر ا ،

فخرتُ ، وخفتُ أن أرجع إلى منزلي فأخسر جميع ما أنفقته .

فبأنى تلك الحيرة حتى خرج عمر بن فرج ، ومعه رجل من

شيعة بني العباس ، فقال لي : « أين كل من كان معي ؟ » ، فقلت

« تسألوا للحادث ا » ، فقال : « وقد وُكِّلَ بي هذا الشيعي على

(١) أنصاه : أتعبه

(٢) نص الركاب : تسييرها

(٣) النقل : متاع المسافر وحشمه



أَنْ يَنْفِيَنِي إِلَى بِلَادِ الشَّرْكِ ، وَلَمْ أُعِدَّ شَيْئاً وَلَا أُجِدُّ مِنْ يُعِدُّ لِي ،  
قُلْتُ : « هَذِهِ قُبَّةٌ وَظَهْرُهُ يُقَلِّدُكَ ، وَأَنَا أَصْحَبُكَ شُكْرًا عَلَى مَا سَلَفْتَنِي  
مِنَ التَّقْلِيدِ »

فَرَكِبَ الْقُبَّةَ ، وَأَحْضَرَ الشَّيْعِيَّ قُبَّةً لَهُ ، وَرَكِبْنَا وَأَنَا أُعَادِلُهُ (١) ،  
وَاتَهَى الْمَسِيرُ بِنَا إِلَى خُرَّاسَانَ . وَكُنَّا لَا نُفْضِي مِنْ بُلْدَانِ خُرَّاسَانَ  
إِلَى بَلَدٍ إِلَّا وَجَدْنَاهُ أَغْلَظَ طَبْعاً مِنَ الْبَلَدِ الَّذِي فَارَقْنَاهُ ، حَتَّى بَلَّغْنَا  
بُخَارَى ، فَرَأَيْنَا قَوْمًا فِي نَهَابِهِ مِنْ غَاظِ الطَّبَاعِ ، فَقَالَ لِي - حِينَ  
رَأَيْتُنِي أُنْعَجُّ مِنْهُمْ - : « كَيْفَ لَو رَأَيْتَ الشَّرْكَ وَبُلْدَانَهُمْ ؟ يَقْتُلُونَ  
الْمُسْتَجِيرَ بِهِمْ ، وَيُغَيِّرُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَيَهْلِكُ النَّازِعُ إِلَيْهِمْ  
بَيْنَهُمْ (٢) ! » ، فَزَادَنِي هَذَا الْقَوْلُ تَهِيئاً لِلسَّيْرِ مَعَهُ ، ثُمَّ مَلَكَتُ  
مَا اسْتَعْرَبَ (٣) مِنِّي ، وَتَمَاسَكَتُ

وَجَدَّ بِنَا السَّيْرَ عَنْ بُخَارَى إِلَى أَرْضِ الشَّرْكِ ، وَإِنِّي مَعَهُ فِي الْقُبَّةِ -  
وَهُوَ يُحَدِّثُنِي بِشَيْءٍ قَدْ شَغَلَنِي عَنْ تَبَيُّنِهِ مَا يُقَلِّدُنِي مِنْ رُكُوبِ  
مَا أَقْدَمْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَرِ - حَتَّى سَمِعْنَا حَلْقَ الْبَرِيدِ ، فَتَشَوَّفْنَا لَهَا ،  
وَوَافِيَهَا رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكُتَابُهُ بِمَا أَمَرَهُ بِالْحَضْرَةِ : مِنَ الرِّضَا  
عَنْهُ وَرَدَّهُ إِلَى مَرَاتِبَتِهِ ؛ وَيَأْمُرُهُ فِيهِ بِكَشْفِ هُدُنِ خُرَّاسَانَ ، وَتَجْرِيدِ  
عُقُودِهَا عَلَى أَصُوبِ مَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ ، وَاسْتِنَارَةِ التَّوْفِيرِ بِهَا وَالزِّيَادَةَ

(١) عادله : ركب معه في الجانب الآخر من محمل البعير

(٢) النازع : الطائر الغريب

(٣) ما استعرب مني : ما تباعد عني من عزيمتي ورأيتني

فيها . فلما استتم قراءته ؛ حَمِدَ اللهُ وَأَلَقَى الْكِتَابَ إِلَى ؛ وَقَالَ : « بَارِكْ اللهُ لَكَ فِي الْخَلَاصِ وَهَنَّاكَ الْمَزِيدَ » . وَرَدَّ إِلَى تَأْمُلَ مَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ كَشْفِ عُقُودِ النَّوَاحِي »

فَانصَرَفَتْ إِلَى مَنْزِلِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ؛ مَعَ ارْتِهَانِ شِكْرِ الْمَعَامِلِينَ .  
وَإِحَادِ السُّلْطَانِ « (١)



١٣ - وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ ، قَالَ :

وَالِدُ الْمُؤَلَّفِ  
وَمُصْطَفِيهِ

« حَبَسَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ يُونُسَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي فِي بَعْضِ دَارِهِ . وَكَانَ اعْتِقَالَ الرَّجُلِ فِي دَارِهِ يُؤَيِّسُ مِنْ خِلَاصِهِ (٢) . فَكَادَ سِتْرُهُ يَنْهَتِكِ الْخُوفُ شَمْلَهُ عَلَيْهِ . وَكَانَ لَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَبْنَاءِ السِّتْرِ يَتَحَمَّلُ مَوْنَهَا ، مَقِيمَةً عَلَيْهِ لَا تَنْتَظِعُ إِلَى غَيْرِهِ . فَاجْتَمَعُوا - وَكَانُوا زُهَاءً ثَلَاثِينَ رَجُلًا - فَرَكَبُوا إِلَى دَارِ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، فَوَقَفُوا بِيَابِ لَهُ يَعْرِفُ بِيَابَ الْجَبَلِ ، وَاسْتَأْذَنُوا عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُمْ . فَدَخَلُوا إِلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَكَمِ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَعْلَامِ مَسْتُورِي مِصْرَ ، فَابْتَدَرُوا كَلَامَهُ بِأَنْ قَالُوا : « قَدْ اتَّفَقْنَا - أَيْدِ اللهُ الْإِمِيرَ - مِنْ حُضُورِ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ بِمَجْلِسِهِ ، مَا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ ذَرِيعَةً إِلَى مَا نَأْمُلُهُ ؛ وَنَحْنُ تَرَعَّبْنَا إِلَى الْإِمِيرِ فِي أَنْ يَسْأَلَهَا عَنَّا ، لِيَقْفَ عَلَيَّ مَنَازِلِنَا » . فَسَأَلَهُمْ عَنْهُمْ ، فَقَالُوا : « قَدْ عَرِضَتِ الْعَدَالَةُ عَلَيَّ أَكْثَرَهُمْ فَأَهْتَمَّتْ

(١) أَحْمَدُ السُّلْطَانُ : رَضِيَ فَعَلُهُ وَوَجَدَهُ مُسْتَحِقًّا لِلْحَمْدِ

(٢) آيَسَهُ الْأَمْرُ : مِثْلُ آيَأَسَهُ

حنا» (١)

فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس؛ وسألهم تعريفه ما قصد رآله؛  
فقالوا: « ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما أمر به في يوسف بن  
إبراهيم، لانه أهدى إلى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يُقدّمنا إلى  
ما اعتزّم عليه فيه: إن آثر قتله أن يقتلنا؛ وإن آثر غير ذلك أن  
يسلف بنا (٢)، وهو في جليّ وسعة منه»، قال: « ولم ذلك؟ »،  
فقالوا: « لنا ثلاثون سنة ما فكرنا في آتباع شيء مما احتجنا إليه؛  
ولا وقفنا بباب غيره. ونحن والله أيها الأمير نرتمض (٣) البقاء  
بعده من السلامة من شيء من المكروه وقع فيه»، وعجوا بالبكاء  
بين يديه. قال أحمد بن طولون: « بارك الله عليكم فقد كافأتم إحسانه  
وجازيتم إنعامه»، ثم قال: « على يوسف بن إبراهيم»، فأحضر.  
فقال: « خذوا بيدنا حيكّم وانصروا». فخرجوا معه؛ وانصرف  
يهم إلى منزله»

\*\*\*

١٤ - قال:

المؤلف  
وبعض التجار

« وطالبنى بعض عمّال الخراج بمصر بمال زاد على ما في حاصلي؛  
فاحتجت إلى مُعاملة بعض التجار عليه؛ فذُلتُ على رجل من

(١) العدالة: تزكية الشهود عند القاضى وتعديلهم، أى أن يقول  
لأنهم عدول، وكانت من وظائف القضاء

(٢) يسلف بنا: يبدأ بنا ويجعلنا سلفاً، والسلف: المتقدمون

(٣) ارتمض الرجل من الشيء: إذا اشتد فأقلقه كأنه يقف في  
الرمضاء، وهى حر الحجارة من شدة حر الشمس

أهل الشام يعامل برُهون؛ فصار إلى - وأنا في بيت المال -  
منهُ شيخُ حَسَنُ الصُّورةِ جميلُ اللِّقاءِ ، فقال : « إلى كم تحتاج ؟ »  
قلت : « إلى مائتي دينار » . فأخرج من كُمِّه مالا فوزَّنه ، واستزاد  
من غلامٍ كان معه دنائيرَ حتى أكل المائتين ، ثم سلَّمها إلى واقطناني  
خطَّأ بها ، وقال : « قد كُفِّيتَ مؤونة الرهن » ، فقلت : « فكيف  
أكتبُ الخطَّ ؟ » ، قال : « بمائتي دينارٍ كما أعطيتك » ، فقلت له :  
« سبيلُ المِعاملةِ غيرُ هذا ! » ، فقال : « والله لا قبِلتُ منك فيها رِبْحًا ،  
ولو وهبْتُها لك لكان من أصغرِ حُقُوقك عليَّ » ، ثم قال لي :  
« تعرُفُني ؟ » ، قلت : « لا ! » ،

قال : « ركبْتُ مَرَكَبًا أريدُ الفُسطاطَ من تَنيس ، وحمات فيه  
تجارةٌ لي ما كنتُ أهلكُ غيرَها ، حتى إذا بلغتُ المَحَلَّةَ ووازيْتُ  
ضياعا كانت في يدك ، كسرنا ، وغرق جميع ما أملكه ، وسلَّمتُ  
بِحُشاشةِ نفسِي <sup>(١)</sup> . فجلستُ على الشطِّ أبكي وأنتحب ، فأقبلت في جماعة  
معك فسألتنِي عن حالِي فأخبرتُك بها ، فبئسَتْ في حَشْدٍ من يعُوص .  
على المَرَكَبِ وما فيه وحطَّطت على الشطِّ ، فأخرجوا بزًّا كان  
لي وتايَفَ ما سواه ؛ واستحلقتني على ما ذهبَ لي فأخبرتُك به -  
وكانت قيمتهُ سبعين دينارًا - فقَسَّمتها لي على وُكَلائِكَ وكتَّابِكَ .

---

(١) الحشاشة : بقية رمق الحياة والروح في المريض والغريق

فلما حصلتُ لى أعطيتنى دنانيرَ من عندك وقلت لى : « هذا أَرشٌ <sup>(١)</sup> مالِحِمك فى الثياب » ، وأمرت أن يُكسَرتى [لى] [لى] تَنيس ، وكتبت لى لى جماعة معاً ملىك بتَنيس بما لِحقى ، وبمعتى على أمرى ، فرجع بك لى ماً ملىك ، واكتسبت جاهاً بتَنيس تضاعف مالى به ، وحسنت معه حالى ،  
« وأخذ خَطى بالمال وأنصرف ،

\*\*\*

أحمد بن بسطام

١٤ - وسمعت أبا العباس أحمد بن بسطام يُحدِّث ، أبا الطيب وصاعد

أحمد بن على ، قال :

« لما سَخَط الموفِّق على صاعدٍ وكَلَّ به من يطالبه ، وأقرَّنى والطائى على ما كنا تتفاديه له . وكان صاعدٌ محسناً إلينا ، جمىل العشرة لنا ، فلم تترك شىئنا فصل إليه بما خفف عنه إلا بأغناه . وكانت بىنى وبين الطائى إحنة <sup>(٢)</sup> ، فدعانى الموفِّق فى يوم من الأيام - ونحن بواسطٍ وقد بَلَج <sup>(٣)</sup> صاعدٌ ، واستنزل المستخرج جمىع ما وصل إليه منه - ، فقال لى : « أحمدُ ا ادخلُ لى صاعدٍ فقل له : أظنك أَرْضىتَ المستخرج حتى فَتَرَ فى مطالبتك ، والله أنى لم تخرج مُحْتَجِبِك ، لا تولِّين تعذىبك بنفسى ا »

فدخلت إليه وأدبى الرسالة ، فقال لى : « يا أحمد ا والله ما بقى

(١) الارش : دبة الجراحات والجنايات التى لىس لها قدر معلوم وهو

الذى نسميه « التعویض » ،

(٢) إحنة : حقد وعداوة

(٣) بلج : أفلس

لى شىء ، وما ملكت قط ما هو أحب إلى من نفسى ، فتقول له :  
ياسيدى ! والله ما أملك على الأرض ولا فيها ديناراً ولا درهما ولا  
جوهرأ ، وأنت أرى بالتطول<sup>(١)</sup> على خادمك ، فانصرفت من عنده  
وأنا أخاف أن يُغريه ذلك الجواب . ودخلت إليه وقلت له :  
يقول لك : « ياسيدى ! ما أملك على وجه الأرض ولا بطنها غير  
مائة ألف دينار عند الطائى » . فأمر بإحضاره ، فلما مثل بين يديه ،  
قال له : « المائة الألف الدينار التى لصاعد عندك ، قد بعثت إلى  
يحلف أنه لا يملك غيرها » . فقال له : « وهى بمدينة السلام ، فينظرنى  
الأمير مسافة الطريق ، وأنا أستسلف له ما تيسر منها من التجار  
هاهنا ؟ » . فقال له : « اكتب خطك بها » . فكتبه وسلمه إلى  
الموفق ، فسلمه إلى غلام من خاصته ، وانصرف الطائى

فاستقبح ما صدر منى فيه ، وعظم فى نفسى لتصديقه صاحبه ،  
وترك معارضته بما يدفع به المرء عن نفسه . فدنوت من الموفق  
وقلت له : « أيتها الأمير ! جميع ما أديته إليك عن صاعد منى تقولته ،  
وقد قبح فى عيني ، وسيدى الأمير مخير بين الصفح عنه والعقوبة  
عليه » . فقال : « أحسنت ! بارك الله عليك » . ثم أمر برد  
الطائى ، فقال : « لِمَ لم تقرب إلى بذكر هذا المال ؟ » فقال :  
« أياها الأمير ! يمنعنى من ذلك ما تولاّه من اصطناعى ، فقال له :  
« ليس يقنعنى إلا أن تحلف برأسى على هذا المال ، وفى أى وقت

---

(١) تطول عليه : تفضل عليه وأحسن إليه

دَفَعَهُ إِلَيْكَ . . فقال : « يعفيني الأميرُ من ذلك » . فقال : « والله لا فعلتُ » . فقال : « وحقَّ رأسِ الأميرِ ماله عندي درهم واحد فضلا عنه ، ولكني لما رأيته قد عاذَ بالدعوى عليّ ، ثَبَقْتُ أَنَّهُ لم يبق له حيلة في المدافعة عن نفسه ، فعملت على تحمُّل هذا المال ، والله ما أملكه ، ورجوتُ أن أُصِلَ إليه بجاهي واطيفِ حيلتي » . فاستحضر الموقَّ الخطَّ ودفعه إلى الطائي ، فقال له : « خَرِّقْهُ » . ثم تقدَّم بإعفاء صاعد من المطالبة »

\*\*\*

نجاح بن سلمة  
وابن تميم

١٦ - وكان نجاح بن سلمة - مع ما يؤثر عنه من زعارة أخلاقه ، <sup>(١)</sup> وقبح تسلطه - يحبُّ التبسط على طعامه ، ويمسح المكافأة عليه . فحدثني يعقوب بن إسحاق بن تميم ، قال :

أقام إسحاق والدي ببغدادَ خمساً وعشرين سنة في رفعِ حسابهِ ، يَنْقُضُ الكُتَابَ جَمَاعَاتِهِ وَيَسْلُطُونَ الإِعْنَاتِ عَلَيْهِ ، قال لي يعقوب ، فحدثني أبي : أن أغلظَ الكُتَابَ بِأَسْرَمِ كان عليه ، نجاح بن سلمة . قال : « فلما أفرط على سوءِ تحكُّمه ، جلست في منزلي ، فَرَّبَهُ أَسْمَى ، فقال : « قد عزم إسحاق بن تميم على أن يتربص بنا كما كان يتربص بمن كان قبلنا ؟ » . ثم نظر إلى بعض المضمومين إليه فقال : « بكر إلى إسحاق ابن تميم فأحضِرْهُ الدارَ إلى أن أنصرف » . قال : فباكرني فظُّ من الجند لم أملك نفسي معه حتى صار [بني] إلى دار نجاح ، فوجدناه

(١) الزعارة : الشراسة وسوء الخلق

قد ركب

فخصاني على الباب وجاس معي<sup>(١)</sup>، وتعالى النهار واشتد جوعي،  
فقلت له: « آرض معي إلى المنزل لناكل جميعاً ونرجع! »، فأبى.  
فقلت للحاجب نجاح - ورأيتُه متمكناً من داره - : « أصلحك الله،  
إنى قليل الصبر على الجوع، وأخاف أن يتأخر الأستاذ وأضعف  
عن حجتى فى حضوره لغلبة الصفرء على، وقد سألتُ هذا الرجل  
أن يُطلق لى الذهاب إلى منزلى لأُكل وأرجع فأبى، قال: « لم  
لاناكل هاهنا؟ ». وأجلسنى فى بُشخانه<sup>(٢)</sup> فيها، واستحضر الطعام،  
فأحضرت مائدة نجاح بن سلمة، ولم يبق حلو ولا حار  
ولا بارد إلا نُقل علينا. حتى إذا بلغتُ إلى الحلواء من الطعام،  
دخل الدار نجاح جالس فى المجالس، ورآنى فى دخوله، ومكانى من  
البشخانه<sup>(٢)</sup>، فبعث إلى غلامه [يقول]: « بيجاتى استسِم أكلك.  
ولا تتجوز فيه ». فأقت حتى فرغ الطعام، وجاءنى بالغسل  
والبُخور، ثم قمتُ. فلما رآنى ضحك إلى وقال: « من علمك على  
هذا؟ »، قلت: « التوفيق »، قال: « أجل! »، ثم قال لى: « ارفع  
حسابك كيف شئت واحشهُ، فقد أمّنك الله من اعتراضك بشىء  
تكرهه »

(١) حصله على الباب: يريد، وصل به إليه وأبقاه

(٢) فى الأصل: ، نايحه ، فى الموضوعين ، وأقرب ما أعرف إلى هذا  
الرسم هو: ، بشخانه ، قال الخفاجى : يقال لها التاموسية ، عامية معربة  
« بشه خانه ، أى بيت البعوض ، أو كما أخبرنى بعضهم أنها بيت الحاجب



قال يعقوب : قال لي أبي : « فعدوتُ إليه بحسابي ، فوالله ما زاد على التوقيع في الجِماعات بياضاتها وتخليدها . ثم قال : « متى تعزم على بلدك ؟ » ، فقلت : « ياسيدي إنما أتظنُّ فيه إذْناك ، فكل شيء لي مفروغٌ منه » ، فقال : « اجعله بعد صلاة الجمعة » ، قلت : « أفعُلُ » . ثم قال لي : « تروح إلى لالْقاك في حوائج لي ؟ » ، فقدرتُ أن يحْمَلني في الحوائجُ غُرْم الألف الدينار

فلما رحتُ إليه ، دخلتُ وهو خالٍ ، فقال لي : « إنك ترجع إلى بلدٍ قد ينس منك فيه أهله ، فأدخلَ الجارُ من جيرانيك الخشبة في حائطك ، والجارُ في البستان قد تحيف حدودك <sup>(١)</sup> ، فهب لي ما بينك وبينهم » . قلت : « أفعُلُ »

قال : « وترى ببلدك جماعة قد ارتفعوا ، أبناء خاملين ، فلا تنهرهم بدِقَّةٍ <sup>(٢)</sup> أصولهم ، وانصرف <sup>(٣)</sup> عما كان عليه سلفهم ، فإنه يزرع لك المقت في قلوبهم » . قلت : « أفعُلُ »

قال : « وأصحاب البريد ، فاحذر أن يرد في كتبهم ذكرٌ لك بخير ولا شير » . قلت : « أفعُلُ »

ثم أوتى إلى يعانقي ، قلت : « ياسيدي احوائجك ؟ » ، قال : « هي ما عدته عليك ، إنك قد حملت مني بانبساطك محلَّ القرابة

(١) تحيف الشيء : نقصه وأخذ من جوانبه وحافاتِه وأطرافه

(٢) دقة الاصل : خسته ولؤمه

(٣) في الاصل . والصدق

الذي أَسْرَ بصوابه ، وَيَعْمُنِي زَكَلَهُ ، فَإِنْ حَزَبَكَ <sup>(١)</sup> أَمْرٌ فِي بَلَدِكَ  
فَلَا تَعْدِلْ بِهِ عَنِّي ، وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ «  
» فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهُ وَأَنَا عَلَى غَايَةِ مِنَ الشُّكْرِ »

\*\*\*

محمد بن يزيد  
ومسافر

١٧ - وحدثني محمد بن يزيد - وكان حَسَنَ التَّقَشُّفِ ، سَدِيدَ  
الرَأْيِ - قَالَ :

أُطْلِقُ جَمَاعَةً مِنْ حَبْسِ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ كَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ بِهِمْ ظَنَّةٌ  
بِالتَّلْصُصِ ، وَكَانُوا يَنْزِلُونَ كُورَةَ أَهْنَسَ . فَإِنِّي عِنْدَ بَعْضِ أَصْحَابِ  
الْأَكْسِيَّةِ حَتَّى وَافَاهُ غَلَامٌ أَصْفَرٌ ، خَبِيثُ الْمَنْظَرِ ، مَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ ،  
مِنَ الْحَارِجِينَ مِنَ الْحَبْسِ ، فَرَحَّبَ بِهِ ، وَجَلَسَ عِنْدَهُ ، وَهَنَأَهُ بِسَلَامَتِهِ .  
ثُمَّ سَأَلَ عَنْ حَالِهِ ، فَقَالَ : « خَرَجْتُ مِنَ الْحَبْسِ كَمَا تَرَانِي ، وَمَا  
مَعِيَ نَفَقَةٌ تَبْلُغُنِي مَنْزِلِي ،

فَقُلْتُ لَهُ : « مَا أَسْمُكَ ؟ » ، فَقَالَ : « مَسَافِرٌ » ، فَقُلْتُ لَهُ : « يَا قَتِي !  
قَدَّمَ اللَّهُ فِي أَمْرِكَ وَلَا تَعْدِلْ عَنْهُ ، فَإِنَّ الرَّاحَةَ فِي ظِلِّهِ » ، فَقَالَ  
لِي : « يَا سَيِّدِي الْحَقُّ فِيمَا قُلْتَهُ ، وَالنَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوْءِ ، وَالتَّوْفِيقُ  
إِلَى اللَّهِ دُونَ خَلْقِهِ » ، فَأَعْجَبَنِي جَوَابُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : « كَمْ يَكْفِيكَ إِلَى  
مَنْزِلِكَ ؟ » ، فَقَالَ : « دِينَارٌ » ، فَرَفَعْتُهُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ لَهُ : « إِذَا حَدَّثْتَكَ  
نَفْسُكَ يَا خَالَئَ السَّبِيلِ فَأَبْعَثْ إِلَىَّ حَتَّى أُمْسِكَ مِنْ رَمَقِكَ ،  
وَأَكْفَّ فَاقَتَكَ ،

(١) حزبه الامر : اشتد عليه وضاغطه

فما مضى شهر حتى اضطربت ناحية أهناس والبهتسا بتسلط  
رُجُلٍ من اللصوص - في جمع كثير ، على كثيرٍ من المواضع ،  
وكبيسهم الضياع . وكانت لى أسلاف<sup>(١)</sup> بسُسطا ونواحيها ،  
فخرجت لقبضها في رُقفةٍ من التجار ، قد حملوا البزَّ والطيب  
وما يُحتاج إليه للأرياف . فإنا بنواحي المحرّفة ، حتى لقينا قطعةً  
من اللصوص ، فسائقنا بأمرنا إلى موضع منقطع عن المارة ،  
وفيه شابٌ أصفرُ راكبَ فرسٍ ، ومعه مقدار خمسة فوارس ،  
فعرضت الجماعةُ عليه إلى أن يلقى ، فتأملتُهُ فوجدته « مسافراً ،  
فأكبَّ على رأسي وتحنَّى بي<sup>(٢)</sup> ، ثم قال لأصحابه : « أخطأ والله  
حزركم<sup>(٣)</sup> ، هذه رُقفة شيخى وسيدي ، والله لا أدخل إلى  
منها شيء . » وسار معنا حتى أخرجنا إلى الامن ، ثم قال لى :  
« أنا أعلم أنك لا تأكلُ طعامى ، ولا تقبلُ شيئاً منى ، وقد والله  
ياسيدى حببتَ إلى مجانبته ما أنا بسبيبه ، فنشدُك الله لما  
جعلنى طريقك في الرجعة ا . » فتضمنت له ذلك

ودخلنا مدينة أهناس ، فشاع خبرُ ما أولانى في الناس . وكان  
المتقلدُ لها رجلاً من أصحاب أحمد بن طولون - يُعرف بقههم -

---

(١) الأسلاف : القروض ، جمع سلف وهو القرض بغير فائدة

(٢) تحننى به : احتنى ، وبالغ في إظهار السرور والفرح به ، وأكثر

السؤال عن حاله

(٣) الحزر : التقدير ، حزر الشيء : قدره بالظن .

مُتَقَدِّمًا عِنْدَهُ ، أَثِيرًا لَدَيْهِ <sup>(١)</sup> فَبَعَثَ إِلَيَّ ، وَعَرَفَ مَذْهَبِي ، فَقَالَ :  
« قَدْ أَحْفَيْتُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ هَذَا الْغُلَامِ ، فَرَأَيْتُهُ لَا يَرَى الْقَتْلَ ،  
وَلَا هَتَكَ الْحَرِيمَ ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ بِأَطْرَافِ الْأَمْوَالِ وَلَا يَبْلُغُ  
الْإِجْتِيَا حَ <sup>(٢)</sup> . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَسْفِرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ <sup>(٣)</sup> ، فَإِنِّي أَوْمَنَهُ  
وَأُكْرِمُهُ وَأَقْلُدُهُ سِيَارَةَ الْبِلَدِ » . فَرَجَعْتُ فِي حَاجَةِ فَهْمٍ إِلَيْهِ ،  
فَأَلْقَيْتُهُ وَالْجَمَاعَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَأَدْبَتُ إِلَيْهِ رِسَالَتَهُ ، وَأَعْلَمْتُهُ أَنَّ هَذَا  
الرَّجُلَ صَحِيحُ الضَّمَانِ ، فَقَالَ : « يَا سَيِّدِي ! مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي الْأَعْمَالِ  
إِلَّا أَنْسُ النَّاسِ بِهِ » . ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « مَنْ يَسَاعِدُنِي عَلَى الْخُرُوجِ  
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؟ » ، فَقَالُوا بِأَجْمَعِهِمْ : « نَحْنُ ! » . فَسَارَ مَعِيَ  
حَتَّى إِذَا قُرُبْنَا مِنْ أَهْنَاسِ ، وَضَعْتُ حَبْلًا فِي عُنُقِهِ وَقَالَ : « ادْخُلْ  
بِي فِي زِيِّ الْأَسْرَى وَهَذِهِ الْجَمَاعَةُ » ، فَدَخَلُوا ، وَالنَّاسُ يَبْكُونَ  
لَمَّا اتَّفَقَ لَهُمْ مِنْ حُسْنِ الْهَدَايَةِ ، وَرَأَى النَّاسُ عَجَبًا مِنْ سَوْقِ  
شَيْخٍ مِثْلِي ضَعِيفٍ رَجُلًا قَدْ أَعْجَزَ حَيْلَ السَّاطَانِ . فَطَلَبَ فَهْمٌ أَنْ  
يَقْبَلَ لَهُ خِلاَعَةً ، فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَضَافَ أَصْحَابَهُ إِلَى فَهْمٍ ،  
وَأَقَامَ إِلَى وَقْتِ الْحَجِّ فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ رَاجِلًا ، ثُمَّ فَقَدْتُهُ »

\*\*\*

١٨ - وَحَدَّثَنِي أَبُو حَبِيبٍ الْمَقْرِيُّ ، قَالَ :

المقرئ وراعى  
غم

(١) الأثير : المحبوب المقرب المقدم على غيره

(٢) الاجتياح : الاستئصال والمحق

(٣) سفر بين المتخاصمين : سعى بينهما فى الإصلاح

« ضاقتُ أحوالى ، فلم يبقَ لى إلا جاريةٌ أحبُّها ، ومنزلاً  
أسكنهُ . فبعتُ المنزلَ بألف دينار ، وخرجتُ إلى مكةَ بالجارية ،  
فقلتُ لها : « يكون هذا المال فى وسطك » فكانت إذا نزلت فى  
منزلٍ حَفَرَتْ فى خَيْمَتِها حَفِيرَةً ، وأردعتُ المالَ فيها وطَمَّتْها <sup>(١)</sup> .

فإذا نُودِيَ بالرحيلِ أثارته وشدَّته فى وَسَطِها

قال : فاتَّفَقَ أن رَحَلْنَا عن مَنَهْلٍ ونَسِيتُ المَالَ فى الحفرة ،  
فأخبرتُنى الجاريةُ بذلك ، قال : خَارَ فِكْرى ، وطاشَ رُوعى <sup>(٢)</sup> ،  
ولم أدرِ ما أعمل . ودخلنا مكةَ ، فحدَّثتُنى نفسى ببيعِها فلم يُطعنى  
قلبى . فلما رَجَعْنَا ونزلنا المَنَهْلَ الذى خَلَّفْتُ فيه الكيسَ ،  
رأيتُ صحراءَ ، وغلامٌ على رايةٍ يرعى غنماتٍ له ، وأقبلتُ  
أدور وأنظرُ إلى الأرض ، فقال لى : « ويحك ! ما تطأب ؟ » ،  
قلت شيئاً أودعته أرضَ هذا المَنَهْلِ ، فقال لى : « صفه لى » ،  
قلت : « كيسٌ أحمرٌ فيه مال » ، فقال : « ومالى فيه إن دَلَّلْتَكِ  
عليه ؟ » ، قلت : « نصفه ! » ، قال : « هاهو ذاك فى الراجية » .  
فلما رَأَى تحيِّرى فيه ، قام حتى أخرجهُ ووضعهُ بين يديّ ،  
فحمدتُ اللهَ ، وقسمتُ الكيسَ قسَمينِ وخيَّرته أحدهما ، فقال  
لى : « إنى أرى قِسْمى منه كثيراً ، وأنا أكتفى بنصفِ أحدِ  
القسمين » ، فقسمته بقسَمينِ ، فقال : « تقسيمه أيضاً بقسَمينِ » ،

(١) طم الحفرة : كبسها ، بالتراب

(٢) الروع : القلب

فقلتُ ، فقال : « ما أعجب أمرك ! أتُرُكُه كله حراماً ، ونصفَه  
حلالاً ، وآخذ منه شيئاً هذا ما لا يكون ، أنصرف بمالك » .  
فقلت له : « يا غلام ! أنت حرٌّ أو مملوك ؟ » ، فقال : « مملوك » ،  
فقلت : « لمن ؟ » ، فقال : « لشيخ هذا الحى »

فدخلت الحى فألقيت الشيخ والناس عنده ، فقات له : « رأيتُ  
غلاماً فى المنهل يرمى غنيماتٍ وأسألك أن تبيعنيه » ، فقال :  
« اشتريته بعشرة دنانير » ، فقلت : « أنا آخذه بعشرين » ، فقال :  
« إن لم أبعه ؟ » ، قلت : « أعطيك به ثلاثين ديناراً » ، فقال لمن  
حوله : « أما تسمعون ما يقول ؟ وما يحملك على أن تبدل به هذا  
الثنى ؟ » ، فقلت : « جمع على ضالةً ، فذذرتُ أن أعتقه وأتباع  
الغنم يراها له ، وأملكه إياها » ، فقال : « نذرتُ أن تفعل به  
هذا لفعله واحدة من الجميل أولاً كها<sup>(١)</sup> ، ولنا فى كل يوم منذ  
ملكناه حسنة تقتضى أكثر مما نأتيه له ؟ وأنا أشهد الجماعة أنه  
حرٌّ لوجه الله ، وأن ما رعاه له »

فانصرفت عن الشيخ وقد بلغ بي ما ملته له «



١٩ - وقلت يوماً لآحمد بن محمد المعروف بابن أبي عصمة

ابن أبي عصمة  
وابن طغان

كاتب أحمد بن طغان - وكان لي صديقاً مصافياً - : « قد كثر الناس

(١) أولاه الجميل : فعله ابتداء من غير مكافأة على جميل سابق

في إصابتك<sup>(١)</sup> مع ابن طَعَانِ، فقال: « ما أخطروا في التكثير، وكان صاحبي سَمَّجًا<sup>(٢)</sup>؛ ولقد أصابني منه في جهة واحدة ثلاثون ألف دينار، فسألته عن تلك الجهة، فقال: « كان لا يُمِسُّكَ مالا، ولا يعتدُّ ذَخِيرَةً<sup>(٣)</sup>، فقال لي يوما: « لم يُصَبِّح في حاصلِ درهمٍ واحد، فاستسلف لي شيئا أنفقته. ففضيتُ إلى منزلي فحملتُ إليه ألفَ دينار. فلما وضعتها بين يديه، فتَّحَ الكيسَ وقلبَ ما فيه، فلما رأى الدنانير صحاحاً جيدة، قال: « ما هذه دنانير صَيْرِنِي، فبِحَيَاتِي مَن أَخَذْتَهَا؟، فقلت له: « كانت عندي، فقال: « ما ظننتُ هذا موضعك!، وسكت

وكان له في كل شهر ألف دينار نُزْلٌ<sup>(٤)</sup>، فجئته به عند استيجابه إياه، فقال لي: « ما هذا؟، قلتُ: « النُّزْلُ، فقال: « آفِضْ به دنانيرَ الرَّجُلِ،. ثم جئته به مرة أخرى بنُزْلِ الشهر الثاني، فقال: « اصْرِفْهُ إلى الرَّجُلِ،، قلتُ: « قد عُذِّيتُهُ،، فقال: « اصْرِفْهُ إليه كما أمرك،. فلم يزل يفعلُ بي هذا حتى مضى ثلاثون شهرا حَصَلَتْ فيها ثلاثين ألفَ دينار،

---

(١) كثروا في إصابتك معه، أي: أكثروا وتزيدوا في تقدير ما استفادته من الأموال

(٢) السمع: الجواد السخي السهل العطاء

(٣) الذخيرة: ما يدخره الرجل ويحفظه. واعتقدها: أمسكها وجمعها

وكأنه عقد عليها عمدة

(٤) النزل: رزق العامل وأجره - (المرتب)



٢٠ - حدثني هرون بن مملول ، قال ، حدثني ياسين بن

نصراني  
ومستر

زُرارة ، قال :

« كان ببعض أرياف مصر نصرانيٌّ من أهلها كثيرُ المالِ ،  
فاثبي النعمة ، سمح النفس ؛ وكانت له دارُ ضيافةٍ ، وجراباتٌ<sup>(١)</sup>  
واسعةٌ على ذوى السَّترِ بالفسطاطِ . فهرب من المتوكل رجلٌ  
- كنى عن اسمه - خطيرُ المنزلة ، لميل كان من المنتصر إليه ، وتبرأ  
من حاشيته ولبسَ جُبَّةَ صوف ، فانهى به المسير إلى مصر . فلما  
دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، تخاف أن يُعرف فنزع  
إلى أريافها<sup>(٢)</sup> ، فانهى به المسير إلى ضياع النصراني ، فرأى فيها  
منه رجلاً جميلَ الامر . وسأله النصرانيُّ عن حاله ، فذكر أن  
الإختلالَ<sup>(٣)</sup> انتهى به إلى ما ظهر عليه ، فغسَّره هياتهُ ، وفوض  
إليه شيئاً من أمره ، فأحكَمه فيما أسندَ إليه واضطلع به . ولم  
يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن  
قيام ، فكان محلُّ الرجلِ الهاربِ من النصراني ، يفضِّل كلَّ ما  
ذَهَبَ له

وورد على النصرانيِّ مُستَحِثٌ بحمَلِ مالٍ وجَبَّ عليه ،<sup>(٤)</sup>

(١) الجراية : الصدقة الجارية التي لا تنقطع

(٢) نزع إلى الريف : تباعد إليه في رحلته

(٣) اختل الرجل : انتقم واحتاج ، والخلَّة : الحاجة والفقر

(٤) المستحث : الذي يستحثه ويستعجله



[وسأله] النصراني عن خَبَرِ الناسِ بالفُسْطاطِ ، فقال : « ورد خَبَرٌ قَتَلَ المتوكِّلَ وتَقَلَّدَ المنتصر ، ووَاقَى رسولٌ من المنتصر في طلبِ رجلِ هَرَبَ في أيامِ المتوكِّلِ يُعَرَفُ بفلانِ بنِ فلانِ ، ويُوَعِّزُ إلى عمالِ مصر والشامِ بأنِ يَتَلَقَّوهُ بالتَّكْرِمَةِ والتَّوَسُّعَةِ ، فيلحقَ أميرَ المؤمنين في حالِ تُشْبِيهِ مُحَلَّهُ عنده ،

فعدل النصراني بالمستحِثِّ إلى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهاربُ بالنصراني فقال : « أحسن اللهُ جَزَاءَكَ ا فقد أَرَلَيْتَ غَايَةَ الجليل ، وأحتاج إلى أن تَأذَنَ لي في دُخُولِ الفُسْطاطِ » ، فقال : « يا هذا ! إن كنتَ استَقَصَّرْتَنِي <sup>(١)</sup> فَأَحْتَسِبْ في مَالِي ، فَإِنِّي لَا أَرُدُّ أَمْرَكَ ، وَلَا أُرْوِلُ عَنْ حُكْمِكَ ، وَلَا تَنَأَى عَنِّي » ، فقال له : « أنا الرجلُ المَطْلُوبُ بالفُسْطاطِ ، وقد خَلَقْتَ شَمْلًا جَمًّا ونِعْمَةً واسعة ، وَإِنَّمَا عَدَلْتُ بِإِي خُورْفِ عَلَي نَفْسِي » ، فقال له : « يَا سَيِّدِي ! فَاإِلْمَالُ في يَدِكَ ، وَمَا عِنْدَكَ مِنَ الدَّوَابِّ فَأَنْتَ أَعْرُفُ بِهِ مَنِّي ، فَأَحْتَسِبْ فِيهِ ، فَأَخِذْ بِغَالَا وَمَا صَاحَ لِمِثْلِهِ ، وَخَرَجَ النَصْرَانِي مَعَهُ ، وَقَدَّمَ كِتَابًا إِلَى عَامِلِ المَعُونَةِ <sup>(٢)</sup> مِنْ مُسْتَقَرِّهِ ، فَنَلِقَاهُ عَامِلُ المَعُونَةِ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ ، وَوَصَّاهُ وَجَمِيعَ العُمَّالِ بِالنَصْرَانِي . وَصَارَ إِلَى الحِضْرَةِ ، فَأَصْدَرَ إِلَيْهِمُ الكُتُبَ فِي الوَصَاةِ بِهِ ؛ إِلَى أَنْ قَدَّمَ بَعْضَ العُمَّالِ المُنَجِّرَةَ ، <sup>(٣)</sup>

(١) استقصره : وجده مقصراً

(٢) عمل المعونة كان من أكبر وظائف الدولة كولاية الخراج

(٣) يريد العمال الذين يجعلون سلطان عملهم تجارة ، فيظلمون الناس

فتتبع النصراني ورام الزيادة عليه ، فخرج إلى بغداد  
قال لي هرون ، أن ياسين قال له ، أن النصراني حدثه ، : أنه  
دخل بغداد فلم يربها أوتى محلا وأكثر قاصداً منه  
ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير ، فخرج أكثر غلماناه حتى  
استقبلوني ، فلما رأني قام علي رجليه ثم قال : « مرحباً بأستاذي  
وكافلي والقائم بي حين قعد الناس عني » ، وأجلسني معه . وانكب  
علي ولده وشمله ، وأنا أتأمل مواقع الإحسان من الأحرار .  
وسألني عن حالي في ضياعي ، فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه  
في مجلسه ، فنظر إليه من كُنّا عنده وقال له : « كنتُ السبب في  
تقليد أخيك ، فصار أكبر سبب في مساءتي » . فكتب من مجلسه  
كتاباً إليه بجملة الخبر وأنفذه . وأقتُ عنده حولا في أرغد عيشة  
وأعظم ترّفه . وورد علي كُتب أصحابي ، فخبروني بانصراف العامل  
عن جميع ما كان اعترض عليه في أمري ، وأخرج أمر السلطان  
في إسقاط أكثر خراج ضياعي ، والاقتصار بي علي يسير من مالها ،  
قال ياسين ، فكتب النصراني ببغداد حجة <sup>(١)</sup> أشهد فيها علي  
نفسه أن أسهمه في جميع الضياع التي في يده . وسمّاها وحددّها .  
لهذا الرجل الذي كان هرباً ، وصار بها إليه ، فقال له : « قد  
سوغك الله هذه الضياع » <sup>(٢)</sup> فإني أراك أحق بها من سائر الناس ،

(١) الحجة : كتاب يكتب ليكون وثيقة وحجة

(٢) سوغه الشيء ، أي : جعله له سائفاً سهلاً

فامتنع الرجلُ من ذلك ، وقال له : « عليك فيها عاداتٌ تُحسِّنُ ذَكَرَكَ ، وتُرُدُّ الاَضغانَ عنك ، ولست أقطعها بقبض هذه الضياع عنك »

ورجع النصراني إلى الفسطاط فجدد الشهادة له فيها . فلما توفى النصراني أقرها في يد أقاربه ، ولم يزالوا معه بأفضل حال «

\*\*\*

يحيى البرمكي  
والفضل بن  
سهل

٢١ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب عن أبيه ، قال :

« كان يحيى بن خالد بن برمك قد تبني الفضل بن سهل وأجراه مجزى الولد - ونظر إليه ولده بعين الأخر لهم - . فضمه إلى المأمون . وكان يحيى بن خالد حسن المعرفة بالنجوم ، والفضل بارعاً فيها ، فاتفقا على ما ترجبه النجوم في مدد البرامكة (١) ، وتبيننا سعادةً تنتهي إليها حال الفضل ، وكان كل واحدٍ منهما كالمشاهد لما انتهى إليه

وأوقع الرشيد بالبرامكة ، فاعتصم الفضلُ بمحاله من خدمة المأمون ؛ وكانت يده تعجز عما يصلح يحيى وولده عند الرشيد ، فوجه إليه : « سيدى ! قد كرتبني أمرُك (٢) ، ولست أصل إلى

(١) المدد : جمع مدة ، ويريد : مدد بقاء سلطان البرامكة

(٢) كرتبه الأمر : ضيق عليه الكرب وشده

حُسْنُ الدَّفَاعِ عَنْكَ ، فَأَحِلَّ ذِمَامَهُ فِي هَذِهِ الْمِحْنَةِ <sup>(١)</sup> ؛ فَإِنِّي أَرْجُو  
أَنْ أَضِيَّهَ عَنْكَ عِنْدَ آتِهَائِي إِلَى سَعَادَتِي ،

قال ابن أبي يعقوب : فحدثني أحمد بن أبي خالد الأحول ،  
قال : « أَتَّصَلَ بِي مِنْ ضَيْقِ يَحْيَى مَا كَدَّرَ عَيْنِي . وَذَكَرْتُ  
إِحْسَانَهُ إِلَيَّ ، وَحُسْنَ صَدِيقِي بِي ، فَضَاقَ بِي الْعَرِيضُ . وَوَجَدْتُ  
مَا أَمْلَكُهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، فَقَسَمْتُهَا قِسْمَيْنِ ، وَحَمَلْتُ أَحَدَهُمَا ،  
وَتَوَصَّلْتُ إِلَى الدَّخُولِ إِلَيْهِمْ فِي مَحْبِسِهِمْ ، فَوَضَعْتَهَا بَيْنَ يَدَيِ يَحْيَى  
ابن خالد ، فَقَالَ لِي : « أَيْسَ يَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُعْرِكَ مِنْ أَنْفُسِنَا ،  
وَلَا أَنْ نَعِدَّكَ عِنَّا مَا لَا تَقِي بِهِ الْإَيَّامُ لَكَ ، وَقَدْ انْتَهَى أَمْرُنَا ،  
فَإِنْ كُنْتَ تُقَدِّرُ أَنْ أَحْوَالْنَا تَصَاحُ فَأَمْسِكْ عَلَيْكَ مَالِكَ » ،  
فَقُلْتُ : « مَا ذَهَبْتُ فِي ذَلِكَ إِلَّا لِقَضَاءِ بَعْضِ الْحَقِّ عَنِّي » . فَأَخَذَ  
بِضَاءَ <sup>(٢)</sup> فَكَتَبَ فِيهَا : « يَا أَبَا الْعَبَّاسِ أَيْدِكَ اللَّهُ هَذَا رَجُلٌ  
حَلَّصَ عَلَيَّ تَجْرِبَتَنَا <sup>(٣)</sup> ، وَأَحْسَنَ بِنَا مَعَ اسْتِحْكَامِ يَأْسِهِ مِنَّا ، وَأَنَا  
أَذْكَرُكَ الْعَهْدَ ، وَأَرْغَبُ إِلَيْكَ فِي قَضَاءِ حَقِّهِ عَنِّي ، وَتَخْفِيفِ ثِقَلِهِ  
عَلَيَّ ، أَحْسَنَ اللَّهُ عَوْنَكَ ، وَكَفَاكَ مَا أَعْجَزَكَ » . ثُمَّ نَهَاها وَقَطَعَهَا  
عَرْضًا بِقَطْعَتَيْنِ ، وَقَالَ لِي : « احْفَظْ هَذَا النُّصْفَ مَعَكَ ، وَلَا  
تَفْرُطْ فِيهِ فَيَفْوَتْكَ حِظٌّ كَبِيرٌ » ،

---

(١) الذمام : العهد والميثاق ، وأحل الذمام : جعله حلالا لا ياتزم

عهده وشرطه

(٢) يريد : ورقة بيضاء

(٣) خلاص على التجربة ، أي : تبين إخلاصه بعد التجربة والمحنة

ثم فرق ذلك المالَ في قوم ضَمَعَتْ أحوالُهُم بما لحِقَه ، وانصرفتُ من عنده وقد آيَسَني من رجوع حاله ، وأعطاني نصفَ رُقعة لا أقف على ما تُوصِلُ إليه . وتَقَضَى أمرُهُم<sup>(١)</sup> ، ومات الرشيدُ بَطُوس ، وغاب الفضلُ بن سهلٍ على المأمونِ بخراسان ، وخلفه على جميع أمره ، وشَجَرَ الأمرُ بين الأمين والمأمون<sup>(٢)</sup> ، فظاهرَ المأمون عليه<sup>(٣)</sup> ، وصحَّتِ وزارةُ الفضل ابن سهلٍ للمأمون ، ووردت بادِرَةُ المأمون<sup>(٤)</sup> بذلك إلى سائر النواحي . وطالت عُنطاتي ، واشتدَّتْ فاقتي ، وفقدت من كان يُؤثرني وينحاشُ إليَّ<sup>(٥)</sup>

فإني لجالس في منزلي - في يوم قد أعوزني فيه قوتُ يومى ، وعلى ثوبِ خَاقٍ ، وائس لي إلا خِلْمَةٌ أركبُ فيها - حتى دخل إلى غلامى فقال : « بالباب جماعة من أصحاب طاهر بن الحسين ، فلبستُ ثيابَ رُكوبى ، وأذنتُ لهم ، وتقدّمهم رئيس لهم تبينت إعطامى في نفسه ، فقال : « الأميرُ طاهرٌ يسألك المسيرَ إليه » . فهضتُ ، فلما دخلتُ قدّمنى وأعظمتنى وقال : « ورد كتابُ الوزير أيده الله علىّ في حملك إلى حضرته على حالِ تَكْرِيمَةٍ ، ومعك

(١) تقضى أمرهم : انتهى وانقضى

(٢) شجر الأمر بين الصديقين : إذا اختلفا وتنازعا وتشاجرا

(٣) ظهر عليه : غلبه وفاز به

(٤) البادرة : أوائل من يأتي بالأخبار والبشرى

(٥) انحاش إليه ، يريد : أكثرث له ، أو اجتمع إليه

نصف الرقعة التي دفعها إليك يحيى بن خالد، وأمرني بدفع ألفي دينار إليك لمولتك ومُخلفيك<sup>(١)</sup>،

فقويت نفسي، وانفسح رجائي، وخرجتُ بعد قبض المال مع رسول طاهرٍ . فلما دخلتُ إلى الفضل بن سهل، لقيني بأجمل لقاء، وسألني عن نصف الرقعة فأحضرتها، ثم أسرَّ إلى بعض خاصته شيئاً، ففضى، وجاء برقعة فوصلها بها فكلمت، فلما استتمَّ قراءتها بكى، ثم قال: «رحم الله أبا العباس! فما كان أعرفه بتصرف الأيام، واستدعاء الشكر فيها، والتحيز من الذمِّ بها!»<sup>(٢)</sup>

ثم أدخلني إلى المأمون، وواكد أمرى عنده<sup>(٣)</sup>، حتى بلغت معه إلى أخصِّ أحوال كتابه، ومن وثق به في مهمِّ أمره

\*\*\*

٢٢ - وحدثني عليُّ المنتطبُّ المعروف بالديدان - وكان على المتطبب وولد أفلاطون  
حسن المعرفة بكتب أفلاطون ورُموزه، ومبرزاً في الطب، -  
قال:

«خرجت مع رجل - يُعرف بابن بروخ - من قواد السلطان إلى

(١) الحولة: ما يحمل عليه القاعد من الدواب، والمخلفون، يريد:

أهله الذين يخلفهم وراءه

(٢) تحيز من الذم: تنحى عنه وتأخر

(٣) واكدته وركده: أوثقه

طَرَسُوس ، فغنم سنيًا كثيرًا<sup>(١)</sup> ، وكان السبي في دار خرابٍ في  
الموضع الذي نزل فيه ، فدخلت لتأمله ؛ فوجدت في السبي شابًا  
حسن الصورة جميل السميت<sup>(٢)</sup> ، وأكثر السبي حوله ، ومكانه  
منهم مكان المولى من الممالك : يتسرعون إلى جميع ما أوتى إليه ،  
ويكفون أخذَه بنفسه . فكلمت فيه بعض السبي وسألته عنه ، فقال  
لي : « هذا من ولد أفلاطون ا ، فارتحت إليه لانتفاعي بجدّه ،  
ودخلت إلى ابن بروخ فقلت : « هب لي من هذا السبي غلاماً » ،  
فقال لي : « خذّه »

فدعوت بـغلامٍ يشتمل على أمرى<sup>(٣)</sup> ، ووصفت له الشاب  
الذي في السبي ، وقلت له : « إذا سلّمه إليك غلام ابن بروخ  
فأطعمه بما أعددت من طعامي ، وألبسه من فاخر ثيابي ، وطيبه  
ومكّنه من مجلسي إلى أن أنصرف إليك » . وتشاغلّت بأمر ابن  
بروخ إلى آخر النهار ، وأنصرفت ، فوجدته على الهيئة التي  
آثرتُها ، ورام منّي ما يفعله غلمانى من الوقوف ، فنتعته من ذلك ،  
فقال لي بالرومية : « ياسيدى ! ما الذى وعدت بك به نفسك منى ؟  
فإن كان عندى بذلته لك وكنت حقيقاً به ، وإن لم يكن لدى  
صدقتك عنه ، ولم أتغنم منك ما لا يشبهنى تغنمه<sup>(٤)</sup> » ، فقلت له :

(١) السبي : الأسرى من العدو

(٢) السميت : الهيئة والمنظر والحركة

(٣) يشتمل على أمره : يخدمه فى جميع أمره ويحوظه

(٤) تغنم الشيء : طلب أن يجعله غنيمه بغير جهد

« قد اقتبَسنا من جدِّك أنواراً حَسُنَ بها أثره علينا ، ووجب علينا بها  
وقايَتُك بأنفسنا ، ، فقال : « والله إنَّ الطَّبَاعَ التي لاسلافنا معنا ،  
ولكنَّا شغلناها في رَعْيِ الخنازير ، فبمَدَّتْ بها بمن قرَّبْتنى له ،  
وأكرمتنى بسببه »

تُخَيَّرْتَه بين الدخول معى إلى مصر ، على أن أشاطره مِلْكِي  
وعيشى ، أو أحتالَ له فى رَدِّه إلى بلده ؟ فاختار رَدَّه إلى بلده .  
فطَفَفْتُ له<sup>(١)</sup> - ينفذ بعض من أتق به مع الرُّسُل المتوجِّهين معه - حتى  
وصل إلى بلده ،



محمد بن سليمان  
والمؤلف

٣٣ - وكانت تَنتابُ عجائزنا<sup>(٢)</sup> بمجوزٍ جميلة المذهب ، ضعيفة  
الحال - تُعرَفُ بأمِّ محمد - ، فيجتمعنَ على كلِّ صاحبة ، وكنت  
أخضها بكفائتها . فلما دخل محمد بن سليمان مصر ، نَزَلَ فى  
ظاهرها ، واستدعى الواحد بعد الواحد من أسباب الطولونية<sup>(٣)</sup> ،  
فاستصنى ماله بالسَّوْطِ وعظيم الإخافة<sup>(٤)</sup> ، فراغنى أمره ، وخفتُ  
أن يلحقنى عَسْفُهُ

(١) لطف له وبه . ترفق

(٢) انتاب القوم : إذا قُصِدَ ، وأناهم مرة بعد مرة

(٣) الأسباب : المودات ، ويريد أصدقاء بنى طولون الذين يمدون

إليهم بسبب

(٤) استصنى مال الرجل : استخلصه وأخذ صفوه ، واستخرج

أكثره



فإني لجالس في يوم من الأيام وأنا خائف ، حتى دخلتُ جاريةً  
أم محمد العجوز ، فسألت عليّ ، فظننتُها واللهِ تَقْتَضِي بعضَ  
مأوِذُها ، فقالت : « سيِّدتي أم محمد تقرأ عليك السلام وتقول :  
« جاءني الساعة رسولُ ابن عمي وسيدي أبي عليٍّ محمد بن سليمان  
يسألُ عني فعرّفه أني كنتُ في كِفايتك ، ، والرسول على الباب  
يريدُ الوصولَ إليك » ، فقلت : « يَدْخُلُ »

فدخل شابٌ حسن الصورة يُعرَفُ بناشي ، فقال : « جزاك  
الله خيراً ، لقد وصفتك آبنه عم سيدي بما أرجو أن يحسنَ أثره  
عليك » . ودعا بأصحاب الأرباع ، فتقدم إليهم بأن يَمْنَعُوا مَنْ  
تعرّضني ، فعرضتُ عليه برّاً فقال : « وأيُّ برٍّ أكثر مما أتيتَه  
إلينا ؟ » ، وانصرفَ عنا

فرجع إلى ناشي هذا برُقة بخط ابن سليمان : « سر إلينا لننظرَ في  
أمرك ، ونبلِّغَ فيه محبتك ، فإني أرعى لك متقدّمَ حرمتك ، ووكيدَ  
أسبابك ، إن شاء الله » . ومالحقني منه شيء أكرهه حتى انصرف  
عن البلد

\*\*\*

٢٤ - وكان أبو الفياض سوار بن أبي شُرَاعَةَ الشاعر صديقاً ابن أبي شُرَاعَةَ  
والمؤلف  
لي ، وماتلاً إلى ، فلما اعتزم على الرجوع إلى العراق ، سألتني أن  
أكتبَ له شيئاً من شعري ، فكتبتُ له مقدار خمسين ورقةً منه ،  
وكان يستحسنه ويُعجِبُ به . فصار إلى بغداد وعرضه على جماعة

الأحرار<sup>(١)</sup>، وأحسن وصفي لهم بسلامته مذهبه، وطهارة نيته  
ودخل محمد بن سليمان مصر، وقد رُدَّ البريدُ بها إلى  
أبي عبيد الله أحمد بن صالح، فسأله عند دخوله إياها عن أحمد  
ابن يوسف، فأحضر أحمد بن يوسف - كاتباً كان لأحمد بن  
وصيف، ولأبن الجصاص بعده -، فقال له: «تعرف  
أبا الفيّاض؟»، قال: «لا». فقال لهم: «ليس هذا الرجل  
الذي طلبتُ»، فأحضرتُ، فلما رأني استشرف إلى<sup>(٢)</sup>، وقال:  
«تعرف أبا الفيّاض؟»، فقلت: «ذَكَرَكَ اللهُ وإياه بكلِّ  
صالحةٍ! نعم أعرفه، وكان خِلاًّ لي!»، فقال: «هل أنشدَكَ  
من شعره؟»:

ظَلَلْنَا بِهَا نَسْتَنْزِلُ الدِّنَّ صَفْوَهُ

فَيَنْزِلُ أَقْبَاسًا بَغَيْرِ لَهِيْبٍ ،

قلت: «لا ياسيدي! ولكني أنشدته إياه من شعري!»،  
فضحك وقال: «والله لقد اشتقت إلى الدخولِ إلى مصر من  
أجلك!». وكان والله أفضلَ عونٍ لي على أمورِي

\*\*\*

٢٥ - وحدثني أحمد بن سقلاب، قال:

«كان بمصر رجلٌ من الفقهاء مشهورُ الإِسْمِ، وله حَلِيقَةٌ

علائق بن  
المغيرة وفقهه

(١) الأحرار: الأشراف والأفاضل، جمع حر

(٢) استشرف إليه: تطاول وتطلع إليه، ثم خرج إلى لقائه

عظيمة بالجامع . فبينما هو في صدرها إذ وَاقَى عَلَّانُ بن المغيرة <sup>(١)</sup> ،  
فلما رآه مقبلاً نحوه قام إليه على رجله ، ثم خطا إليه حتى ألقى به .  
فأكثرت الجماعةُ قيامَ شيخٍ مثله إلى حَدَثٍ <sup>(٢)</sup> مثلِ عَلَّانِ ،  
وتحقيقه به ، وعَرَضَ نفسه عليه ، وأنه لم يدع شيئاً يفعله تابع  
بمتبوع إلاّ بَدَلَهُ ، وأسْرَرْنَا الموجدَةَ عليه <sup>(٣)</sup> . فلما قام عَلَّانُ  
قال لجماعتنا : « ما أعلنى بما أضمرتم ! ولكنى أرىكم عُذرى فيما  
خرجتُ إليه :

« كانت عندي ألف دينار وديعةٌ لرجلٍ بالمغرب قد طال مُقامها ،  
وطالب زوجُ ابنتي يادخالِ امرأته عليه ، جلستُ أمها بِحَضْرَتِي  
فقلت لى : « ما الذى تراه فيما قد ألح فيه هذا الرجل ؟ » ، فقلت  
لها : « نستعمل فيه التجوز » <sup>(٤)</sup> ، فقلت لى : « لنا حُساد نخاف  
شما تمهم ، ولا بُدَّ من أن تُعيني على التجميل » ، فقلت : « إن كان  
ما تريدن فى قدرتى لم أبخلُ به عليكم » . قالت : « هو فى قُدرتك ! »  
قلت : « ما هو ؟ » ، قالت : « تمكُننى من هذه الوديعة ، ونحتاج  
فيما نبتاعه من الجَهاز حتى يصل إلينا ثمنه فى أىِّ وقتٍ أردناه ،  
ونُدْخِلُ هذه الصبيَّة على زَوْجها . فإن جاء صاحبُ الوديعة بِعِنا

---

(١) فى الأصل : « ابنِ عَلَّانِ بن المغيرة » ، ثم ذكره فقال . « علان » ،

(٢) الحدت : الحديث السن الصغير

(٣) الموجدة : الغضب المكتوم

(٤) التجوز : التساهل

ما آشتريناه ولم نُوضِعْ فيه <sup>(١)</sup> إلا ما يسهُل علينا عُزْمُه ، قلت :  
« هذا قبيح عند الله وعند خلقه ا » . فلم نزل نُبلِّغُ بي وتحتالُ  
عليّ ، حتى أُجبتُها . فجهّزتُ ابنتها بجميع المالِ ، وأدخلتها  
على زوجها

فلم يمضِ بنا بعد ذلك إلا شهران حتى واثى صاحبُ الوديعه  
يطلبُها ، فقلت لها « ماتفعلين ؟ » ، فقالت : « أنضى فأحيل المتاع  
وأبيعُه » . فمضتُ إلى ابنتها ورجعتُ إلى ، فقالت : « لا تشغَلْ نفسك  
بهذا المتاع ، فقد حَلَفَ زوجها بطلاقِها أنه لا يخرجُ منه شيءٌ  
عن منزله » ، فسَقِطَ في يدي <sup>(٢)</sup> ، ورأيتُ الفضيحةَ في الدارينِ  
متصديةً لي : فوَضِعُ إطاري بين يدي فلم أطمِ ، وأعتراي  
ماخفتُ منه على عَقْلي ، وبُثُّ بليلة ما بُثُّ بمثلها ، وأنا أتبين سهولةَ  
ذلك على زوجتي في جنب ما أحرزته لبتها . ثم آتيتُ قبلَ  
الفجرِ بمنازلِ ، فصحتُ بالغلامِ « أسرج لي ا » ، فقام <sup>(٣)</sup>  
وأسرج ، وقال : « ياسيدي ! أين تمضي ؟ » ، فقلت : « ليس  
لك الاعتراضُ عليّ » ،

وركبتُ وسيرتُ بطُوعِ عِناني ، فلم يزلُ بَغْلي يسير حتى دخلتُ

---

(١) أوضع في المال (بالبناء للجهول) : وكس وغبن وخسر  
(٢) سقط في يده : (بالبناء للجهول) : إذا زل الرجل وأخطأ قدم

على ما فرط منه

(٣) أسرج له : أي وضع على الدابة سرجها

زُقَاتُ عَلَانَ بْنِ الْمَغْزِيزَةِ ، فَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، وَصَاحَ الْغِلامُ  
بِالبُوابِ وَعَرَّفَهُ بِمَوْضِعِي . فَسَمِعْتُ حَرَكَةَ فِي دَارِهِ ، ثُمَّ فُتِحَ البَابُ  
وَأَذِنَ لِي بِالدُّخُولِ . فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ شِمْعَةً وَهُوَ  
يَكْتُبُ جَوَابَاتِ كُتُبٍ وَكَلَانِهِ . فَلَمَّا رَأَيْتُ قَامَ إِلَيَّ ، وَقَالَ لِمَنْ  
حَضَرَهُ مِنَ الْغِلْمَانِ ، « تَنَحَّوْا ! » ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : « وَاللَّهِ لَوْ  
بَعَثْتُ إِلَى لَسْرَتُ إِلَيْكَ وَلَمْ أُجِشِّمْكَ السَّعْيَ إِلَيَّ ، فَأُشْرِحَ لِي أَمْرَكَ » ،  
فَعَلَّبَتْنِي الْعَبْرَةَ وَحَالَاتِ بَيْنِي وَبَيْنَ الْكَلَامِ ، فَمَا زَالَ يُسَكِّنُنِي حَتَّى  
انْصَصْتُ لَهُ اِنْفَاقَ الْوَدِيعَةِ <sup>(١)</sup> ، وَهُوَ مَغْمُومٌ بِأَمْرِي . ثُمَّ قَالَ :  
« فَكَمْ هَذِهِ الْوَدِيعَةُ ؟ » ، فَقُلْتُ « أَلْفُ دِينَارٍ ! » ، فَضَحِكَ ، وَقَالَ :  
« فَرَّجَتْ وَاللَّهِ عَنِّي أَمَا تَوَسَّيْتُ أَنْي أَمْلِكُهَا <sup>(٢)</sup> ، فَكَانَ الْغَنَمُ يَقَعُ  
بِهَا ، فَأَمَّا وَهِيَ فِي الْقُدْرَةِ فَمَا أَسْهَلُهَا عَلَيَّ ، وَأَخْفَى لَدِي ! » ، ثُمَّ قَالَ  
اِغْلَامُهُ : « جِئْتُ بِتِلْكَ الصَّرَارِ <sup>(٣)</sup> الَّتِي وَرَدَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَغْرِبِ فِي  
هَذَا الشَّهْرِ » ، فَبَاءَ بِأَرْبَعِ صِرَارٍ فَنَظَرَ فِيهَا عَلَيْهَا وَجَمَعَهُ وَقَالَ :  
« هَذِهِ أَلْفُ دِينَارٍ وَخَمْسُ مِائَةِ دِينَارٍ ، أَلْفٌ لِلْوَدِيعَةِ ، وَخَمْسُ مِائَةِ  
تَصْلِحُ بِهَا مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَنْ عِنْدَكَ » ، ثُمَّ قَالَ لِي : « مَتَى أَشْكُرُ  
إِفْرَادَكَ إِيَّايَ - بَعْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذَكَرَهُ - بِتَأْمِيلِي فِي حَادِثَةِ  
حَدِثَتِ عَلَيَّ ، فَأَعَانَنِي اللَّهُ عَلَى مَكافَأَتِكَ ؟ » . وَأَضَافَ إِلَيَّ مِنْ  
خَفَرَنِي إِلَى مَنْزِلِي ،

(١) نص الحديث إلى فلان : رفعه إليه وأظهره

(٢) توسم الشيء : توهمه وتخيله

(٣) الصرار : جمع صرة ، وهي التي تصر فيها الدراهم

فقال الجماعة: « قد سمعنا عُذْرَكَ ، وعلينا عهدُ الله إن لقيناه .  
أبدأ إلاً قياماً »

\*\*\*

الطالبى ووالد  
المؤلف

٢٦ - وبعثَ أحمد بن طولون - فى الساعة التى تُؤْتَى فيها  
يوسف بن إبراهيم والدى - بِخَدَمٍ فَهَجَمُوا الدَّارَ (١) ، وَطَالَبُوا  
بكتبه : مَقْدَرِينَ أَنْ يَجِدُوا فِيهَا كِتَابًا يَمُنُّ بِبِعْدَاذِهِ . فَعَمَلُوا صَنْدُوقَيْنِ  
وَقَبَضُوا عَلَى وَعَلَى أُخِي ، وَصَارُوا بَنَاءً إِلَى دَارِهِ . وَأَدْخَلْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ  
فِيهَا جَالِسٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ الطَّالِبِيِّينَ . فَأَمَرَ بِفَتْحِ  
أَحَدِ الصَّنَدُوقَيْنِ ، وَأَدْخَلَ خَادِمٌ [ يَدُهُ ] ، فَوَقَعَ دَفْتَرُ جَرَايَاةِ  
عَلَى الْأَشْرَافِ وَغَيْرِهِمْ . فَأَخَذَ الدَّفْتَرَ بِيَدِهِ وَتَصَفَّحَهُ - وَكَانَ جَيِّدَ  
الاسْتِخْرَاجِ - فَوَجَدَ أَسْمَ الطَّالِبِيِّ فِي الْجَرَايَاةِ ، فَقَالَ لَهُ وَأَنَا أَسْمَعُ :  
« كَانَتْ عَلَيْكَ جَرَايَاةٌ لِيُوسُفَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ؟ » ، فَقَالَ [ لَهُ ] : « نَعَمْ !  
أُثِمَّا الْأَمِيرُ ! » ، دَخَلْتُ هَذَا الْبَلَدَ وَأَنَا مُمْلِقٌ (٢) ، فَأَجْرَى عَلَى فِى  
كُلِّ سَنَةٍ مَائَتَى دِينَارٍ وَمَائَتَى إِزْدَبَ قَعِ ، أَسْوَةَ بَابِنِ الْأَرْقَطِ  
وَالْعَقِيقَى وَغَيْرِهِمَا . ثُمَّ أَمْتَتَّ يَدَايَ بِطُولِ الْأَمِيرِ (٣) فَاسْتَعْفَيْتُهُ  
مِنْهَا ، فَقَالَ لِي : « نَشَدْتُكَ اللَّهَ إِنْ قَطَعْتَ سَبِيحًا لِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ! » ، وَتَدَمَّعَ الطَّالِبِيُّ (٤) ، فَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ

(١) هجم الدار: دخلها بغتة بغير إذن

(٢) أملق الرجل فهو مملق: نفذ ماله فهو فقير

(٣) امتت يده بكذا: اتصلت . والطول: الفضل والإحسان

(٤) تدمع: أى سالت دمعته وبكى ، ولم يوجد فى اللغة ، ولكنه

كثير فى كتب عصر ابن طولون

طولون : « يرحمُ اللهُ يوسفَ بنَ إبراهيمَ ! » . ثم قال لنا : « انصرفوا  
إلى منازلكم ، لا بأس عليكم ،  
فانصرفنا فلاحقنا جنازةَ والدنا ، وحضّرنا العلويُّ وقد أحسن  
مكافأةَ والدنا في تخلفه

\*\*\*

٢٧ - وحدثني موسى بن مصلح ، قال :  
أنفذ إلى حسن بن مهاجر - كاتب أحمد بن طولون - عشرة رجال  
موسى بن مصلح ورجال من التجار

من التجار ، وقال : « اعتقلهم بمعزِلٍ عن المسجونين ، حتى أعرضهم  
في غدٍ على الأمير » . فتسلمت منه قوماً تشهد لهم القلوب بالفضل ،  
فأنستُ ووحشتهم ، وفسختُ رجاءهم . فقالوا لي : « قد شكرنا جميلَ  
صنيعك ، ولنا إليك حاجة » ، قلت : « ما هي ؟ » ، قالوا : « فينا  
قوى يضعف قلبه عن لقاء الأمير ، فتقبل مِنَّا بدلاً به ، ولك علينا  
مائة دينار » ، قلت : « أنا أفعل ، إن وجدتم من يُجيب إلى هذا » .  
- وكان عندي أنه كالممتنع - ؛ فأخذ شيخٌ منهم رُفعةً وكتب فيها إلى  
رجلٍ كان قد أولاه عارفةً ، فسأله ذلك ، فأجابه الرجل : « إني  
ياثرُ رُفعتي » ،

قال موسى : « فتوهّمتُ أن هذا قولٌ لائمهٌ له ، فلم أشعر به حتى  
وأتى فقال : « ما أخرجني عنك إلا أتى جدّدت وصيةً ، وأحكمتُ  
ما خفت أن يقطعني عنه مادَعَوْتَنِي إليه » ، وقال : « لستُ أُجيبك  
إلى ما التمسْتُ ، حتى تكون المسائتةُ الدينار من عندي دون جماعتكم » ،

وأخرجها من كُفِّهِ وَدَفَعَهَا إِلَيَّ ، وَصَرَفْتُ الرَّجُلَ . وَأَقَامَ هَذَا مَكَانَهُ ، فَلَمْ أَتَبَيَّنْ مِنْهُ غَمًّا بِهَذَا وَلَا قَلْقًا لَهُ . وَظَلُّوا لِيَلْتَمِمْ بِتَحَدُّثُونِ وَيَقْنَشِدُونَ ، وَالسَّلَامَةُ غَالِبَةٌ عَلَى خَوَاطِرِهِمْ ، حَتَّى أَصْبَحُوا . وَأَخْرَجَهُمْ حَسَنُ بْنُ مُهَاجِرٍ فَعَرَضَهُمْ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ ، فَتَبَيَّنَ تَحَامُلَهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَرَهُ بِتَرْكِ التَّعَرُّضِ لَهُمْ . فَانْصَرَفُوا . وَكَانَتْ أَلطَافُهُمْ تَرِدُ عَلَيَّ حَتَّى فَقَدْتَهُمْ ، <sup>(١)</sup>



٢٨ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَيْمَنَ كَاتِبُ أَحْمَدَ بْنِ طَوْلُونَ ، قَالَ :  
« دَخَلْتُ بِالْبَصْرَةِ إِلَى تَاجِرٍ ذَهَبَ عَنِّي اسْمُهُ ، فَرَأَيْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ابْنِينَ لَهُ فِي نِهَايَةِ مِنَ النِّظَافَةِ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ أَقْبَلَ بِنَظَرِي إِلَيْهِمَا ، قَالَ لِي :  
« أَحِبُّ أَنْ تُعَوِّذَهُمَا <sup>(٢)</sup> ، فَفَعَلْتُ ، وَقُلْتُ لَهُ : « اسْتَجِدْتُ الْأُمَّمَ فَحَسَنَ نَسْلِكَ ، » فَقَالَ : « مَا بِالْبَصْرَةِ أَقْبَحُ مِنْ أُهْمِهِمَا ، وَلَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا . وَلَهَا مَعِيَ خَبْرٌ عَجِيبٌ ، » فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُحَدِّثَنِي ، فَقَالَ :

تاجر  
وزوجته

« كُنْتُ أَنْزَلُ الْأَبْلَةَ وَأَنَا مُتَعَيِّشٌ <sup>(٣)</sup> ، فَحَمَلْتُ مِنْهَا تِجَارَةً إِلَى الْبَصْرَةِ فَرَبِحْتُ ، وَحَمَلْتُ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى الْأَبْلَةِ فَرَبِحْتُ وَلَمْ أَنْزَلْ أَحْمَلَ مِنْ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَارْبَحَ وَلَا أَخْسِرَ ، حَتَّى كَثُرَ مَالِي ، وَتَعَالَمَ النَّاسُ إِقْبَالِي ، وَآتَرَّتْ السُّكْنَى بِالْبَصْرَةِ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِي

(١) الألفاظ : جمع لطف ، وهي الهدية والتحفة

(٢) عَوَّذَهُ مِنَ الْعَيْنِ وَالْحَسَدِ ، قَالَ : « أَعْيذكِ بِاللَّهِ وَأَسْمَانَهُ مِنْ كُلِّ

ذِي شَرٍّ وَكُلِّ دَاءٍ وَحَاسِدٍ وَعَيْنٍ ،

(٣) الْمُتَعَيِّشُ : الَّذِي يَتَكَلَّفُ أَسْبَابَ الْمَعِيشَةِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ وَالتَّجَارَةِ



المقام بها بغير زوجة، ولم يكن بها أجلٌ قدرأ من جَدِّ هذين الغلامين .  
وكانت له بنت قد عَضَلَهَا، <sup>(١)</sup> وتعرض لعداوة خُطابها . فخذتني  
نفسى ببقائه فيها ، فجتته على خَلْوَةٍ ، وقلت له : « يا عمُّ ! أنا فلان بن  
فلان التاجر ، ، فقال : « ما خَفِيَ عَنِّي مَحَلُّ أَبِيكَ ! » . فقلت :  
« قد جئتكَ خاطباً لا بِنَتِكَ ، ، فقال : « والله ما بي عنك رَغْبَةٌ ، ولقد  
خطبها إلى جماعة من وجوه البصرة وما أحببتهم ، وإني لكاره من  
إخراجها عن حِضْنِي إلى من يُقَوِّمها تقويم العبيد ، <sup>(٢)</sup> ، فقلت : « قد  
رفعها الله عن هذا الموضع ، وأنا أسألك أن تُدْخِلَنِي فِي عَدَدِكَ ،  
وَتَخَطِبَنِي بِسَمْلِكَ ، ، فقال : « ولا بُدَّ من هذا ! » ، قلت : « لا بُدَّ ،  
وهو زائدٌ في فضلك عليّ ، واصطناعك إِيَّايَ ، ، فقال : « اغدُ عليّ  
بِجَالِكَ »

فانصرفتُ عنه إلى مَلَأٍ من التجار ذَوِي أخطارٍ ، <sup>(٣)</sup> فسألتهم  
الحضورَ معي في غَدٍ ، فقالوا : « إِنَّكَ لَتُحَرِّكُنَا إِلَى سَعْيِي ضَائِعٍ » ،  
قلت : « لا بُدَّ من ركوبكم معي ، فركبوا عليّ ثِقَّةً من أَنَّهُ يَرُدُّهُمْ ،  
وغدونا عليه فأحسنَ الإجابةَ وزوجني ، وأطعمَ القومَ ونَحَرَّ لَهُمْ ،  
وانصرفوا

ثم قال لي : « إن شئتَ أَن تَبَيِّتَ بِأَهْلِكَ فافعل ، فليس لها

- 
- (١) عضل المرأة : حبسها ومنعها الزوج  
(٢) قوم السلعة والعبد : قدر قيمتها في الشراء والبيع  
(٣) المَلَأُ : الرؤساء وأشراف القوم ووجوههم . والاختار : جمع  
خطر ، وهو القدر والمنزلة الرفيعة

مَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّلَوُّمِ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> ، فقلت : « هذا يَا سَيِّدِي مَا أَحْبَبَهُ » .  
فلم يزل يحدِّثني بكلِّ حَسَنِ حَتَّى كَانَتْ الْمَغْرِبُ ، فَصَلَّاهَا بِي ، ثُمَّ سَبَّحَ  
وَسَبَّحَتْ ، وَدَعَا وَدَعَوْتُ ، إِلَى أَنْ كَانَتْ الْعَتَمَةُ فَصَلَّاهَا <sup>(٢)</sup> بِي ،  
وَأَخَذَ بِيَدِي . فَأَدْخَلَنِي إِلَى دَارٍ قَدْ فُرِشَتْ بِأَحْسَنِ قَرَشَةٍ ، بِهَا خَدَمٌ  
وَجَوَارِي فِي نَهَايَةِ مِنَ النَّظَافَةِ ، فَاسْتَقَرَّ بِي الْجُلُوسُ حَتَّى نَهَضَ ،  
وَقَالَ : « أَسْتُوْدِعُكَ اللَّهُ ، وَقَدَّمَ اللَّهُ لِكُلِّ الْحَيْرَةِ ، وَأَحْرَزَ التَّوْفِيقَ » .  
وَاصْتَفَنِي عَجَائِزُ مِنْ شَمْلِهِ ، فِجْلُونَ ابْنَتَهُ عَلِيَّ <sup>(٣)</sup> . فَمَا تَأَمَّلْتُ طَائِلًا  
وَأُرَخَّتِ السُّتُورَ عَلَيْنَا ، فَقَالَتْ : « يَا سَيِّدِي ! إِنْ سُرُّ مِنْ  
أَسْرَارِ وَالِدِي ، كَتَمْتَهُ عَنِ سَائِرِ النَّاسِ وَأَفْضَى بِهِ إِلَيْكَ ، وَرَأَيْتُ أَمَلًا  
لَسْتُرَهُ عَلَيْهِ ، فَلَا تُخْفِرْ ظَنَّهُ فِيهِ . وَلَوْ كَانَ الَّذِي يُطَلَّبُ مِنَ الزَّوْجَةِ  
حُسْنُ صُورَتِهَا دُونَ حَسَنِ تَدْبِيرِهَا وَعَفَافِهَا . لَعَظُمَتِ مِحْنَتِي .  
وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَعِيَ مِنْهُمَا أَكْثَرُ مِمَّا قَصَرَ بِي فِي حُسْنِ الصُّورَةِ ،  
ثُمَّ وَثَبَتْ فَجَاءَتْ بِمَالٍ فِي كَيْسٍ ، فَقَالَتْ : « يَا سَيِّدِي ! قَدْ أَحْلَى  
اللَّهُ لَكَ مَعِيَ ثَلَاثَ حَرَائِرَ وَمَا آثَرْتَهُ مِنَ الْإِمَاءِ <sup>(٤)</sup> ، وَقَدْ سَوَّغْتُكَ  
تَزْوِجَ الثَّلَاثِ وَابْتِيَاعَ الْجَوَارِي مِنْ مَالِ هَذَا الْكَيْسِ ، فَقَدْ أَوْقَفْتُهُ

---

(١) تلزم على الشيء : انتظر وتلبث

(٢) العتمة : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، وهو وقت صلاة العشاء . وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن تسمية صلاة العشاء « العتمة » ،  
(٣) جلا العروس على بعلها يجلوها : زينها وصلحها وأدخلها عليه ،  
وذلك « جلوة العروس » ،

(٤) الحرائر : جمع حرة ، وهي المرأة التي لم يجر عليها الرق ، فتكون أمة ، وهي المملوكة ، وجمعها إماء .

على شَمَوَاتِكَ ، ولستُ أطلبُ منك إلاّ ستري فقط ،

فقال لي أحمد : خلفَ لي التاجرُ : « إنها ملكت قلبي ملكاً لم  
تصل إليه حسنةٌ بحسنها ، فقلت لها : جزاء ماقدّمته ما تسمعيه <sup>(١)</sup>  
منّي : « والله لا أصبتُ من غيرك أبداً ، ولا جعلنك حظي من دنياي  
فيما يُؤثره الرجلُ من المرأة ، وكانت أشفقَ النساءِ ، واضبطهم ،  
وأحسنهم تدبيراً فيما تولاه بمنزلي ، فتبينت وقوعَ الحيرة في ذلك  
ولحقتني السنُّ ، <sup>(٢)</sup> فصارت حاجتي إلى الصواب أكثرُ منها إلى  
الجماع . وشكر الله لي ما تلقيت به جميلَ قولها ، وحسنَ فعلها ، فرزقني  
منها هذين الابنَين الرائعين لك ، ونحن منقطعون إلى جوده فينا ،  
وإحسانه إلينا »



هرثمة بن أعين  
والرشيد

٢٩ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال :

« أنكر المهدي على هرثمة بن أعين تحكُّمَ بكه بمعن بن زائدة ، وأمر  
بجَنَفِهِ إلى المغرب الأقصى ، فكلّمه الرشيدُ فيه ، وأستلَّ سخيمته  
عليه <sup>(٣)</sup> . ومات معنٌ ، وزادت حالُ هرثمة ، وشكر للرشيد ما كان  
منه ، وأفضت الخِلافة إلى موسى الهادي ، فتمكّن منه هرثمة .

(١) هذا حكاية قول التاجر ولذلك لم يبدل ما فيه من اللحن والخطأ ،  
وسيمر كثير من ذلك في الكتاب

(٢) لحقته السن : أدركه الكبر في السن العالية

(٣) السخيمة : الغضب والموجدة في النفس . واستلها وسلها :

أخرجها بتأنٍ ورفق

وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد، وجمع الناس على تقليد ابنه  
العهد بعهد، وعلم بهذا هرثمة، وتذكر عارفة الرشيد، قمارض  
وجمع الهادي الناس ودعاهم إلى خلع الرشيد ونصب ابنه مكانه،  
فأجابوه وخافوا له. وأحصر هرثمة، فقال له: «تبايع ياهرثمة؟»  
فقال: «يا أمير المؤمنين! يميني مشغولة ببيعتك، ويساري مشغولة ببيعة  
أخيك! فباي يد أبايع؟ والله يا أمير المؤمنين لا أكذت في الرقاب  
من بيمة آبنك، أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته، ومن  
حنث في الأولى حنث في الأخرى<sup>(١)</sup>. ولولا تأول هذه الجماعة  
بأنها مكرهة، وإسرارها فيك خلاف ما ظهرت، لأمسكت  
عن هذا». فقال جماعة من حضر: «شاهت وجوهكم! والله لقد  
صدقتي مولاي وكذبتوني، وأصحتي وعششتوني»  
وسلم إلى الرشيد ما قدره الهادي فيه،

\*\*\*

أبو يوسف  
والرشيد  
٣٠ - وسمعت يوسف بن إبراهيم والدي يقول:  
«لم يتمكن أحد من أحد تمكن أبي يوسف القاضي من  
الرشيد. ولقد سألت إبراهيم بن المهدي عن السبب في ذلك، فقال:  
«كان يستحق هذا منه لما حدثني به مسرور الكبير، قال:  
«كنت في خدمة المهدي، وكان الرشيد حفيبا<sup>(٢)</sup>، محسنا  
إليّ، فلما أتتقل أمر الخلافة إلى الهادي، قال لي الرشيد: «إن

(١) حنث في اليمين: نقضها بعد توكيدها

(٢) يقال: هو حفي به، أي: مبالغ في الكرامة والبر

أخى قوى الشراسة ، وأنا أخاف إيقاعه بي وجمع الناس على بيعة  
آبته بعده . وأنا على غاية من الثقة بك ، فأعدل إليه وكن لي عينا  
عليه <sup>(١)</sup> . فتقدمتُ عند الهادى حتى توليت ستر بيت خلوته .

وكان المهديُّ قد قرَنَ أبا يوسف بالهادى فتمكن منه ، وقبِل  
في مهمَّاته مشورته ، فلما حلَّ بقلبه شاوره في ذلك ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ! لا تحمِلْ نفسك على قطيعة رَحِمِكَ ، وأولياءك

على الخِذْبِ بأيمانهم ، وأستدعِ من الله زِيادته بما يُرضيه عنك ، ،

فتوقَّف بعض التوقف . وسُعى إليه بالرشيد ، وقيل له : « إنه [عاملٌ]

على أن يغتالك » . فدعا بأبي يوسف وأخبره بما تأدَّى إليه ؛ فقال :

« يا أمير المؤمنين ! لا تسمع هذا ، وأنا الضامنُ لكُ حُسنَ طاعته

ووَكيد مَوالاته » . فكنتُ أنهى جميعَ ذلك إلى الرشيد فيشتدُّ

سروره به ، ويرغبُ إلى الله في معونته على مكافأته

فلما أفضت الخِلافةُ إليه ، دعا به وقال له : « يا يعقوب ! الوجاز

لى إدخالك في نَسبي ، ومشاركتك في الخِلافة المفضية إلى ،

لكنتَ حقيقاً به ! ألسن القاتل لآخى وقت كذا : كذا ؟ وفي وقت

كذا : كذا ؟ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ! من أنباك بهذا ؟ فوالله

ما كان معنا ثالثاً » . فضحك الرشيد وقال : « مسرورٌ كان يتولى

ستر بيت خلوته ، وكان يُنهي إلى جميع ما صدر عنه ،

قال مسرور : « فوالله ما برحتُ بي عنايةُ أبي يوسف حتى

بَلَغْتُ مَعَ الرَّشِيدِ هَذَا الْمَبْلَغَ !»

\*\*\*

٣١ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ الْفَقِيهِ ، أَنَّ ابْنَ الثَّلْجِيِّ أَبُو يَوْسُفَ وَبَدَلَ  
حَدَّثَهُ ، أَنَّ بَشْرًا الْمُرَيْسِيَّ - وَكَانَ مَتَزَهَّدًا - قَالَ :

« مَا أَشْهَيْتُ مِنْ مَرَاتِبِ السُّلْطَانِ إِلَّا مَرْتَبَةً رَأَيْتُ أَبَا يَوْسُفَ  
بَلَّغَهَا فِي عَشِيَةِ مِنَ الْعَشَايَا . كُنْتُ آجِزْتُ بِهِ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ  
لِي : « تُقِيمُ عِنْدِي الْعَشِيَةَ لِنَتَازُرَ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْعِلْمِ ؟ » . فَأَيُّ الْجَائِسِ  
عِنْدَهُ - وَقَدْ أَبْتَدَأَ فِيهَا أَثْرُنَاهُ - حَتَّى وَافَى إِلَيْهِ رَسُولُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ  
الرَّشِيدِ ، فَقَالَ لِي : « انتَظِرْنِي » ، وَمَضَى . فَغَابَ عَنِّي مَقْدَارَ  
سَاعَتَيْنِ ، وَرَجَعُ ، وَخَلْفَهُ غُلَامَانِ يَحْمِلُونَ مَالًا ، فَوَضَعُوهُ بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَأَنْصَرَفُوا فَقَالَ : « دُفِعَتْ اللَّيْلَةُ إِلَى عَجَائِبِ ! » ، قُلْتُ : « مَا هِيَ ؟ » ،  
قَالَ : « دَخَلْتُ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَتَنِي بِرَسُولِهِ إِلَى سِتْرٍ  
مُسَبَّلٍ عَلَى بَابٍ <sup>(١)</sup> ، مَسْرُورٍ الْكَبِيرِ يُمَسِّكُهُ ، فَقَالَ لِي : « سَلِّمْ عَلَى  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! » ، فَسَلَّمْتُ ، فَقَالَ : « وَعَلَيْكَ [السَّلَامُ] يَا يَعْقُوبُ !  
أَدْخُلْ وَحَدِّكْ » ، فَزَفَعْتُ السِّتْرَ حَتَّى دَخَلْتُ ، فَأَلْفَيْتُ عِنْدَهُ مُحَمَّدَ  
ابْنَ جَعْفَرِ بْنِ الْمَنْصُورِ - مَوْلَى الْجَارِيَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِبَدَلٍ - وَوَجْهُهُ  
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَحْوُولٌ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ سَيْفٌ  
مَشْهُورٌ

فَقَالَ لِي : « يَا يَعْقُوبُ ! هَذَا الرَّجُلُ يُدِيرُنِي مِنْ الظُّهْرِ عَلَى قَتْلِهِ » ،

(١) مسبل : مرسل

فقال له : « ترضى به حكماً بيننا ؟ » ، قال : « نعم ! » ، قال : « ألقى هذا السيف من يديك ، وأرض بالحق لك وعليك ، وأستدارا جميعاً حتى جلسا مجلساً الخُصوم بين يدي »

ثم قال الرجل : « سألتى أمير المؤمنين أن أبيعته جاريةً علىَّ فيها إيمانٌ مُحَرَّجة لا كُفَّارة لها ، ألا أبيعها ولا أهبها » ، قال فقلت له : « قد سمح بها لأمير المؤمنين إن أخرجتُك من يمينك ؟ » ، قال : « إى والله ! وإنَّ ذلك لسهْلٌ علىَّ » ، فقلت : « هَبْ لى نصفها ، وبعه نصفها » . فقال : « قد أجبْتُ ، وجعلتُ ثمنَ النصف هديَّةً لك » . وتعانقا جميعاً ، وأنصرفتُ إليك ، ولحقنى هذا المال » . فوجدنا المال المحمولَ خمسة وعشرين ألفاً ، فقلت فى نفسى : « أحيى نفساً ، وأصلح بين خليفةٍ وأبن عمه فى مقدارِ ساعتين من النهار ! »

قال بشر : « فوالله ما فرغنا من صلاةِ المغرب حتى آبتدَرنا الغلمان يحملون مالا وبزاً وطيباً <sup>(١)</sup> ، ومعهم جاريةٌ حصيفةٌ <sup>(٢)</sup> ، فقالت : « تقرأ عليك السلام سيدي وتقول لك : « أجازنى سيدي أمير المؤمنين بما حلتته إليك ، فجعلته ثواب الفُتيا التى كانت سببَ وصولى إليه ،

فكان المال منه خمسة وعشرين ألفاً »



---

(١) البز : الثياب

(٢) حصيفة : جيدة الرأى محكمة العقل

٣٢ - حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال : حدثني أبي أبو يعقوب ،  
عن جدّي واضح مولى المنصور ، قال :

رجل من  
صنائع  
الأمويين  
والمنصور

« كنتُ بين يدي المنصور ، وقد أحضر رجلاً كان من رجال  
هشام بن عبد الملك ، وهو يُسأله عن سيرة هشام لأنها كانت تعجب  
المنصور . فكان الرجل يترحم عند كل جارية من ذكوره ، فأحفظ ذلك  
جماعتنا<sup>(١)</sup> ، فقال له الربيع : « كم ترحم على عدو أمير المؤمنين ؟ » ،  
فقال الرجل للربيع : « مجلس أمير المؤمنين - أيده الله - أحقُّ  
المجالس بشكر المحسن ، ومجازاة المجمل ، وهشام في عُنقِ قِلادة<sup>٢</sup>  
لا يَنْزِعُهَا إِلَّا غاسلي » ، فقال له المنصور : « وما هذه القِلادة ؟ » .  
قال : « قلّدتني في حياتي<sup>(٣)</sup> ، وأغناني عن غيره بعد وفاته ! » ، فقال له  
المنصور : « أحسنت بارك الله عليك ! وبجسن المكافأة تستعجث<sup>٤</sup>  
الصنائع ، وتزكو العوارف<sup>(٥)</sup> » ، ثم أدخله في خاصته ،

\*\*\*

بعض أقوال  
الفلاسفة  
في حسن  
للكافأة

وقد مثل بعض الفلاسفة إحسن المكافأة ، بالهسام الصقيل  
الذي يُحدث له وقوع الشمس عليه : آنبعاث شعاع منه يجلو غيابه

(١) أحفظه : أغضبه

(٢) قلّدتني : يريد قلده عملاً من أعمال السلطان

(٣) استعجث الصنائع : جعلها سريعة متتابعة متصلة ، والصنيعة :

الجميل والإحسان ، والعوارف : جمع ، عارفة ، وهي المعروف . زكا  
المعروف يزكو : نما وازداد



الأمكئة المظلمة ، ويكون وُفور سُعاة على حسب صقاله  
وقال أفلاطون : « من حُسنَت مكافأته ، لم تُغضبُه حَيبَتُه فيما  
آلتمسُه ؛ لأنه يُقيم العوارِف مقام دُيونٍ يَحمَلها لا يَسعُه إغفالُ  
قضائِها . وإنما يَغضب من المنع : مَنْ آثَرَ تحصيلَ العارِقة وإغفالِ  
المكافأةِ عليها »

\*\*\*

ولأنَّ المرغوبَ إليه إذا كان يحتاج إلى مُطالعة حُسنِ المكافأة  
للإحسان فيثابر عليه ، وسوءِ المكافأةِ على الإساءة فيتأخر عنه ، كان  
الراغب محتاجاً إلى أن يكونَ في خَلده من أخبار من أساء الصنيع  
فساءت مكافأته ، ما يوازي ما أثبتناه من حُسنِ المكافأة الإحسان

خاتمة المؤلف  
لهذا الباب

◆◆◆◆◆◆◆◆◆◆

## ٢ - المكافأة على القبيح

٣٣ - حدثني أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ، عن أبيه ، عن جده مولى عبد الله بن المقفع - أن عبد الله حدثه ، قال

ملك الهياطة  
وفيروز

« كان فيما ترجمته من سِيرِ الفرس : أن فيروزاً لما تقلد مملكة فارس حدثته نفسه باجتياز بلد الهياطة . وكان به للهياطة ملك صحيح الرأي حسن الجوار ، فجمع ذوى الرأى فى بلده وسأهم عمّايرون ، فعرضوا عليه أموالهم والخروج معه ، فجزأهم خيراً وأنصرفوا . وخلا به وزيره - وكان عالى السن<sup>(١)</sup> - فقال له : « أيها الملك إن يسير الحيلة ربما بلغ أوتى منازل المساكفة والذى عندى من الرأى أن تظهر السخط على فتقطع يدى ورجلى ، وتنفيى إلى أقاصى عمك ، وتكتب إلى عاملك هناك فى حبسى ، وتظهر أنك تبيئت منى ميلاً إلى فيروز ، فقال له : « إن حسن الحيلة إنما يقع بغير إضرار يلحق صاحبها ، وإذا بلغنا بك هذا ، فقد جاوزنا بك ماتخافه من فيروز لو حصلت فى يده ،

فقال : « أنا مذ تكامل تمييزى أحسب مالى وعلى ، فإذا وهبت لى نعمة علمت أن على فيها محنة ، وأن الرغائب بالنوائب<sup>(٢)</sup> . وقد

(١) عالى السن : كبيراً مسناً

(٢) الرغيبية : الشىء العظيم المرغوب فيه

عشتُ في سلطانك - أيها الملك - في هذه السن العالية ، عزيزَ الجانب ، خصبَ الأفنية ، وشملي في نهاية من رفاغة العيش .<sup>(١)</sup> وليس من الجميل أن أمسك عن قضاء حق النعمة على لسلطاني وشملي وأهلي وولدي ، وصياتهم ، بما عرّاهم بنفسي<sup>(٢)</sup> . وأعلم أنّي لو خدمتُ السلامة لنفسي ، لمات ذكري بموتى ، ولم أبق شرفاً لأهلي ! ولعلّ أجلى قريب ، فأفوز بحسن الذكر فيما أتيتُه وقضيتُ به حقّ سوائف الإنعام على ، والإحسان إلى . وإتماّ اعتمدتُ هذا الأمرَ الفظيخَ لأعدلَ بفكر فيروز عن الحيلة ، واضطرّه إلى السكون إلى ،

« فلما رأى أنه لا يرجع عما أشار به عليه ، دعا به وقطع يديه ورجليه ، ونفاه إلى آخر مسالحه<sup>(٣)</sup> ، فكان محبوباً هناك

« ويجد فيروز في سفره ، فوافى الموضع الذي فيه الوزير ، فوجده خالياً ممن كان فيه ، ولم ير به غير رجلٍ مقطوعِ اليدين والرجلين ، فسأله عن حاله فقال : « كنت وزيراً لهذا الخائن فاستشارني ، فأشرتُ عليه أن لا يهاضك ، وأن يسألك إقراره في البلد ، وحمل خراجَه

---

(١) رفاغة العيش : سعته وخصبه

(٢) عراه الأمر الشديد : أصابه وغشيه

(٣) المسالخ : جمع مسلحة ، وهو الموضع المخوف يكون فيه جماعة بسلاحهم يرفقون العدو لئلا يطرقهم على غفلة ، فإذا رأوه أعلوا أصحابهم ليتأهبوا له

إليك . فاستشاط ، وسوّلت له نفسه مُناوأتك ، وقد جمع جيشاً له كثيرَ  
العَدَد قوَى النّكاية ، وقَدَّر أن يلقاك في هذه الطريق . وعندى حيلةٌ  
أجازيه بها على سرِّه صنيعه »

« واستجلى فيروزُ الوزيرَ <sup>(١)</sup> فقال له : « إن عدأتَ عن هذه  
الطريق وتجمّشت قطعَ بريةٍ يُقيم السائرُ فيها يومين ، تحتاج إلى حمل  
الماء إلى مسيرة يوم منها ، ثم تُفَضِّى إلى مياهٍ متدفقة . فإذا قطعتها  
وصلتَ إلى بلد الهياطلة ، وهو وجمعه في الطريق الذي آثرت سلوكها ،  
فتدخل البلدَ بغير حربٍ »

« فخمانته الاستنامةُ إليه - لما رآه به - على تصديقه <sup>(٢)</sup> ، ولحج  
في البريةِ بجميعِ جيشه <sup>(٣)</sup> ، - وقد كان واطأً [الوزيرُ] الملكَ على  
تكمين جمعٍ له آخر في البرية <sup>(٤)</sup> ، - فسار يومه وبعض غده في قفرٍ  
لا يوجد به ماء ولا نبتٌ ، فسباقطت الدوابُّ من العطش ، وأفترق  
الجيش لطلب الخلاص ، وخرَج عليه منسراً من جيش الهياطلة  
فأمرُوا عليهم <sup>(٥)</sup> ، وأخذوا فيروزاً أسيراً . فمنَّ عليه ملكُ الهياطلة

(١) في الاصل : « واستخلى فيروز الملك ، . واستجلى صاحبه  
الامر : طلب أن يجلوه له ويكشفه

(٢) استنام إليه : اطمأن وسكن ، حتى كأنه في نوم وغفلة

(٣) لحج في البرية : مال إليها ، ودخل فيها

(٤) واطأه على الامر : واقفه عليه اتفاقاً . كمن الجمع تكميناً : جعله

كيناً مختفياً في مكن لا يفتن له العدو

(٥) المنسر : جماعة الخيل ما بين المائة إلى المائتين تنقض على العدو .

أمرُوا عليهم : كثروا عليهم فغلبوهم

بالإمساك عن قتله<sup>(١)</sup> ، وجمع وجوه بلده وأضاف إليهم وجوهاً من عسكر فيروز ، وأستحلف فيروزاً بحضرتهم أنه لا يجاوز حَجْرًا جعله فضلاً مشـتركا بينه وبينه . وأثبت المفارقة في صحيفه بخط فيروز<sup>(٢)</sup> ، وأشهد عليه الجماعة ، وأطلقه على غاية من النجيل والإكرام

« فدخلت فيروزاً حَجْلةً من رجوعه إلى ملكته بعد أن أمر ملك الهياطة له وتعفيره به<sup>(٣)</sup> . وحدثته نفسه بمعاودة قتاله ، فخرج إليه . وسوّلت له نفسه أنه إن حمل الحجر حتى يدخل به بلد الهياطة لم يحنث في يمينه ، فحمله بين يديه وسار بجمع كثير . وخرج إليه ملك الهياطة ، فالتقيا في مُنتصف طريقيهما

« فلما تراى الجمعان ، انفرد ملك الهياطة عن جمعه ، وسأل فيروزاً موازاته ليسمع منه شيئاً . فبرز فيروز . فقال له : « أنا وإيّاك في قبضة من حنثت في اليمين به ، وهو عز وجل يشكر للمحسن إحسانه ، ريعاقب المسىء بإساءته . وقد أنعمت عليك ، وأحسنت إليك ، وأنا أخوفك الله وأحذرُك سَطْوَاتِهِ ، فإني أعلم أن حياة كَمَا جَرَى عَلَيْكَ هو الذي رَدَّكَ ، فينبغي أن يكون استحياؤك من الله عز وجل أشد من

(١) من على الأسير : أنعم عليه بإطلاقه بعد الظفر به

(٢) المفارقة : العهد الذي يقع عليه الاتفاق بين اثنين ثم يفترقان

على الوفاء به

(٣) في الاصل : « وتمعيه به ، ، وهي محرفة . عفره وعفر به :

الصقه بالعفر وهو التراب ، يريد : أذله وحقره

استحيائك من خلقه . وليس يُخْرِجُكَ من يمينك حَمَلُ هذا الحجر بين يديك ، لأنَّ اليمين إنما تكون على نية المستحلف لا على نية المستحلف . فندبر قولِي ، واعلم أن من سمعك من أصحابي على غاية من الثقة بالله في نصره ، ومن سمعك من أصحابك على ذعر من أن تهلكَ بجوبِك<sup>(١)</sup> ، . فقال له : « لست أرجع عن قتالك ،

« فأمر أن تُرَكَّبَ الصحيفةُ على أطول رمحٍ في العسكر وحمل عليه ، فهُزِمَ جيشُ فيروز ، وقُتِلَ فيروز في المعركة »

o o o

٣٤ - وسمعتُ أبا جعفر محمد بن هرثمة يقول :

ابن الزيات  
والمتوكل

« كان محمد بن عبد الملك الزيات يسعى على المتوكل - في أيام الواصل - ويحرضه عليه ، فتغيرت عليه نيته ، حتى أداء ذلك إلى حبسه عند محمد بن عبد الملك

« فسمعت المتوكل يقول - في اليوم الذي تقدم في إدخاله إلى التنوير الحديد<sup>(٢)</sup> - : لم يَمَنَّ أَحَدٌ بِمِثْلِ ما مُنِيتُ به من ابن الزيات ! ضيق على محبسي ، ومنعني مما اقتضت عليه عادتي . وكنت قد رأيت

(١) الحوب : الإثم العظيم

(٢) كان محمد بن عبد الملك الزيات الوزير قد اتخذ تنوراً (موقداً) يعذب فيه من يتعمد عقوبتهم . فاذا بلغ بأحد العذاب وقال له : « ارحمني . أيها الوزير ، يقول له : « الرحمة خور في الطبيعة ، فلما أدخله المتوكل في تنوره ، استعاذ به وقال ما كان يقال له : « ارحمني يا أمير المؤمنين ، . فقال له : « الرحمة خور في الطبيعة ،

وَفَرَّةٌ فَلَمْ يُبْلَقْ [لِي] تَنْظِيفُهَا<sup>(١)</sup>، فَكَثُرَتِ الدَّوَابُّ فِيهَا. وَتَأْدَى ذَلِكَ إِلَى الدَّقِي، فَكَتَبْتُ إِلَى الْوَائِقِ رُقْعَةً، فَقَالَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ: «أَطَانِي لِمُجْعَفِرِ طَمِّ شَعْرِهِ<sup>(٢)</sup>، وَتَنْظِيفِ ثَوْبِهِ وَتَطْيِيبِهِ أ». فَانصَرَفَ كَالْمَغِیْظِ وَضَرَبَ الْمُوَكَّلَ بِي، وَقَالَ: «تَرَكْتُ مُحَمَّدِ بْنَ جَعْفَرٍ شَارِعًا مِنَ الشَّرَارِعِ حَتَّى يَهْلُ شَكْوَى أُمِّهِ أ». ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِي، فَخَرَجْتُ، فَوَجَدْتُ أَمَارَاتِ الْغَضَبِ فِي وَجْهِهِ، فَوَقَفْتُ سَاعَةً لَا يَرْفَعُ فِيهَا وَجْهَهُ إِلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: «نَطَعُ<sup>(٣)</sup>»، - فَأَوْهَمَنِي أَنَّ الْوَائِقَ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِي - فَبَسِطَ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَوْمَى إِلَى الْغُلَامِ بِإِدْخَالِي فِيهِ، وَلَمْ أَشْكُ فِي الْقَتْلِ، ثُمَّ قَالَ: «الْحِجَامُ<sup>(٤)</sup>»، فَقُلْتُ: «أَظَنَّهُ يَخَافُ ضَرَامِي قَبْلَ قَتْلِي»، وَأَنَا فِي سَائِرِ هَذَا قَاتِمٌ. فَلَمَّا وَاقَى الْحِجَامَ قَالَ: «أَحْلِقْ شَعْرَهُ»، فَاجْلَسَنِي بِحَاقِ شَعْرِي. فَأَلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنِّي لَا أُسْتَبْقِيهِ لِحِظَةً إِنْ ظَفِرْتُ بِالْخِلَاقَةِ. فَسَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالنُّورِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ،



- 
- (١) الوفرة : شعر الرأس إذا بلغ إلى شحمة الاذن . أطلق له أن يفعل كذا : أذن له  
(٢) طمّ شعره : جزّه ، أو عض منه ولم يأخذه كله  
(٣) النطع : فراش من جلد ، وأكثر ما يوضع عند القتل ليكون فيه الدم لئلا يفسد البساط  
(٤) الحجام : هو الذي يخرج الدم الفاسد بالمحاجم التي تمصه ، وكان الحجام في زمانهم يتولى بعض الطب تخلع الاضراس وعلاجها وما إلى ذلك

٣٥ - وحدثني نسيم خادم أحمد بن طولون، قال:

« صار إلى ابن سليمان بن ثابت - وكان ابن سليمان هذا يكتب  
لخادم يعرف بشقير، يتقلد الطراز من خادم السلطان (١)، ثم عمل  
سليمان بعد ذلك لأحمد بن طولون على أملاكه - ومعه رُقعة، فقال:  
« توصلها لي إلى الأمير؟ ». فقراها، فكان يذكر فيها أن شقيراً أودع  
أباه أربع مائة ألف دينار. فلما قرأها الأمير قال: « انظر ما تقول  
وآصدقني عنه! »، فقال: « الأمر والله على ما وصفته للأمير »، فقال:  
« أمسك عن هذا، وأطو مجيئك إلى عن أبيك وعن سائر الناس،  
وأنصرف مكلواً (٢) »،

فقال: « فكثير تعجبي من إمساكه عن ذكر هذا لآبيه. فلم يرض  
حول حتى مات سليمان بن ثابت: فأظهر غمًا به وتفجعاً عليه. ثم  
دعا بابنه الرافع للرقعة، فرد إليه ما كان بيد أبيه من أملاكه وضمَّ  
إليه من الرجال من تقوى به يده. وأقام به شهوراً ثم دعاه وأنا قائم  
بين يديه، فقال له: « كيف حالك مع محبني أبيك؟ وهل أنكرت  
شيئاً منهم؟ »، فقال: « قد أعز الله جانبي بالأمير ومنع مني »، فقال  
له: « أحمل إلى الأربعمائة ألف التي عندكم لشقير الخادم »، فلأجلج،  
فرد أمره إلى أحمد بن إسماعيل بن عمار، وأمره بطالبته بالسوط.

---

(١) الطراز: هو الموضع الذي تنسج فيه الثياب - معامل الثياب  
(٢) كلاه: حفظه وحرصه، ومكلواً محفوظاً محروساً، وتركت  
الهمزة فصارت (مكلواً)



فضربه خمسين سوطاً، وأصطفى ما كان له<sup>(١)</sup>، فلم يجد عنده بعض ما تقوله على أبيه. وعاود مطالبتَه، فضربه مرةً أخرى فمات فقال لي: «فعميتُ من هلاكه بهذا المقدار من الضرب. فأخبرتُ أنّ هذا المضروب كان يستزيرُ الفوائد من النساء في وفور حاله<sup>(٢)</sup>، فزارته امرأةٌ كانت ربيطةً لجلادٍ بالسوط<sup>(٣)</sup>، وعلم الجلاد بذلك فبكرَ إليه ووقف له، حتى إذا خرج، أنكبَّ على نَحْضِهِ وَقَبْلِهِ، ثم قال: «يا سيدي! قد أغناك الله عن مساءتي بما بسطه من الرزق عليك وظاهره من الإحسان لديك<sup>(٤)</sup>، وكانت مُهَجَّتِي عندك البارحة. فإن رأيت أن تهبَّهالي! فألكَ منها عَوْضٌ، وليس لي عنها معدل»، فصاح في وجهه وأمر بإبعاده. فلما شُدَّ بالعُقابين<sup>(٥)</sup>، تقدم الجلاد فضربه ضرب القتل فأتى على نفسه،



العمري  
وغلبانه

٣٦ - وحدثني نسيم الخادم أيضاً:

«أن أحمد بن طولون كان مذعوراً من خروج أبي عبد الرحمن

- 
- (١) اصطفى واستصنى: استخرج أكثر ماله وخياره
  - (٢) استزاره: طلب زيارته. وفور الحال: سعته ووفوره
  - (٣) الربيطة: هي في اللغة الدابة ترتبط للخدمة، وأراد بها المرأة ترتبط في المنزل وتبقى لحاجة سيدها وخدمته ومناعه وتكون من سواقط النساء.
  - (٤) ظاهر الإحسان: ضاعفه وأكثره
  - (٥) العقابان: خشبتان يشبع الرجل بينهما مشدوداً فيجلد، وهي من آلات التعذيب

العُمريّ<sup>(١)</sup>، فوافاه الخبرُ بقتلِ غلبان أبي عبد الرحمن إياه وانتشارِ أمره . ثم صار إليه جماعةٌ تقارب العشرة ومعهم رأس فقالوا : « نحن غلبان العُمريّ ، وهذا رأسه ! . فجمع الخاص والعام وأدخلهم إليه ، وآستحضر قوماً آستأمنوا إليه ، فسألهم عن الرأس ، فأجمعوا على أنه رأس أبي عبد الرحمن ، وأن الغلبان من خاصته

» فقال أحمد بن طولون لهم : « هل كان سيثاً إليكم ؟ » . قالوا : لا والله ، ولقد كان مُحسناً إلينا ، ومُفضلاً علينا . قال : « فما حَمَلَكُم على قَتله ؟ » ، قالوا : « طلبنا الحُظوةَ عندك ، والمكانةَ منك ! » ، فقال : « قتلتم مولاكم المُحسِنَ إليكم بالتطرب<sup>(٢)</sup> إلى المزيد ؟ »

« ثم أمر بهم فشقَّ عن جماعتهم<sup>(٣)</sup> ، وأخذتهم السِّياطَ حتى سَقَطُوا وُضِرَ بوا على رؤوسهم بالشدوخ حتى ماتوا جميعاً<sup>(٤)</sup> . وأمر بدفن رأس أبي عبد الرحمن ،



متسلط عامل ٣٧ - وسمعتُ أبا عبيد علي بن الحسين القاضي يحدث قال :

(١) انظر ص (٧)

(٢) تطرب : أخذه الطرب والفرح ، وتطرب إليه : اهتز له وطمع

فيه

(٣) شق عنهم : أى شقوا عنهم ثيابهم يهينونهم للجلد بالسياط

(٤) الشدوخ : جمع شدخ ، وهو الرخص الطرى من الشجر ، يضرب

به حتى يشدخ رأس المضروب

« كانت لي بواسطة حصّة أُودّي عنها إلى السلطان خرجاً<sup>(١)</sup> فقدم علينا عاملٌ قد جُمع من الظلم ، وسوء التسلط ، وفظاظة الطبع . فجمع المعاملين بأسرهم على التّحيل له بما لا يوصل إليه من أملاكهم ، ولا يستحقّه عليهم ، فضرب قوما ، واستخفّ بآخرين ، فقال له رجل من حضر : « إن رأيت أن تؤخّرني إلى نصف النهار ، ، فقال له : « لملك من يقول : إن من عمودٍ إلى عمود فرجاً ، ، فقال له الرجل : « أنا والله أعتقد من لحظة إلى لحظة فرجاً يُرجى من الله ، ، فتضاحك من كلامه . فوالله ما مضت ساعة حتى دخلت إلينا - في الموضع الذي كان فيه - رَعْلَةٌ من الخوارج وهي تقول : « السُّلَيْطِينَ السُّلَيْطِينَ !! »<sup>(٢)</sup> ، ففَقَطَعَتْهُ بِأَسْيَافِهَا وَخَرَجَتْ ، ولم تقتل غيره ، ولا طلبت شيئاً لآحد . فعلتُ أنهم عقوبة أَعْتَمَدْتَهُ ،

• • •

عامل الصدقة  
ومتظلم

٣٨ - وحدّثني عمر بن يزيد البرقي - وكان جميل المذهب -

قال :

« حضرت مُصَدِّقاً شديداً الاستحلال<sup>(٣)</sup> ، بعيداً من الرأفة ، وهو جالس على رابية ، وبين يديه حِوَاءٌ يُحْتَازُ بِهِ مَا يُحْصَلُ لَهُ مِنْ

(١) الحصة : النصيب الموروث من الأرض ، والخرج : المال الذي

يؤدّي على الأرض

(٢) تصغير سلطان

(٣) المصدق : هو الذي يأخذ حقوق الصدقة من الإبل والغنم

الإبل<sup>(١)</sup>. قال : « فَعَرِضْتُ نَعْمُ رَجُلٍ حَسَنِ الطَّرِيقَةِ ، مُتَعَالِمٌ  
بِعِفَافِ الطُّعْمَةِ<sup>(٢)</sup> . فَتَخَيَّرْتُ عَلَيْهِ الْمَصَدَّقَ مَا احْتَازَهُ مِنْ إِبِلِهِ ،  
وَأَسْتَعْمَلَ مِنْ سُوءِ التَّحْكَمِ عَلَيْهِ مَا لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ . فَأَهْسَكَ ،  
ثُمَّ نَظَرَ بَعْدَ أَنْفِصَالِ مَا بَيْنَهُمَا إِلَى فِصِيلِ سَمِينٍ كَانَ فِي إِبِلِهِ ؛ فَقَالَ  
لِغُلَامَانِهِ : « خُذُوا هَذَا الْفِصِيلَ حَتَّى يُصَاحَ لَنَا غَدَاءً » ، فَقَالَ صَاحِبُ  
الإِبِلِ لَهُ : « قَدْ أَخَذْتُ زِيَادَةً عَلَى حَقِّكَ ، فَمَا هَذَا ؟ » ، قَالَ :  
« لَا بَدَلًا لِي مِنْ أَخْذِهِ » ، قَالَ : « فَإِنِّي لَا أَسْأَلُهُ » .

فَأَمْرٌ بَوَّجِي عُنُقِهِ<sup>(٣)</sup> ، وَأَخَذَتْ مَقَادَتَهُ مِنْ يَدِهِ ، فَصَاحَ بِأَعْلَى  
صَوْتِهِ : « كُلُّ هَذَا بِحَيْنِكَ يَا جِبَارُ<sup>(٤)</sup> ! » . فَخَلَفَ لِي عُمرَ أَنَّهُ جَاءَ  
مِنَ الْحَوَاءِ فُخْلٌ - وَخَرَجَ مِنْهُ وَهُوَ يَرْغُو - ، فَأَخَذَ بَعْضُهُ ، وَلَمْ  
يَزَلْ يَضْرِبُ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى قَتَلَهُ . وَانصَرَفَ الرَّجُلُ بِفِصِيلِهِ «



٣٩ - وفيما أخبر به الهيثم بن عدى قال :

عدى بن زيد  
والنعمان

« كان عدى بن زيد قد تقدم عند كسرى أبرويز في ترجمة .

(١) الحواء : المكان الذى يحوى الإبل وغيرها من الاشياء ، أى :

يضمها ويجمعها

(٢) الطعنة : وجه الارتفاق والاكتساب

(٣) الوجع : اللكز ، أو ضرب العنق بالأيدي أو بالحديد

(٤) فى الاصل : « بعينك ، وقوله « كله بحينك » ، أى : كله ومعه حينك

والحين : المرث

العربيّ إلى الفارسيّ ، وكان رجلاً جاراً للنعمان بن المنذر ، فرام منه النعمان أن يكون عيناً له على كسرى ، فامتنع من ذلك ، ولم يرض بهذه السّجّية<sup>(١)</sup> . فتركه النعمان حتى أطمأنّ إليه ، ثمّ سأله أن يزوره . فكلم كسرى ، وسأله أن يأذن له في زيارته شهراً واحداً ، ونصّب عدىّ ابنه مكانه . وكان حُلُوّ الشاهد<sup>(٢)</sup> مضطلعاً بما يُسند إليه . فأذن له . فلما حصل في يد النعمان قتله ، وكتب إلى ابنه يُخبره بأنه مات حتف أنفه<sup>(٣)</sup> ، وأنه على غاية من الآسى عليه<sup>(٤)</sup> . وتأدى خبر عدىّ إلى ابنه على الصّحة ، فلم يخزّ فيه<sup>(٥)</sup> . وأقام يتتبع عوائله ، ويعمل الحيلة في آفتراص وتره<sup>(٦)</sup>

بجري في يوم من الأيام ذكر الجوارى بين كسرى وبين ابن عدىّ - وكان أبرويز مُستَهترا بهنّ - ، فقال ابن عدىّ : « أحسنُ

---

(١) السجّية : الطيّبة والخلق والخصلة

(٢) حلُوّ الشاهد : حلُوّ العبارة واللفظ جميلهما . يقال : ماله رواء

ولا شاهد ، أى : ماله منظر ولا لسان يشهد له

(٣) الحتف : الموت نفسه ، وحتف أنفه : أى أن موته كان بخروج

روحه مع نفسه من أنفه وهو على فراشه ، لم يقتل في حرب

(٤) الآسى : الحزن

(٥) خرق في الشيء : ددش ثم تعجل فلم يحكم عمله . يقول : لم

يتعجل

(٦) الوتر : الثأر . اقترص الشيء : اغتتمه وانتهزه عند سنوح

الفرصة

النساء حُرقة بِلت النعمان ، فـكـتـب أـبرـوـيـز إـلى النـعـمان كـتـاباً يـأـمـره  
فـيـه بـجـمـل حُرقة اـبـتـه إـلـيـه . فـعـظـم هـذا عـلى النـعـمان ، وـكـتـب إـلـيـه كـتـاباً  
يـذـكـر فـيـه قـشـف<sup>(١)</sup> تـرـيـبـة العـرب لـأـولـادها ، وـتـقـصـيرِهم بـبـذـاذة  
الـهـيـئـة وـوَسَخِ المِهْنـة<sup>(٢)</sup> ، وـأَنَّ فـي عـيـنِ العـراقِ لـلـدك عِوَضاً مـنـهـن<sup>(٣)</sup> ؛  
وأنفذ الكتاب إلى كسرى . فأمر كسرى ابن عدي أن يقرأه  
عليه ، فأمره على طرفه ثم ألقاه ،<sup>(٤)</sup> و ضرب بيده على جبينه ،  
وقال : « لا يستطيع لسانى مواجهة الملك بما فيه ! » ، فعزم عليه  
الملك ليُخبرته . فقال : « ابنتى لا تصأح لك ، فإذا قرمت إلى الجماع  
فعليك بالبقر »<sup>(٥)</sup> . فغضب كسرى ، وأنفذ رُسلًا إليه فأشخص .  
فلما قرب من مقر كسرى ، أخرج أربعة آلاف جارية بالحُلَى  
وفاخر الكسوة ، وأذن له ، ثم قال له بالفارسية : « يا كلب !  
مَنْ كان له هؤلاء يصلح له مجامعة البقر ! ؟ » ، وأمر بشد يديه  
ورجليه ، وألقاه فى الأرض ، وأطلق الفَيْسَلَةَ عليه فوَطَّئته ، حتى  
مات تحت قوائمها ،

---

(١) القشف : رثاثة الهيئة وسوء الحال وضيق العيش . ومنه  
المتشف : الذى يتبلغ بالقوت وبالمرقع  
(٢) البذاذة : رثاثة الهيئة وترك الزينة . والمهنة : الخدمة والعمل  
والامتهان

(٣) العين : جمع عينا ، وهى المرأة الواسعة العينين الجميلتها والعينا  
أيضاً : البقرة لاتساع عينيها

(٤) أمره على طرفه : أى جعله أمام عينيه وأسرع القراءة

(٥) قرم إلى الشئ : اشتاه وهم به

شريف  
ومريض

٤٠- وفيما جاء به الزبير بن بكار، قال:

« اجتاز رجل من أشرف المدينة بمريض مُلْتَقَى على كُنَاسَةٍ قريبة من منزل رجل من الأولياء اختلّت حاله <sup>(١)</sup>، ومَرَضَ ولا قِيمَ عليه <sup>(٢)</sup> وتبرّم به رُفقاءه فأخرجوه من منزلهم، وهو مُلْتَقَى في الطريق. فأمر الشريف بحمله إلى منزله، وتقدّم إلى ابنة عمه في حُسن القيام عليه بحشَمِها، وأن تُرفّه عيشه إلى أن تقضى عِلَّتُهُ. فابتدره كلّ من في منزل الشريف بالخدمة حتى تكاملت صحته، وصار في منزلهم كأحدهم، وقفل إلى دِمَشق <sup>(٣)</sup>»

فلما كان في الوقت الذي توجه جيشُ يزيد للحرة <sup>(٤)</sup>، وآتَى فوقف على باب دارهم، فظنّوا به أنّه وآتَى لحمايتهم، وحُسن المدافعة عنهم، ليَقْضِيَهُمْ سَوَافِهِمْ لديه <sup>(٥)</sup>. فدخلَ الدار ومعه ثلاثة غلمان، فلما تمكّن منها أخذوا في جمع الأثاث، فقال لهم الشريف: «ما هذا؟»، فقال: «إني استوهبتُ دارك بما فيها من الأمير ووهبها لي،

(١) الأولياء: جمع ولي، بريد عمال الدولة. واختلّت حاله: افتقر

(٢) القيم: المدبر الذي يقوم على أمره

(٣) قفل: رجع

(٤) وقعة الحرة: هي الوقعة التي انتهكت فيها حرمة مدينة رسول الله خأيبحت ثلاثاً لجند يزيد بن معاوية، يقتلون الناس وبأخذون المتاع والاموال

(٥) السوائف: جمع سائفة، وهي الإحسان السابق، أو الإساءة

وكنْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا ، إِذْ كَانَتْ الْأَحْوَالُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَكِيدَةً ، ،  
فَقَالَ لَهُ الشَّرِيفُ : « رَجَعْتَ يَا ابْنَ اللَّخْنَاءِ إِلَى لُؤْمِ أَصْلِكَ ، وَفَسَادِ  
مُرْكَبِكَ ، ثُمَّ تَلَاهُ بِسَيْفِهِ . وَفَرَّ الْغُلْبَانُ ، وَهَدَّأَتْ وَقْدَةَ الْفِتْنَةِ ،  
وُطِّلَ دَمُهُ » (١) ،

\*\*\*

مولى للعباسيين  
وأموى  
٤١ - وَحَدَّثَنِي نَافِعُ بْنُ مَصْقَلَةَ الْجِمَصِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي  
يَقُولُ :

« رَأَيْتُ مَشَايِخَنَا بِجَمْعَيْنِ عَلَى أَمْرِ لِحْقِهِ أُسْلَافُهُمْ : أَنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ  
بِحِمْمِصٍ شَابًّا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، حَسَنِ الصُّورَةِ ، لَيْنِ الْعَرِيكَةِ ،  
فَأَقَامَ مَعَهُمْ مَدَّةً . ثُمَّ صَارَ الْأَمْرَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، فَتَقَلَّدَ ذَلِكَ  
الْفَتَى حِمصَ ، وَكَانَ مَوْلَى مِنْ مَوَالِي أَبِي الْعَبَّاسِ . فَلَمَّا دَخَلَهَا قَصَدَ إِلَى  
دَارِ رَئِيسِهَا كَانَ بِهَا - مِنْ أَصْحَابِ بَنِي أُمَيَّةَ - فَذَبَحَهَا فِيهَا وَجَمَاعَةً مِنْ  
غُلْبَانِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ

فَأَحْسَنَ السَّيْرَةَ ، وَأَلَانَ الْجَانِبَ ، فَقِيلَ لَهُ : « لَيْسَ يُشْبِهُهُ مَا أَنْتَ  
عَلَيْهِ ، مَا فَرَطَ مِنْكَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي ذَبَحْتَهُ وَسَمَّمْتَهُ » ، فَقَالَ :  
« اسْمَعُوا مِنِّي مَا جَرَى عَلَى عَائَتِهِ

« اجْتَزَتْ بِهِ - وَقَدْ نَظَّفَتْ أُنُوبًا إِلَى لِأَمَلِكِ غَيْرَهَا ، وَقَدْ دُعِيَتْ  
إِلَى أَمْرِ لَا يَسْعَى التَّأَخُّرُ عَنْهُ ، أَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْهَيْئَةِ وَإِظْهَارِ  
النَّجْمِ ، وَمَعِيَ رَسُولٌ مِنْ أَسْتَحْضَرَنِي - وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى الْبَابِ ،

---

(١) طلّ دمه : أهدر وأضيع ، فلم تكن له دية ولا نأر



فرائت دأبتي<sup>(١)</sup> بحيث تقع عليه من رَحْبَةٍ مَبْلَطَةٌ لداره . فأمصني<sup>(٢)</sup> ،  
وأمر الغلمان بترجيلي وضربي ، فركبني أيديهم . ثم حلف ألا أبرح  
حتى أكدر روث دوابه يدي في كمي ، وأحمله في ثوبي وحجري ،  
وأخذتُ فجُفرت إلى ذلك ، ولم تزل حاشيته تضحك مما نزل بي ،  
فحدثت مولاي ، فاستحلفني بحقه على غليظ ما أتيت به ،

\*\*\*

أحد الأكاسرة  
ولده

٤٢ - وما قرأته من سير العجم :

أن جماعة المنجمين حكموا لبهض الأكاسرة أن ابنه يقتله ويتولى  
ملكه ، فعمد كسرى إلى سُموومٍ ورحيةٍ فجملها في قوارير<sup>(٣)</sup> ، وختمها  
وكتب عليها : « دواءٌ للجماع ، الشربة مثقال » ، وكانت وزنة  
قيراط تقتل من تلك السموم . وقال : « إن كان الأمر كما حكاه  
المنجمون فساخذ بطائفتي منه »<sup>(٤)</sup> . فعدا عليه ولده وقتله ،  
وكان شديد المحبة للجماع ، ورأى تلك القوارير ، فشرب  
مشقالات

\*\*\*

مروان  
الجمعدى وخالد

بن سه

٤٣ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب ، قال حدثني أبي ، عن جدّي

- (١) راث الفرس وغيره من الحيوان : أرسل روثه ورجيعه  
(٢) أمص الرجل : إذا شتمه فقال د يامصان ، وهو اللثيم الراضع .  
يريد سبه سباً قبيحاً  
(٣) سم وحى ، وموت وحى : سريع  
(٤) الطائفة : النار

واضح ، قال :

« سمعت خالد بن سهم ، يحدث المنصور - وكان هذا الرجل خاسماً بمروان بن محمد الجعدي <sup>(١)</sup> - فطلب منه مروان جارية له كان يحبها ، وتجرم عليه <sup>(٢)</sup> ، فأطال حبسه ، وأخذ الجارية منه . وكان ذارأي وتجدة <sup>(٣)</sup> . فلما استفحل أمر أبي مسلم وكسر عساكر مروان ، أخرجه من الحبس ووعده جميلاً - ، قال خالد :

« كان مروان يضحك من زى المسودة <sup>(٤)</sup> ويقول : « لو أترناهم ما بلغنا بهم ما بلغوا بأنفسهم من التشويه والشهرة <sup>(٥)</sup> » . فلما أضطّر إلى مكافحتهم وواقعهم ، رأيتهم قد تهيب معاركهم ، فقال لي : « يا أبا يزيد ! - وما كنتناي قبل ذلك اليوم - ، إنى قد ارتعت ، فهل ذلك بين في ؟ » ، قلت : « بلى يا أمير المؤمنين ! » - وكنت أداجته <sup>(٦)</sup> ، ويسرني حوول أمره <sup>(٧)</sup> ، فقال : « ما أجد قلبي يطيق موافقتهم ! » ، فقلت : « إن كان هذا ، فتحصن منهم بالانهزام ، فإن خيلك أنجى من خيلهم <sup>(٨)</sup> » .

- 
- (١) هو آخر خلفاء بني أمية المسمى « مروان الحمار » ،
  - (٢) تجرم عليه : تجنى عليه مالم يجنه من الذنوب والجرائم
  - (٣) النجدة : الشجاعة والمضاء والبأس الشديد
  - (٤) المسودة : هم العباسيون ، فقد جعلوا شعارهم السواد
  - (٥) الشهرة : الفضيحة والشنعة الظاهرة
  - (٦) داجنه : لازمه وأحسن مخالطته بالرياء والمداهنة
  - (٧) حال الأمر يحول حوولا : تغير وتبدل وتحول فزال
  - (٨) أنجى من خيلهم : أسرع نجاء ، والنجاء : العدو السريع

فانهزم ، وتوقف أصحابُ أبي مسلم عن طلبه ، فلما بلغ إلى  
سَوَادِه<sup>(١)</sup> قال لي : « قد عزمتُ على الدخول إلى بلد الروم ، . . وكان  
من أصوب تدبيره - ، فَتَفَسَّتُ عليه بالرأى<sup>(٢)</sup> ، وأستعملتُ ، مغالطته  
فقلت : « تدخلُ بأحداثٍ من وِلْدِكَ وَشَمْلِكَ<sup>(٣)</sup> مستجيرين بكافرٍ قد  
أَمِنَ سِرُّهُ<sup>(٤)</sup> ، واستقام أمره ؛ ولعلَّ وِلْدَكَ يروقههم ما يروونه في  
ملكته ، فيحملهم ذلك على التنصُّر ؛ ولأنَّ تَمَادَى في مسيرِكَ حتى  
تدخل مصر فتجد فيها الرجال والكَرَاعَ والمالَ<sup>(٥)</sup> ، تملك بها  
أختيارَكَ . . فركن إلى قولي ، فسرنا . فلما دَخَلْنَا مصرَ خَرَجَ إلى  
صعيدِها ، واستأمنتُ إلى عامِرٍ - لحالِ كانت بيني وبينه - ، وقيل  
يُوصِرُ الأَشْمُونِينَ ،

\*\*\*

أحمد بن طولون

٤٤ - ولما قدِمَ أحمد بن طولون إلى مصر متعلِّداً بها عمل  
وابن المدبر المعونة ، أهدى إليه أحمد بن مدبر من دِقِّ مصر<sup>(٦)</sup> ، ودوابِّها ،  
والرقيقِ المجلوب إليها ، ما مقداره عشرة آلاف دينار . فردَّ ذلك

(١) سواد العسكر من الجيش : ما يشتمل عليه من الآلات  
والدواب ، ويكون مجتمع سواد الجيش (المعسكر)

(٢) نفس عليه الشيء : حسده عليه وضمَّ عليه به

(٣) الأحداث : الصغار ، جمع حدث

(٤) أمن سره : أي اطمأنت نفسه ، والسرب : النفس

(٥) الكراع : اسم لجماعة الخيل والسلاح

(٦) دق مصر : هي الثياب الرقيقة الدقيقة الصنع التي كانت تصنع

بها ، وتعرف بالفباطى جمع قبطية

عليه ، وذكر أنه لا حاجة له بشيء منه . فثقل ذلك على ابن مدبر ،  
وقال : « ما ينبغي أن يثق السلطان - بمن لم يكن لعشرة ألف دينار  
في عينه قدرٌ - على طرفٍ من أطراف مملكته ،  
فلما مضت أيامٌ بَعَثَ إليه : « قد كنت أنفذت إلى طائفةٍ من برِّك  
فرددتها عند وقوع الاستغناء عنها ، وقد بلغني أن عندك مائة رجل  
من مولدى الغور <sup>(١)</sup> ، وبى إليهم أمس حاجة . قال ابن المدبر :  
« قد ظهرت في هذا الرجل علامةٌ أخرى ، يرُدُّ الأعراض والأموال ،  
ويستهدى الرجال ! »

وكان حسين بن شعرة - مضحك المتوكل على الله - قد انضوى <sup>(٢)</sup>  
إليه ، فحتمى به ضياعه وأملاكه . ووقف على استئصال ابن مدبر  
لأحمد بن طولون ، وأخرج حكايته في تَزَمُّتِهِ <sup>(٣)</sup> وكلامه ،  
فيضحكُ ابن مدبر ومن حضره . فاتصل ذلك بآبن طولون ،  
فأحضره ثم قال له : « بلغنى أنك تتنادرُ بى <sup>(٤)</sup> ، ولك فى الناس  
مندوحةٌ فأحذرنى ، فإنك إن وقعت لم ينفعك آبن المدبر ولا  
غيرُهُ » ، فجحد هذا واعتذر إليه منه . ثم انصرف إلى آبن المدبر وقال :

---

(١) الغور : بلاد موحشة بين هراة وغزنة ، كان يؤتى منها بسى  
يولد ويربى

(٢) انضوى إليه : مال إليه ، واحتتمى به

(٣) التزمت : الوقار والسكون وقلة الكلام والضحك ، وكان

ابن طولون من أشد الناس وقاراً

(٤) تنادر به : تهزأ ويختر وجعله من نوادره

« ياسيدي ! لو شاهدتَ أحمد بن طولون يُؤْتَبَى ! » ، فقال « ما قال لك ؟ » ، قال : « آصيرُ حتى أريك حكايةَ مُصَوَّرته ومُعَاتبته » ، ثم تَلَبَّسَ وَجَلَسَ يَحْكِيهِ وَيَقْتَضُ مَا لَقِيَهُ بِهِ <sup>(١)</sup> . ثم اتصل ذلك بأحمد ابن طولون فأَمَسَكَ عِذَهُ ، وَرَتَّبَعَ غَوَائِلَهُ

« وَأَضْطَرَبَتِ الرَّعِيَّةُ لِنِزَاعِ السَّعْرِ <sup>(٢)</sup> ، وَقَدْ بَلَغَ ثَلَاثَةَ أَرَادِبٍ حِنْطَةً بِدِينَارٍ . فَرَكِبَ وَتَقَدَّمَ بِعُقُوبَةِ الْقِمَاحِينَ ، وَأَزْدَحَمَتِ النِّظَارَةَ مِنَ السُّطُوحِ عَلَيْهِ . فَوَقَعَ مَرَكَنٌ فِيهِ رِيحَانٌ إِلَى الْأَرْضِ <sup>(٣)</sup> ، بِمِرَاحِمَةٍ مَن تَشَوَّفُ إِلَيْهِ مِنَ النِّسَاءِ <sup>(٤)</sup> ، فَسَحَّ كَفَّلَ دَابَّةَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ ، <sup>(٥)</sup> فَسَأَلَ عَنِ الدَّارِ : « لِمَنْ هِيَ ؟ » ، فَقَالُوا « لِلْحُسَيْنِ بْنِ شَعْرَةَ أ » ، فَأَحْضَرَهُ وَضَرَبَهُ ثَلَاثِمِائَةَ سَوْطٍ ، وَطَافَ بِهِ . وَكَانَ مَا أَوْقَعَهُ بِهِ مِنْ أَجْلِ مُتَقَدِّمِ سَوَائِفِهِ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَفَاحِ الْحُسَيْنُ بْنُ شَعْرَةَ بَعْدَهَا

« وَزَادَ أَمْرَ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونٍ فِي الْقُوَّةِ وَزِيَادَةَ الْمَالِ وَوَفُورِ الْكَفَايَةِ ، حَتَّى تَهَيَّبَهُ ابْنُ مَدْبَرٍ ، فَخَدَّثَنِي أَبُو الْعَبَّاسِ الطَّرْسُوسِيُّ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَحْمَدَ بْنَ طُولُونٍ يَقُولُ لَهُ : « يَا أَبَا الْحَسَنِ ! أُنْشِدْكَ اللَّهَ إِنْ تَعَرَّضْتُ لِي وَلَا تَرَسَّمْتَ بَعْدَ أَوْتِي <sup>(٦)</sup> ، فَقَدْ آجَهْتُمْ فِي آسْتِصْلَاحِكَ

(١) اقتص الشيء : تتبعه واحدة واحدة

(٢) نزاع السعير : ارتفاعه وغلاؤه

(٣) المَرَكَنُ : إجانة يستنبت فيها الرياحين (قصرية)

(٤) تشوف إليه : تطاع إليه وتطاول لينظر

(٥) مسح كفلهما : مس عجزها ومؤخرها

(٦) ترسم بالشئ : جعله رسماً له يعرف به

فلم أصلُ إلى ذلك ، فقال له ابن مدبر : « والله ما أُرِدُّ أمرَكَ فيما أنقلده ، وإني فيه كالمقيم من قبلك ، فأى شيء أنكرت علىّ حتى أنجنبه ؟ » ، فقال : « أنكر عليك المكاتبَةَ إلى الحضرة <sup>(١)</sup> ، وقد نلّدتك البغي » ، خلف له ابن المدبر أنه لا يكتب إلا بشكره

« وصرّف ابن المدبر عن مصر بأبي أيوب - ابن أخت أبي الوزير - فلما أجمع الشيوخ عنها قال له أحمد بن طولون : « يا أبا الحسن ، لو أردتُ بك سوءاً لقد رتُ عليه ، وأحتاج إلى أن تجدّد تلك العين » ، خلف له بالمرحّجات أنه لا يألو حرصاً في تزيين آثاره <sup>(٢)</sup> وتطبيب أخباره ، وأشهد عليه الله بذلك . وخرج عن مصر متقلداً للشام فأقام مع ماجور

« خذتني نعتُ مولاة أحمد بن طولون : وأثم ثلاث بنات كنّ له - فقالت : « كنت عند مولاى بائنة فسمعته يحلم في نومه ، خفتُ أن أتبهه فينكر علىّ هذا ، فأنتبه ورجّس ومسح عينيه وقال : « خيرٌ إن شاء الله » . فسألته عما رأى فقال : « رأيت ابن مدبر قائماً في وسط برية ، ومعه قوسٌ مؤترّةٌ وسهام ، وأنا تجاهه قائم ، ومعى جميعُ السلاح إلا القوس ، وبيننا نهر ، فكأنه يسدّد السهم نحوى ويرمى ، فأخطأنى . وكان قائلاً يقول : « لو رماك يومه كله لما أصابك به ، لأنه عاهدك ، وما يضرُّ هذا الفعلُ غيرَ نفسه ، فكأنه اشتدّ

(١) الحضرة : يريد حضرة الخلفاء من بنى العباس ببغداد

(٢) لا يألو : لا يقصر

على انهماكه في الرمي لى ، وليس فى يدى غير سيفٍ وشرخ  
وما أشبههما ، <sup>(١)</sup> لا تمملُ فى البعد ، وقد حال النهر بينى وبين  
العبور إليه . فإننا على هذا ، حتى أنصب النهر فلم يبق فيه  
قطرة <sup>(٢)</sup> . فعبرت إليه ، فكأنى كنتُ كلما قُربتُ منه يصغرُ ، حتى  
صار بمنزلة من يواريه الكف ، فأخذته يدي أستظرفه <sup>(٣)</sup> ، ثم  
ألقيته من قامتى على رأسه فمات . فتأولتُ سهامه : المكاتبه فى  
والتحريض على ، والنهر الذى منعى منه : مقام ماجور بدمشق ،  
ونضوبه : موت ماجور ، وصغره : قدرتى عليه ، واحتيازه فى  
كفى : قبضى عليه ، وقول القائل لى فى السهام إنها تُخطئك : أن  
الله لا يعينه على ،

« حدثت هذا الحديث سعداً الفرجانى - غلام ابن طولون - فقال  
لى ما سمعت بهذا الإمنك ، والذى عندى من خبره مطابق لهذه الرؤيا .  
وذلك أن الحسن بن محمد برم بكيد الكتاب وانتقاض الأولياء . <sup>(٤)</sup>  
فكتب إلى أحمد بن طولون يذكر له رغبته فى المقام بمصر . فكتب  
إليه أحمد بن طولون : « إنما أنا وليك <sup>(٥)</sup> ، ومقام صنيعه من صنائك . »

(١) الشرخ : النصل الذى لم يشق بعد ولم يركب عليه قائمه

(٢) أنصب النهر أنصباً : ذهب فى باطن الأرض وغار وبعد وقل

(٣) استظرف الشيء : وجده طرفه ، أى طرفاً غربياً

(٤) برم : ضاق وضجر ، وانتقاض الأولياء : نقضهم العهود

وخر وجههم عليه

(٥) الولى : التابع من عمال الدولة

وصوب رأيه فيما آثره . فحجَّ من بغداد ، وتبَّ عنانه إلى مصر ، فنعاه صاحب البذرة <sup>(١)</sup> . فأنفذ كتباً إلى أحمد بن طولون ، فكان أول ما صدر منها أربعين كتاباً جميعاً بخط ابن المدبر ، يُعظَّم فيها أمر أحمد ابن طولون ويقول : « إنه قد عزم على أن يجلس خليفةً » ، ويصفه بكل غدر ، فعجب منها ابن طولون . ثم مات ماجور ، واحتاز دمشق والشام ، وأنفذني إلى الرملة فقبضتُ عليه وأشخصته إليه . فأقام مدة في حبس ضيق ، وجفوتما جرت به عادته <sup>(٢)</sup> ، حتى ذهب بصره ومات ،

\*\*\*

٤٥ — وحدثني سهل بن سُديف ، قال :

ابن المدبر  
ومتقبل

« رجعت [مرة] مع أحمد بن محمد بن مدبر إلى داره ، فاستقبلته امرأة فقالت : « أيها السيد ! نحن مائة عيَّل على فلان المتقبل ، <sup>(٣)</sup> وقد ضاع شمله لحبسه ، فاتقِ دعوة تعرُّج إلى الله منا فيك ! » ، فقال وهو مهزَّي : « إذا عزمتم على هذا ، فليكن الدعاء في السحر فإنه أنجعُ له » ا قال لي سهل : « فارتعتُ من الكلمة ، فما مضى له شهر حتى تقلد محمد بن هلال الخراجَ وصرفه عنه ، واجتمعا عند

---

(١) البذرة : هي خفارة الطريق وحراسته ، والمبذوق الخفير .  
(٢) جفا الشيء جفأ وجفواً : بعد عنه ، يريد ، وابتعاد عن عادته  
(٣) المتقبل : هو الذي يتقبل الخراج أى يتكفل بجمعه وإيراده ليت المال ، والعيل : هو الذي يحتاج ، إلى من يعوله ويمونه ويتكفله ،  
والجمع عيال



أحمد بن طولون، فاهتدى محمد بن هلال إلى مالم يظن أنه يقف عليه،  
لأنه أول مانظره قال: « رزق الخراج: كذا وكذا، وأرزاق  
الدواوين المضافة إليه: كذا وكذا، فهل قبضت جملة هذه الأرزاق؟ »،  
قال ابن المدبر: « نعم! ما حضرني كتاب أمير المؤمنين بإطلاق جميع  
الرزق لك؛ لأنه يجوز أن يكون استعملك على جميع الأعمال برزق  
الخراج وحده ». فانهقطع [إلى] ابن المدبر، وطالبه بالمال،  
فقال: « ما يلزمني؟ ». ورد إلى يد محمد بن هلال، فألبس جبة  
كانت على بعض الساسة،<sup>(١)</sup> وأقيم في الطريق على كناسة،  
وختمت الجبة في عنقه

« فكان أول من وافته الامراة التي قال لها: « يكون دعاؤك في  
السحر هو أنجمع له »، فقالت: « جزاك الله يا أبا الحسن خيراً،  
فقد نفعتنا بأكثر مما ضررنا؛ لأننا جربنا ما أشرت به فوجدناه أنجمع  
شيء يلمس [به] ». فبكي ومن حوله من الموكلين به، وانصرفت  
المرأة داعية له »

\*\*\*

٤٦ - وكان محمد بن أبي الساج قد هادن خمارويه بن أحمد  
خمارويه وابن  
أبي الساج  
ابن طولون، وحلف بالمرجات أنه لا يشأه ولا يجهز إليه

(١) الساسة جمع سائس: وهو الذي يقوم على خدمة الدواب  
ورياضتها.

جيشاً أبدأ<sup>(١)</sup> ، وخلف عنده ابنه - المعروف بدادود - رهينة ، فسكن خمارويه إلى هذا . ثم تواترت الأخبار بتجيشه عليه<sup>(٢)</sup> ، وما أثره من المسير إليه ، فدعا بابنه وقال : « قد نَقَضَ أبوك ما بيني وبينه ! » ، فقال : « ياسيدي ! ما أعرف لى أباً غيرك » . فرَّق له وأجازه ، وأقرَّ أثرته<sup>(٣)</sup> ، ثم توجه إلى ابن أبي الساج فالتقى بالثنية ، فحدثني أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن القاسم بن إبراهيم بن طباطبا - وكان معه - قال :

« لما تراى الجمعان أمر بإلقاء حصير الصلاة فألقيت ، ونزلت معه فصلتي ركعتين ، فلما استتمهما ، أدخل يده في حُفَّه ، فأخرج منه خَطَّ ابن أبي الساج الذي حَلَفَ فيه بَوَكِيدِ الإِيْمَانِ أنه لا يحاربه ، فقال : « اللهم إني رضيتُ بما أعطانيه من الإيْمَانِ بك ، ووثقتُ بكفايتك إيايَ غَدْرَه [بى] وبجلفه واجترأه على الحِنثِ بما أكَّده لى اغتراراً بحلمك عنه ، فأداني عليه !<sup>(٤)</sup> . ثم ركب ، فرأيتُ مَيْمَنَه خمارويه قد انهزمت ، وتبعها ميسرته ، فحمل في شُرْذِمَة يسيرة على جيش ابن أبي الساج - وهو فى غايةٍ من الوُفُور - فانهزموا بأسرهم

(١) شاقه يشاقه مشاقه : خالفه وعاداه ، من الشقاق وهو غلبة العداوة والخلاف

(٢) جيش عليه : جمع الجيوش لقتاله

(٣) أقرَّ أثرته : أى رضى إيثاره إياه بالابوة وأقره عليها ، وفى

الأصل المطبوع ، وأقرَّ أترابه ، وهو خطأ بين

(٤) أداله عليه : جعل له الدولة عليه ونصره عليه

فوقف على نَشْرٍ (١) ، وأطفتُ ومن حضره به ، فاستأمنت  
إلينا عدة كثيرة . فقلت له : « إن مَقَاتَنَا أيها الأمير مع هذه  
الجماعة خطرٌ ، فأمرني بالمسير بهم إلى مستَقَرِّ سواده (٢) . فسرتُ  
معهم - وأنا على رِقْبَةٍ من طمع فيه أو كَيْدٍ له - فبلغوا نهراً  
فاحتاجوا إلى عُبُورِهِ ، فرأيتهم قد خلَعُوا الخِئَافَ وَحَطُّوا الرِّحَالَ ،  
وسَلَكُوا سلوكَ المَطْمِئِينَ ، فَأَنْسَيْتُ إِلَيْهِمْ »



٤٧ - وكان في حارتنا شابٌ قد قدم من العِراقِ ، ذَكَرُهُ  
الروح هَادِيُّ السَّمْعِي ، يذكر أنه قرابةٌ لابن يَعْفَرِ القَائِمِ كان  
باليمن . وكان بمصر في دون قومه ، فأشار عليه من شاهدته ابن  
يعفر وسَعَمَهُ أمره ، بالخروج إليه ، فأخذتُ له حِجَّةً من بعض  
أهلنا (٣) ، وأضفت إليها براً بنى بتَحْمَلِهِ (٤) ، وخرج . فلقى بمكة عجوزاً  
يمانيةً جليلاًةً القدر فيهم ، فعرفها موضعه ، فقالت : « أنا أتكفل  
بمُؤَوَّتِكَ وتَحْمَلِكَ ، وأغتنم هذه اليد عند الأمير ، وحملة حتى  
صارت به إلى عَشِيرَتِهَا ، فقالت لهم : « إن ابنَ يَعْفَرِ قتل مِنَّا  
في العام الماضي رجلاً ، ومعى قرابته له فاقتلوه به » ، وآجمع

(١) النشر : المتن المرتفع من الأرض

(٢) السواد : الماسكر ، انظر ص (٨٥)

(٣) حجة : يريد نفقة حجة عن مات قبل أن يحج وقد وجب  
عليه الحج

(٤) يريد ، ما يقوم بنفقة حمولته في السفر

الحى، وتسأله أولياء القتييل، فلما جرد السيف اضطرب وبكى، فقال أولياء القتييل: «ما رضى أن نقتل هذا بصاحبنا، صاحبنا شجاع وهذا حبان!»

فبعثوا به إلى ابن يعفر، وقالوا لرسولهم إليه: «إننا لانرضى أن نقتاد من هذا»<sup>(١)</sup>، فلما وافى ابن يعفر، دعا له بالسيف والنطع ليقتله، وقال «هتكتنى فى هذا الحى من العرب!»، فقال له وزيره: «إن هذا الفتى خرج من فاقة وأمن إلى موقف تضرب فيه عتقه فأضطرب، وإنما يقتل الأمير من قاذ الجيوش، وتطعم بحلابة الأمر والنهى فيه»<sup>(٢)</sup>، وتمكن من الرئاسة ثم عدل به طبعه إلى الخور، والذي أراه الأمير: أن يعقد له الرئاسة على جماعته، ويُنفذه إلى مهماته، فإن أكثر الفضائل إنما تظهر بحسن الارتياض»<sup>(٣)</sup>

ففعل الملك ما أشار به عليه وزيره. فحدثني أبو عبد الله محمد بن عامر اليماني: أنه درج بهذا التدبير<sup>(٤)</sup> فظهر من شجاعته ما لم ير في آل يعفر مثله، ثم غزا الحى الذى كانت تلك العجوز منهم، فقتل أولاداً كانوا لها، وأقفر به ذلك الحى.

(١) اقتاد منه: جملة قوداً أو قصاصاً يقتل بالمقتول من قومه

(٢) تطعم الشئ. وتطعم به: ذاقه ليتبين طعمه حلوه أو مر؟

(٣) الارتياض: الرياضة والتذليل والتعليم، يقال، راضه وروّضه

وارتاضه

(٤) درج به: درب به وترقى درجة بعد درجة

٤٨ - وحدثني يوسف بن إبراهيم [والدي] . قال حدثني  
الخيزران أم  
الرشيد وامرأة  
هشام  
إبراهيم بن المهدي:

« أنه دخل على الخيزران أم الرشيد ، فوجدها جالسة في الدار  
المعروفة بها - وصارت إلى أم محمد بنت الرشيد بعدها - على نَمَطٍ  
أَرْمِينِيٍّ<sup>(١)</sup> والنَّمَطُ على بساط أَرْمِينِيٍّ ، وعن يمين النَّمَطِ وَيَسَارِهِ  
نَمَارِقُ أَرْمِينِيَّةٍ<sup>(٢)</sup> ، وعلى أعلى نَمْرُقَةٍ منها زينبُ بنت سليمان بن  
علي ، وعلى يسار النَمَارِقِ أمهات أولاد المنصور ونسوة من نساء  
بني هاشم ، إذ وقفت امرأةٌ على طَرَفِ البساط فسَلَّمَت ثم قالت :  
« يا زوج أمير المؤمنين ! أنا مُرَبَّةٌ زوج هشام بن عبد الملك ، ثم  
مروان بن محمد من بعده ، نكبتها الزمن ، وزَلَّت بها النعل<sup>(٣)</sup> ،  
حتى أصارها إلى عارية ما تستير به مما عليها ، فتيدنت الدموع  
تدور في عين الخيزران . وخافت زينبُ أن تدخلها رُقَّةٌ ، فقطعت  
على مُرَبَّةِ الكلام بأن قالت : « يا أم أمير المؤمنين ! اتقى الله  
أن تُدخلك راقَةٌ بهذه الملعونة ، فتنبوئي مَقَعَدَكَ من النار ،

ثم التفتت إلى مُرَبَّةٍ فقالت لها : « بِكِ قَدَامَ مَا أَنْتِ فِيهِ يَا مُرَبَّةُ !  
كأنك نسيتِ دخولي عليك بحرّان ، وأنت جالسة بصحنِ دار مروان ،

(١) النَمَطُ : ضرب من البسط ( جمع بساط ) له خمل رقيق وطوي

(٢) النَمَارِقُ : جمع نمرقة ، وسادة وثيرة موشاة

(٣) زلت به النعل : زلت وقع وافقر بعد استواء الحال والنعمة

على هذا النمط ، وتحت هذا البساط ، وعن يمين نمطك ويساره هذه  
النفارق ، وعليها أمهات أولادِ جَبَابِرَتِكُمْ ، وقد مَثَلْتُ في مثل هذا  
المكان الذي أنت فيه ماثلة <sup>(١)</sup> ، وأنا أسألك وأنضرعُ إليك في  
استيهابِ جُنَّةِ إبراهيمَ الإمامِ من مروان لئلا يُمثَّلَ به ، وقولك  
وأنت كالحلة في وجهي : « ما للنساء والدخول في أمور الرجال ؟ » ،  
ثم أمرت بإخراجي من دارك بغِلْظَةٍ ، فلجأت إلى مروان فوجدته  
على حالٍ أشدَّ تعظُفاً على رحمه منك ، وقال لي : « لقد ساءتني  
وفاة ابن عمي وما دَبَّرْتُ المُثَلَّةَ [ به ] <sup>(٢)</sup> ، . وقد خيَّرني بين إطلاقي  
تجهيزه له ، وبين تسليمه إلي ، فاخترتُ تسليمه ، وأمر له بجهازٍ  
فقبلته منه ،

« قال إبراهيم : « فالتفتت مُرِيَّةً إلى زَيْنَب فقالت لها : « كأنك  
يا بنت سليمان تحديت لي عاقبة أمرى في قطيعتي رحي ، فأردت أن  
تزيئي قطيعة الرحم لأم أمير المؤمنين ! » ، ثم التفتت إلى الخيزُرَانِ  
فقالت : « صدقت زَيْنَبُ فيما ذكرت عني ، وذلك الفعلُ مني  
أحسني هذا المحلَّ . والسعيدُ من اعظُ بغيره ، وانصرفت . فبعثتُ  
إليها الخيزران ما أعاد إليها [ حالها ] ، وكفَّ اختلالها

\*\*\*

٤٩ - وحدثني يوسف بن إبراهيم والدي ، أنه سمع بُطْرُسَ - <sup>(٣)</sup>

اليون ملك  
الروم  
ومبخاتيل  
البطريق

(١) مثل بين يديه مثولاً : انتصب قائماً

(٢) المثلة : التذليل بالميت أو الحي والتشويه . مثل به تمثيلاً

(٣) في الاصل : « بطوس ، وسيأتي اسمه في ص ( ٩٨ )

- رَجُلًا - يحدث إبراهيم بن المهدي :

أن « نقفورَ الملك ، - لما تأدى إليه الخبرُ بوفاةِ الرَّشيد -  
جعل ذلك اليوم عيداً للروم ، ثم جعل عيداً أعظمَ منه في اليوم  
الذي تأدى إليه وقوع الشرِّ بين محمدِ الأمينِ والمأمون ، ثم عيَّدَ عيداً  
ثالثاً في الوقتِ الذي بلغه خروجُ أبي السَّرايا ، ثم خرج إلى البُرْجان  
ليحاربهم فقتل

فسأل بطارئةُ الروم بطريقهم اختيَّارَ رجلٍ ليقلدَ مملكتهم ،  
فاتفقَ معهم على رجلٍ من أبناءِ العربِ يقال له « اليون » فملكوه  
- وكان ذا نكاية - فدفع عنهم وقدةُ البُرْجان <sup>(١)</sup> . وقوى اليون  
على ضبط المملكة ، وكانت الروم في أيامه أعزَّ منها في أيام نقفور ،  
إلا أنهم أنكروا عليه بسطَ اليدِ بالهياتِ ، والنفوة عن أسرى  
المسلمين . ثم اجتمعت البطارقةُ الاثنا عشرَ في مجلسٍ على نبيذٍ لهم ،  
فتذاكروا أمره ، واستشنعوا فعله . وكان أغلظهم كدحا عليه <sup>(٢)</sup>  
ميخائيلُ البطريق الذي مأسكهم ، وملكتهم امرأةٌ بعده ، فبلغ اجتماعهم  
وما قالوا اليون ، فوجه في يومٍ سبتٍ إلى ميخائيل فأحضره ، ثم  
دعا بتأييس من شعيرٍ بطول ميخائيل <sup>(٣)</sup> ، فأدخل رجلاه في قرارةِ  
التلييس ، ثم أمر بالتأييس فرفع وأقيم ميخائيل ، فبلغ رأس التلييس

(١) الوقدة : الشدة والبأس والالتهاب في الحرب وما شاكلها

(٢) الكدح : السعى الحديد ، ويريد السعى في إيذانه والإيقاع به

(٣) التلييس : وعاء كالعبية يسوى من الخوص

إلى رأسه . ثم أمر أن يُحشَى رءساً نُحشَى ، فبلغ الرمل فَمَ التليس .  
ثم أمر نَحِيْط بِشَعْرِ جُمَّة ميخائيل <sup>(١)</sup> ، ودعا الطَّابَّاحِينَ فَأَمَرَهُمْ  
أَنْ يُعِدُّوا لَهُ طَعَاماً كَثِيراً مِثْلَ مَا يُعَدُّ فِي الْأَعْيَادِ ، ثُمَّ قَالَ  
لِلْبَطَارِقَةِ - وَمِيخَائِيلَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ - : « إِذَا نَحْنُ تَقَرَّبْنَا  
فِي غَدٍ ، أَلْقَيْتُ مِيخَائِيلَ فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ تَغَدَّيْنَا وَجَعَلْنَاهُ يَوْمَ ،  
سُروراً ، »

قال بطرس : « فاجتمع البطارقة بعد أنصرفهم من عنده  
وقالوا : « هذا العربي قد امتدت يده إلى ميخائيل ، ونخاف أن  
يجترئ على كائنا ، فأجمعوا على الاشتغال على سيوفهم ، والدخول  
إليه وقتله ، ففعلوا ذلك . ثم جلسوا للمشاورة فيمن يُنصب  
بمكانه <sup>(٢)</sup> ؛ وآسئترف كل واحد منهم إلى أن يكون مَلِكاً  
فقال أحدهم لسائر الجماعة : « الصواب أن نُمسكوا ميخائيل : فإنه  
يرى أنكم أنعمتم عليه بالحياة ، فآسئترفوا إلى ذلك ؛ ورأوا  
موضع السداد منه ، فأخرجوه من التليس وغسلوه ، وأحضرُوا  
البطريقَ وثيابَ الملكِ فألبسوه إياها ، وأعلموه أن اليون قد قُتل ،  
وملكوه عليهم »

« ثم صاروا إلى مجلس المملكة والموائد منصوبة ، فقالوا له :  
« تَعَدَّ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِالطَّعَامِ الَّذِي دَبَّرَ الْيُونُ أَنْ يَأْكُلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ ، »

(١) الجملة : يجتمع شعر الرأس إذا طال

(٢) نصب مكانه : أقيم مكانه خليفة له



فقال ميخائيل « عازُّ بالملك أن يَظْعَمَ طعاماً وفي عُقْمه يدٌ  
 لإنسانٍ من أوليائه ورعيَّته ، قبلَ أن يكافئَه عنها ، وقد أحبيتموني  
 بعد موتي ، ولست أطعمَ طعاماً حتى يخبَّرني كل إنسانٍ منكم بجميع  
 حوائجه في مُدَّةِ عمره . » فقال كل واحد منهم ماتناهي إليه أهله ، مما يصل  
 ميخائيل الملك إليه . فقضى جميع حوائجهم ، وسألوه الأكل فقال :  
 « قد فرغنا مما يجب لكم ، وبقِيَ [ما] لله والملك ابون ، ولا يُحْسِنُ بي  
 أن آكل حتى أفعل ما يجب لهما ، » ثم قال للبَطْرِيْق : « ما جزاء من منع  
 مَلِكاً عليه من شَمِّ النَّسِيمِ وَرَوْحِ الْحَيَاةِ <sup>(١)</sup> ؟ » ، قال البَطْرِيْق :  
 « يُمنَعُ النَّسِيمَ وَرَوْحَ الْحَيَاةِ » ، فقال لهم : « قد حَكَمَ عليكم البَطْرِيْق  
 بما لا يَجُوزُ خِلافُه . » وأمر بضرب أعناقهم وأبتدأ بطعامه

\*\*\*

٥٠ — ومما نقله ابن المقفع عن الفُرسِ وتعالَمُه العرب :  
 سيف بن ذى  
 يزَن وملك  
 الحبشة  
 أن ملك الحبشة لما غلبَ على مملكة سيف بن ذى يزَن ، خرج  
 إلى كسرى مستصريحاً إليه ، ومستجيراً به عليه . وكان ملك الحبشة  
 يُجْرِي على ترُجْمان كسرى رزقاً مُثْبِئاً على تحريف دَعْوَى  
 المتظلمين منه <sup>(٢)</sup> . وكان لسكسرى يومٌ في كل شهر يركب فيه ،  
 ويقرُب من عامته ، ومن لا يصل إليه ممن آتَجَّعه <sup>(٣)</sup> ، فتَوَخَّى سيف  
 ابن ذى يزَن ركوبه في ذلك اليوم ، فلما رآه قال : « أسعد الله

(١) روح الحياة : برد نسيمها وطيبه وخفته

(٢) الرزق المثيب : المصلح للحال بعظيم غناؤه

(٣) آتجعه : أتاه يطلب معروفه وخيره

الملك أنا سيف بن ذى يزن، أغار على متملك الحبشة بفرط تعديه وسوء جواره، فأخرجني من مملكه عمرتها أنا وآبائي مذأ كثر من مائتي سنة. وأنا أسأل الملك أن يُجِدني عليه<sup>(١)</sup>، ويردني بطوله إلى مملكتي ومملكة آبائي». فسأل الترجمان عن قوله فقال: «يقول: «أنا رجل من جيلة العرب<sup>(٢)</sup>، وقد اختلت حالي، واضطرب شملي لشدة الفاقة، وقد قصدتُ الملك مُستتيراً به، ومستميراً منه<sup>(٣)</sup>»، فأمر له بجائزة. فرأى سيف بن ذى يزن ما لا يشبه ما ابتدأه به

وصبر إلى اليوم الذى يسهل فيه كلامه وانتظره فيه، فلما رآه قال: «أنا أيد الله الملك ذو نعمة وكفاية، وإنما رفدت على الملك لأقتبس من عزه، وأتصر بقوته»، فسأل الترجمان عما قال، فقال: «يقول أمرت بما يقصر عن حاجتي»، فأمر له بجائزة أخرى. فوقف على تحريف الترجمان لكلامه

فانتظره في اليوم الثالث، فلما رآه قال: أيد الله الملك، إن الغادر،... فأدى إليه هذا الحرف، فقال: «الحائن»،... فرأى في وجه الملك الاستفهام، فقال: «الكذاب»،... فأشار إليه الملك

(١) أنجده على فلان: أغاثه وأعانه عليه

(٢) الجيلة: جمع جايل، وهو الكبير العظيم

(٣) استمار فهو مستمير: طلب الميرة، وهى الطعام والرزق

بيده من هو ؟ فأومئ إلى الترجمان ، فأحضر الملك ترجمانا آخر ،  
فقصَّ عليه قصته ، فضرب عنق الترجمان ، وأحسنَ تَأْتَى سيف بن  
ذى بزن لما تبين منه فى التأتى لإفهامه (١)

ثم أحضره مجلسه فسأله عن مقدار حاجته ، وما الذى يُؤثره  
من أصناف الناس ؟ فقال له : « أسأل الملك أن يُطلق لى من محابسه  
السهول ، فإنهم أصبرُ فى المءارك ، وأسمحُ بالنفوس ، فأطلق له جملة  
من [ فى ] الحبس كهولاً بأسرهم ، فحملهم فى مراكب ، وركب  
معهم حتى وأتى بملكته

فلما نزل جميعهم ، أحرق المراكب ، واعتمد ذلك سرأ منهم .  
فلما نظروا إلى المراكب قد أحرقت ، قال للرجال : « إنه لا يحسن بكم  
التعذيرُ فى القتال فتملكوا (٢) ، ولكن جدوا جد من لا نجاة له  
فى البحر . فجرد الجيش العناية ، وصدقوا حتى برزوا على من  
أقام بملكته (٣) ، واحتازوا له طائفة كبيرة من أرض الحبشة ،  
وقهر ملكها وأتى جانبته



أبو الوزير  
وجاعة من  
العمال

٥١ - وحدثنى هارون بن ملول ، قال :

« تقلد أبو الوزير - خالُ أبى أيوب - الخراج على حالِ

(١) تأنى للشيء : ترفق فى إتيانه وإدراكه

(٢) عذر فى الأمر تعذيراً : قصر بهد جهد يبلغه العذر فى الإخفاق

(٣) برز عليه : فاق عليه وغلبه

أضطراب من الأولياء واستعمل - من فرط الاستقصاء على  
أرباب الخراجات ، وإخراج البقوط<sup>(١)</sup> عليهم - ما نقلت به وطأته  
على الناس . وكان له كاتب ذهب عنى اسمه ، في النهاية من الجزالة  
والضبط<sup>(٢)</sup> ، وكان يُعزى إليه أكثر صنيع أبي الوزير ، فقال لى  
هارون : « فقصده جماعة من الأولياء ، فأحس بالشرّ فيهم ، فأغلق  
الباب عنهم ، ثم تأملهم حتى عرفهم ، فمكّنب بفحمة : « يا سيدى  
قتلتى فلان وفلان ، ، وسمى جماعة رؤسائهم ، وكسروا الباب  
ودخلوا إليه فقتلوه . وركب أبو الوزير حتى شاهده ، ثم تأمل  
حائط مجلسه ، فوجد الكتاب بالفحمة ، فقبض عليهم فصدقوا عنه  
وقتلوا به ،

\*\*\*

٥٢ - وكان لرجل من جلة كتاب الجيش بمصر - يعرف  
بابن الأبرد - رغبة في وصفه بالنصح في أعمال السلطان ، ولا يسه  
محمد بن أباً [القائد] ، فقدم العناية به والتعصب له ، ومكّن له عند  
خمارويه محلاً ردّ إليه بعض أعماله من الخراج . وأحتاج فيه إلى  
كاتب يحمل عنه ، فأرتاد رجلاً يعرف بنصر بن القاسم<sup>(٣)</sup> - يخلف  
[ابن] الأبرد فيما أسند إليه - ، فكان يسعى به إلى كاتب خمارويه .

ابن الأبرد  
وكاتبه

(١) البقوط : جمع بقط ، وهو نكث خراج الارض والبساتين أو ربه

يلتزمه المعامل

(٢) الجزالة : جودة الرأى وأصالته

(٣) ارتاد الشيء : طلبه متخيراً

فكتب يومارقة تشتمل على ما كرهه ابن الأبرد من التغميز به والانتقاص له <sup>(١)</sup>، ويشير فيها بأشياء تُفسد محله، وبعث بها إلى كاتب خمارويه. فغلط الغلام وجاء به إلى ابن الأبرد، فاستعرض فيها أشياء قبيحة، وفارق الكاتب. ورأى الكاتب أنه قد أحرز بما أتاه من السعاية - مكانةً عند كاتب خمارويه. وقُتِل خمارويه، وثبتت يد كاتبه على الأمر، فرام نصر بن القاسم أن يدخل في جلته، فامتنع من ذلك وقال: «من سعى إلينا سعى بنا»، فمات نصر ابن القاسم كدأ

\*\*\*

عمرو بن  
العاص  
وتنكره

٥٣ - وسمعت سعيد بن عبد الله بن الحكم يقول:

«وُجد في أخبار مصر المسندة أن عمرو بن العاص عند تغلبه على مصر كان يتنكر ويخرج وحده، متشبهًا بالرجل من عامته، ليرى ما عليه القبط من النية للمسلمين. فتمادى به السيرُ راجلاً حتى لحق بطرفٍ من القسطنطينية، فرأى جماعة قد التأمّت على سوء خفيه <sup>(٢)</sup>، فقال لها: «اعملوا بي كل ما تؤثرون من السوء ولا تردوني إلى يد الأمير، فإنى هربت منه»، فقال بعضهم: «ردوه إلى يد الأمير فإنه يقتله، ويكون لكم بذلك عارفة عند الأمير». فساقوه إلى دار [الإمارة]، فأخذ يتصوّر ويتأبى في سياقته حتى قُرب من الدار <sup>(٣)</sup>،

(١) التغميز: الطعن على الرجل وإظهار غميزته، أى عيبه

(٢) التأم القوم على الشيء: اجتمعوا عليه

(٣) تصوّر: تلوّى واضطرب وصاح من خوف أو وجع أو جوع

فقام إليه الشرط . فقال : « لا يفوتنكم منهم أحدًا ، ، فجمعوا له ،  
فأتى على آخرهم ، ولم يعاود التنكر ،

\*\*\*

الدفاني  
والخناق

٥٤ - وكنت أعرف شيخاً في أيام خماروبه ، حُلُو النادرة ،  
مليح الألفاظ ، يُعرَف بالدفاني ، وكان معاشه من التوصل بكتب  
الولاية إلى معلمهم . فحدثني أنه خرج بكتب إلى الشرقية ، فالتقى  
مع رجل في زِيّ بعض المانية من الأطباء <sup>(١)</sup> : « وهو على حمارٍ  
بجُرْجين ، وكنتُ على حمار . فاستخبرني عن صناعاتي ، فتحسنت عنده  
بأن قلت : « أنا تاجر في الغلات » ، فطمع في ، وكان مُبَنِّجاً ، <sup>(٢)</sup>  
فقال لي : « هذا موضع طيب ، فلو أكلنا فيه ا » ، فقالت : « ذلك  
إليك ا » ، فأخرج من أحد خُرْجيه رغيفين مشطورين ، <sup>(٣)</sup> فوضع  
أحدهما بين يدي والآخر بين يديه . ثم أخذ كوزاً معه ومضى  
يسعى به ، فشرهتُ نفسي إلى الرغيف الذي كان بين يديه ،  
فأبدلته حتى صار بين يدي و صار رغيفي بين يديه . وجاء بالماء ،  
وابتدأنا بالأكل ، فما ابتلع لقمةً حتى شخّص بصره وتمدد <sup>(٤)</sup> ،

(١) المانية . هم المساوية الزنادقة أصحاب ماني

(٢) البنج . نبات يتبذ ، إذا استعمل خذرو فتر وأرقد . وبنجه : سقاه منه .

(٣) المشطور : المقطوع شطرين ، والشطير : نصف الرغيف والجمع

شطائر ، وستأني

(٤) شخّص بصر الميت : إذا ارتفعت أجفانه إلى فوق وجعل لا يطر ف .

واجتاز بنا جماعة فقالوا: «الصاحبك؟»، قلت: «لا أدري والله!»،  
فقالوا لي: «أنت مَبْنُجٌ بَنَجَتْ هذا المسكين!»، وساقوني  
فكان من لطف الله أن خليفة لموسى بن طونيق كان يبلدهم  
رُيْجَاورِنِي يتقلد المءونة، فساقني القوم إليه، والرجلُ محمولٌ معنا،  
وهم يقودون الحِمَارَيْنِ، وقالوا له: «هذا مَبْنُجٌ وجدناه!». فلما  
رآني ضحك إلي وقال: «متى تعلمت التبنيج؟»، قلت: «اليوم»،  
وقصصت عليه خبري، وأخرجت كتاب موسى بن طونيق في برِّي.  
ففتش خُرُجَه، فوجد فيه شطائرَ تبنيجٍ وشطائرَ خاليةً، ووجد معها  
أوتاراً للخنق، وأحجاراً للشدخ. فشدخ رأسه بها، وخنقه بتلك  
الأوتار حتى فاظ»<sup>(١)</sup>



وإذ وَفَيْنَا ما وعدناك به - من أخبار المكافأة على الحسن والقبیح -  
خاتمة المؤلف  
للإبَاب الثاني  
مارجوناً أن يكونَ ذلك عَوْنًا للاستكثار من مَوَاصِلَةِ الخَيْرِ،  
وتطلب العارفة في الحَسَنِ، وزَجْرِ النفس عن متابعَةِ الشَّرِّ،  
وإبعادها عن سَوْرَةِ الانتقام في القبيح<sup>(٢)</sup>، وقد قالوا: الخير بالخير  
والبادي أخير، والشر بالشر والبادي أظلم... رأيتُ أن أصلَ  
ذلك - حفظك الله - بطرفٍ من أخبارِ من ابْتُلِيَ نصَبَر، فكان تمرُّة  
صبره حُسْنِ العُقْبَى؛ لأنَّ النفس إذا لم تُعَنَّ عند الشدائد بما يجدد  
قَوَاهَا، تولى عليها اليأس فأهلكها

(١) شدخ رأسه: كسرهما، وفاظ الرجل: خرجت روحه فمات

(٢) سورة الخبر وغيرها: حدثها وشدتها ووثوبها في الرأس

وقد علم الإنسان أن سفورَ الحالة عن ضدها حَتْمٌ لا بدَّ منه ،  
كما علم أن انجلاء الليل يُسْفِر عن النهار . وليكنَّ خورَ الطبيعة أشدَّ  
ما يلازم النفس عند نزولِ الكوارث ، فإذا لم تعالج بالدواءِ ،  
اشتدَّت العلة وازدادت المِحنة . والتفكُّر في أخبار هذا الباب ،  
ما يشجع النفس ، ويبعثُها على ملازمة الصبرِ وحسن الأدب مع  
الرَّبِّ عز وجل ، بحسن الظَّنِّ في مُواتاة الإحسانِ عند نهاية  
الامتحان . والله وليُّ التوفيق





### ٣ — حسن العقبى

٥٥ — [ سقط من الاصل أول الكلام ]

إلى بالشىء بعد الشىء مما تخلف عن تلك الوديعة ، وعجوزٌ تخلف  
بذلك ، لها ولدٌ يتشطر ويلقَّبُ بالحمام<sup>(١)</sup> ، فوردت عليهما بَدْرَةٌ  
دراهم<sup>(٢)</sup> ، وقد انتهى بهما السعى فى الإيداع . فقالا للعجوز :  
« صيرى بها إلى ابنك مع هذا الغلام حتى تُودعها لنا عنده » ، ففضت  
بها والغلام معها ، فحدثنا الغلام قال :

« صرنا إليه وقد فتح باب البُرجِ وأخرجَ فِرَاحًا زُغْبًا<sup>(٣)</sup> ،  
وهو ينظر إليها ، فأدبنا الرسالةَ إليه ، فقال : « ليس لى خزائنٌ ولا  
صندوق ، ولكن اجعلها فى هذه المحضنة الخالية من البُرجِ<sup>(٤)</sup> » ،  
قال : « ففعلت »

« وانصرفنا جميعاً على أنه يُمَرِّقُهما مع الغلمان وسباقِ الخِمام<sup>(٥)</sup> »

---

(١) شطر شطارة وتشطر : خرج عن أهله وتركهم وأعيام خبثاً ،  
وهو الشاطر وهو صاحب الفتوة والمرورة والفتوة

(٢) البدره : كيس يكون فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة  
آلاف دينار والجمع : بدور وبدرات

(٣) زغب : جمع أزغب ، وهو فرخ الطائر يكون عليه الزغب ، وهو  
أول ما يبدو من دقاق ريشه

(٤) المحضنة : الموضع الذى يحضن فيه الحمام على بيضته

(٥) السباق : هم الذين يتراهنون على سباق الحمام

ثم صَلَحَ ما كان التَّائِبُ من أمرنا<sup>(١)</sup>، واطمأنت نفوسنا بما كان أخافنا، فبعثنا فيما كُنَّا أودعناه الشيخ، فقال للغلام: «عَاطَتَ بِي، وليست الرسالةُ إلىَّ»، فلما رجع بالجواب إلينا، تحيَّرنا وركبنا إليه، فاستمرَّ في الجحود، وتضاحك بما لقيناه به، ورجعنا وقد لحقنا من فِقْدِ الوديعَةِ أَكْثَرَ ما كُنَّا نخافُه من النَّسْكَةِ. وميَّـلنا بين مُطالبته بما نُعبِّه به على مقدار ما أودعناه<sup>(٢)</sup>، ونُطمِع مَنْ خفناه، وبين الإمساك عنه، وترَبُّصِ الأيام به، فالتُّ نفوسنا إلى الإمساك لما اجتمعت لنا الصغائرُ المُغَادِرَةُ للعدل<sup>(٣)</sup>. واجتازت بنا العَجُوزُ فقالت: «قد رددنا ما أودعناه وبقى ابني». واقتضتْنا الغلامَ يحمل البدرة فبعثنا به معها

فحدَّثنا الغلامُ قال: «وافيناه بين يدي البُرجِ، فأدَّت العجوزُ إليه الرسالة، فقال للغلام: «ادخل نُحْذِها من المِحْضَةِ التي خَلَفْتها فيها»، فصار بها إلينا الغلامُ وعليها ذَرَقُ الحَمَامِ<sup>(٤)</sup>، فوزَّناها فوجدناها على ما كانت عليه. فكسُرَ تعجُّبنا من أمانته؛ وأخرجنا من البدرة ألفَ درهم، وتقدَّمنا إلى الغلام بالمصير بها إليه. فرجع الغلام إلينا فقال: «رمى بها إلىَّ وسَمَّني». فأثرنا ارتباطه<sup>(٥)</sup>،

(١) التائب الأمر: اختلط والتف وفسد

(٢) ميل بين الأمرين، ومايل بينهما: فاضل ووازن

(٣) هكذا في الأصل

(٤) ذرق الطائر: سلحه وخرؤه

(٥) ارتبطه: أوثق صلته به

وقلنا للعجوز: « صيرى به إلينا السَّاعة ! » ، فوافانا ، فقلنا :  
« انبسطنا إليك فانقبضت عنا ! » ، فقال : « الحَيَاةُ - أعزَّكم اللهُ -  
أسهلُّ من أخذِ أجرٍ على الأمانة » ، فقلنا : « جزاك اللهُ خيراً ، فقد  
وجدنا فيك ما لم نجد في غيرك » ، فقال : « وتخلَّف عنكم شيءٌ مما  
أودعتموه » ، فقلنا : « نعم ! » ، فقال : « عرَّفوني ، فإنى أرجو  
أن آخذَه لكم بالطفِ حيلةً » ، فرأيناه - لما فيه من فضل النفس  
وكرم السجِّية - أهلاً لأن نُبئَه وَجَدنا <sup>(١)</sup> ، فأخبرناه : فقال :  
« ينبغي أن تتقدَّما إلى بعض من تثقن به من غلمانك ، أن يقيظَ ؛  
فلعلِّي أن أأدبَه الليلة » : فقلنا : « وما تريد بذلك ؟ » ، فقال : « ما لا  
يجوز أن أبديه ، وأرجو عون الله عليه ، والتفريج عنك بما به » ، ففعلنا  
ذلك ، وما يتناول سؤلنا إلى ما أتاه <sup>(٢)</sup>

فجمع إخوانا له في عدَّة كثيرة من الشُّطَّار <sup>(٣)</sup> ، واقتمح على  
المستودع وقال له : « ماجئنا لنهَبِك ، ولا تعرَّضْ لشيءٍ من مالك ،  
وما جئنا إلَّا لوديعه أبى عمر الأخبارى . فإن أدبَها خرجنا  
وكأنا ما دخلنا . وإن جحدت واعتمدت بصياحِ قتلناكَ الساعةً ،  
وسهل علينا عقوبتنا فيك وقتلنا بك ، لأننا نُرزق الشهادة في القتل  
والثَّوبَةَ ، إذ كنا نجاهد عما اختزلته <sup>(٤)</sup> » ، و ضرب إلى الحِيتَه

(١) بثه وجده : أطلعه على ما يكتُم من الأسف والحزن

(٢) السؤل : البغية

(٣) الشطار جمع شاطر انظر ص (١٠٧)

(٤) اختزل المال : اقتطعه وانفرد به

وَأَعَجَلَهُ <sup>(١)</sup> ، فقال : « هي في هذه الخزانة ، ودعا بغلام فقال :  
« أَخْرِجْ جَمِيعَ مَا [أُرَدَعْنَاهُ أَبْنَاءَ] عُمَرَ ، فَأَخْرَجَ سَفَطًا كَانَ فِيهِ  
جَوَاهِرٌ ، وَسَفَطًا <sup>(٢)</sup> فِيهِ أَثْوَابٌ وَشَيْءٌ مَذْهَبَةٌ صِحَاحًا ، وَبُدُورًا فِيهَا  
مَالٌ <sup>(٣)</sup> ، فقال : « وَاللَّهِ إِنِّي خَافَتُ شَيْئًا لَتُطَلَّنَّ دَاكُ <sup>(٤)</sup> ، وَلَئِن  
كَنتِ أَدَيْتِ الْإِمَانَةَ لَنَكُونَنَّ أَرْلِيَاءَكَ وَالْمَقِيمِينَ بِأَمْرِكَ ،  
فَوَافُوا أَبَابَ مَنَازِلِنَا ، فَصَاحُوا بِالْغِلَامِ وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْوَدِيعَةَ ،  
فَوَضَعُوهَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَحَدَّثُونَا بِحَدِيثِهِمْ ، وَقَالُوا : « اسْتَعْرِضُوا  
وَدِيعَتَكُمْ ، فَنَحْنُ فِي الدَّهْلِيزِ حَتَّى تَفْرُغَا وَتُخْبِرَانَا : هَلْ بَقِيَ مِنْهَا  
شَيْءٌ أَمْ لَا ؟ » ، فَلَمَّا عَرَضْنَاهَا عَلَى نَبِيِّهَا عِنْدَنَا <sup>(٥)</sup> ، مَا غَادَرَتْ شَيْئًا  
مِنْهُ ، وَعَادَتْ بِمَا رَدَّ إِلَيْنَا نَعْمَتُنَا ، وَأَنحَسَمَتْ فَاقْتَنَّا ، وَلَمْ نَجِدْ  
فِي الْجَمَاعَةِ مِنْ قَبْلِ شَيْئًا مِمَّا بَدَلْنَاهُ ، وَانصرفوا »

\*\*\*

رجل مختل  
الحال وعباس  
البرمكي

٥٦ - وحدثني أحمد بن أيمن قال :  
« كنت أكتب في حدائق للعباس بن خالد البرمكي ، وكان  
طويلَ اللسان مخيبي الغضب . فإني لجالس بين يديه في داره  
بمدينة السلام ، حتى دَخَلَ مَلِينَا شَابٌّ حَسَنُ الصُّورَةِ رَثَ الْهَيْئَةِ ،

(١) ضرب إلى لحيته : أى ضربها بيده فأمسكها

(٢) السفط : الوعاء الذى تعبى فيه الثياب

(٣) البدور : جمع بكرة ، انظر ص (١٠٧)

(٤) طل دمه : أهدر وأبطل ديته

(٥) الثبت : جريدة تثبت فيها الأشياء - (الكشف)

فأكب عليه فقال : « ألسن ابن فلان صديقنا ؟ » ، فقال : « نعم ،  
ياسيدي ! » . فقال : « قد كان حسن الظاهر جميل الهيئة ؛ فما بلغ بك إلى  
ما أرى ؟ » ، قال : « كان تجمله أوّفى من عابده ! وتوّفى ، فكنت  
أتبأغ بها يستعمله الموقّفى على تجاهه <sup>(۱)</sup> ، إلى أن خان طبعى البارحة  
ولم أطق سسّتر مابى فقصدتُك » ، فدعا بمائة درهم ، وقال : « تمسك  
بهذه إلى أن أنظر لك فى عائدٍ عليك من الشُّغل » . فلما قام من عنده  
قال لـغلام يثق به : « نصّ أثرَ هذا الفتى ؛ فانظر ما يبتأعه بهذه  
الدرهم وأحصه عليه حتى يدخل منزله ، وأعرف المنزل وصرّ إلى ،  
فرجع إليه وقال : « ياسيدي ! هذا غلام عيَّار ! <sup>(۲)</sup> اتباع بدّيف  
وثلاثين درهما سميذاً وسكراً وعسلاً ولحماً كثيراً وحوامج  
الأعراس <sup>(۳)</sup> ، وأخذ طبأخاً من طبأخى الأعراس ، وأحسب أن  
عنده دعوة وقد عرفتُ منزله » ، فقال : « دعه »

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى وافى الفتى فأعرض عنه ، وأستقل  
جلوسه بين يديه ؛ فقال : « ياعمى وسيدى ! ليس يشبه هذا اللقاء  
مالقيتى به فى الأولى ! » ، قال : « كنتُ فى الأولى راجياً لصلاحك ،  
وأنا اليوم آيس منه » ، فقال : « وكيف ظننت ذلك ؟ » ، قال :

(۱) تبلغ بالشىء : اتخذه بلغة يكتفى بها

(۲) العيار : أصله الكثير الجىء والذهاب الذكى الطواف ، وهو

هنا (البلطجى)

(۳) السميد : دقيق تتخذ منه الحلوى

« أخبرني غلامي أنك أنفقتَ إلى أن بلغتَ منزلَك نَيْفًا وثلاثين درهما ، وكان حَقُّك أن لا تزيد على ثلاثة دراهم » ، فقال : « لو عرفتَ خَبْرِي لقدَّمْتُ عُذْرِي ! » ، قال : « ما خبرك ؟ »

قال : « كنت مع تضايقي حالي ، أُمِسِكَ نَفْسِي عن المسألة ، وَأَنْتَصِرُ وَأَهْلِي على البُلْغَةِ <sup>(١)</sup> . وأنا ساكنٌ وأهلي في ظهر دار فلان - ووصف رجلا ظاهرَ اليَسَارِ من التَّجَارِ - وقال : « له طاقاتٌ في مطبخه تُفِضِي إلى منزلي . فأولم وليةَ لأشك في حضورِك إليها . فَشَرِقَ منزلي بروائح الأَطْعَمَةِ ، وكانت الصَّيْبَةُ من صدياني تَخْرُجُ فتقول : « رائحة جدي يُشَوِي ! » وأخرى تقول : « رائحة نَقَاتِ نُقْلِي ! » وهذه تقول : « يَا أَبَةَ ! أَشْتَهِي من هذا الفالوذج الذي قد شاعتُ رائحتهُ لِقَمَةٍ ! » ، وقولهم يُقَرِّحُ قَلْبِي <sup>(٢)</sup> . وأملتُ أن يدعوني فأَتَحَمَّلُ التَّزْلِيلَ لَهُمْ <sup>(٣)</sup> ، فوالله ما رأيتُ أهلا لذلك ، فقلت : « ولعلَّه إذ نَقَضَتْ عنده من منزلةٍ من يدعوني أن يبعثَ إليَّ ؟ فوالله ما فعل . فَبِتْ بَلِيلَةٌ لا يبييتُ بها المَلْدُوغُ ، فأصبحتُ في الغداة فكنتَ أوثقُ في نفسي من سائرِ مَنْ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ . فلما أعطيتني تلك الدراهم اشتريتُ بها حوائجَ أُصْلِحُ منها ما أَشْتَهَوهُ ، فأكلوا أَيَّامًا منه ، وهم يدعون الله في الإحسان إليك ، والخَلْفَ عليك ،

(١) البُلْغَةُ : كل ما يكتفي به

(٢) يقرح قلبه : يجرحه ويملاه قروحاً

(٣) التزليل : حمل الطعام من الولية عند الانصراف عنها

فقال له العباس : « أحسنتَ ابارك الله عليك ! ، ثم صاح :  
« يا غلمان ! اسرُّوا لي ، وليس ثيابه ، وركب وركبتُ معه ،  
ودخل إلى صاحب الصنيع <sup>(١)</sup> فقال : « دعوتني وجماعةٌ وُجوه  
بغداد إلى طعامٍ مَقَّتنا الله عليه ا وعرضت نعمتنا للزوال ، وأنفسنا  
إلى احترام الأعمار ا ، ، وقصَّ قصةَ الفتى ، وقال : « عزمتُ على  
أن أصدق عن كلِّ من حَضَرَ وليمتك <sup>(٢)</sup> ، وتكونُ سبياً لتخلف  
الناس عنك ، والإمساك عن إجابتك أخرى الليلي ، ، فقال :  
« أنا أقدى إذاعتك بما غفلتُ عنه بخمس مائة دينار » ، قال :  
« أحضرها » . فأحضرها ، فقال : « اقبضها » ، فقبضتها  
ثم ركب إلى جماعةٍ فقال : « أعطوني في معونة رجلٍ من أبناء  
النعمِ آخَلَّتْ حاله » ، فأخذ منهم خمس مائة دينار أخرى ، ورجع  
إلى منزله - وقد كان أمرَ الفتى الأيبراح منه - ، فأدخله إليه ، وقال :  
« فيمَ تهش إليه من التجارة ؟ » ، فقال : « في صناعة الأنماط <sup>(٣)</sup> ،  
فإنها صناعةٌ أسلافنا ، ومنَ بها يَعْرِفُ حُقُوقَنَا » . فدعا برجلٍ منهم  
حَسَنَ اليسار ، فأخرج إليه الألف الدينار التي أخذها ، فقال : « هذا  
المسألُ لهذا الفتى ، فليكن في دُكانك ، واشترِ له بها ما يُصلحه من  
المتاع وبُصره به » ، ثم قال للفتى : « احذر أن تُتَفِقَ لإلّا من رِبْحٍ .  
فانصرف الفتى ، وقد رُدَّ عليه سَتْرُهُ ،

(١) الصنيع : الولية

(٢) صدق عنه : أخرج صدقة

(٣) الأنماط : جمع نمط ، وهي ضرب من البسط له خمل رقيق

خَلَّفَ لِي أَحْمَدُ بْنُ أَيْمَنٍ : « أَنْ بَضَاعَتُهُ تَثْمَرَتْ <sup>(١)</sup> ، وَأَرْبَابُهَا  
اتَّصَلَتْ ، وَعَامَلَ السُّلْطَانَ ، وَدَخَلَ فِي جُمَّلَةِ التِّجَارِ وَجِلَّتْهُمْ »

\*\*\*

٥٧ - وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي عِمْرَانَ ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي عَقْبَةَ ،  
عَنْ أَبِيهِ عَقْبَةَ ، - وَكَانَ عَقْبَةُ هَذَا مُصَادِقًا لِأَبِي يُوسُفَ الْقَاضِي  
وَتَرَبًّا لَهُ <sup>(٢)</sup> - ، قَالَ :

أبو يوسف  
القاضي  
والغزوي

« كَانَ أَبُو يُوسُفَ قَدْ انْقَطَعَ إِلَى أَنْحَاءِ الْفِقْهِ <sup>(٣)</sup> ، فَأَحْسَنَ الْقَوْلَ  
عَنْ أَبِي حَنِيْفَةَ ؛ وَكَانَتْ زِيَادَتُهُ فِي الْعِلْمِ ، بِمَقْدَارِ نَقْصَانِهِ فِي الرِّزْقِ -  
وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَسْتَعْرِضُ حَالَهُ بِالْكَوْفَةِ ، يَشِيرُ عَلَيْهِ [ بِالرَّحْلَةِ ]  
إِلَى بَغْدَادِ . وَيُرَى أَبُو يُوسُفَ صَوَابًا مَا يُشَارُ بِهِ عَلَيْهِ ؛ فَيُقْعِدُهُ  
نَقْصَانُ حَالِهِ عَنِ الْمَرْكَبِ الْفَارِهِ <sup>(٤)</sup> ، وَاللَّبْسَةِ الَّتِي تُشْبِهُهُ مِنْ حِلِّ  
مَحَلِّهِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَنُزْعِ إِلَيْهِ مِنْ أَفْصَى النُّوَاحِي <sup>(٥)</sup> »

« وَكَانَ لَهُ غَلَامٌ كَانَ لِأَبِيهِ ، حَازِقٌ بِعَمَلِ الْجَوَاشِنِ وَالذُّرُوعِ  
وَكَثِيرٌ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ آلَةِ الْحَرْبِ <sup>(٦)</sup> ، وَكَانَ يَأْتِيهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ

(١) تثمرت : نمت وكثرت ثمرتها وأربابها

(٢) ترب المرأة : هي صاحبها التي ولدت معها ، وأما الرجل فهو  
« لدته وسنه »

(٣) أنحاء الفقه : وجوهه وأبوابه ونواحيه

(٤) الفاره : النسيط الحاذق القوي من الدواب

(٥) نزاع إليه : قصد من بعد

(٦) الجواشن : جمع جوشن : درع وزرد يلبسه الصدر والحيزوم



بما يقوته في حاضرة الكوفة ، ولا يُعينه على حضرة السلطان .  
فرغب في الغلام عامل للمهدى على الكوفة - قد ذهب عنى اسمه - ،  
فطلبه من أبي يوسف - وهو يومئذ من أصاغر رعآياه - ، فباعه  
منه بتسعين ديناراً

« وخرج عند ذلك إلى بغداد ، فارتاد دابةً وثياباً

« وكان لعبد الله بن القاسم الغنوي - أحد أصحاب الأعمش -  
محلٌّ من المهدي ، ولم يكن في المجالس التي تنعقد ببغداد في الفقه  
أجل من مجلسه . فدخّل أبو يوسف مع كافة من دخل ، من غير  
تسليم على عبد الله ، ولا مُقدّمة لحضور مجلسه . وكان أبو يوسف  
حَسَنَ الصورة ، جميلَ الإشارة ، لطيفَ التخلّص والاحتجاج ،  
فقبله قلبُ عبد الله ولم يعرفه

« ووجرت مسائلُ وأجوبةٌ ، كان حظُّ القياس فيها مقصراً ، وكان  
الاحتجاج على ظاهر القول . فتكلم أبو يوسف فيها فأحسن  
الاحتجاج وجوّد ، وأعانه على هذا طولُ لسانه وحُسنُ بيانه ، ثم  
سألهم فقصروا عن الجواب ، فأبان عنه لهم برفق . فلما تقضى  
المجلس عاتبه عبد الله على تخلفه عنه وتعريفه مكانه ، وسأله أين  
نزل ، فأخبره . فرغب له عن الموضع الذي سكنه ، ودعاه إلى  
منزلٍ بالقرب منه ، وقرّر خبره عند أبي عبيد الله كاتب المهدي ،  
فوصله بالمهدى وأسنى رزقه <sup>(١)</sup> ؛ ثم قرّنه بالهادي فأقام معه مُدّة

(١) أسناه : جمعه سنياً أى ربيعاً عظيماً

أيامه ؛ وبلغ مع الرشيد عالم يبلغه عالم بعلمه ، ولا محبوبٌ بمحبته ،

\*\*\*

٥٨ - وحدثني علي بن سند - وكان انقطاعه في أيام الموفق والمعتمد إلى أحمد بن محمد بن بسطام ، وكان آل عبيد الله بن وهب يتحقدون [عليه] سوائف منكرة ، ولم يكن مع عبيد الله من سوء المباداة ماع القاسم آبنه <sup>(١)</sup> . فلما حبس أحمد بن محمد ابن بسطام ، قبض علينا معاشر خلفائه في الأعمال ، وأثبتنا في جريدة <sup>(٢)</sup> ، وتقدم باحضارنا إلى داره ، فيئسنا من الحياة - ، وقال لي علي بن سند :

« فلم يكن في جماعتنا أضعف حالاً مني ولا أقل ناصراً ، فرأيت الموت . وحملنا إليه ، وقد أحضر الجلادين والسياط والموككين بالمعابر <sup>(٣)</sup> ، قال : تقدم منا رجلٌ من جملة أصحاب أحمد بن بسطام فضرب ، وأخذ خطه بما أعلم أنه لا تصل إليه يده . وبين يديه رجل ظهره إلينا لا نعرفه ، فلما فرغ [من] أمره ، سمعت الذي بين يديه وهو يقول : « هَنَنْتِي عَارِفَكَ ا » ، فقال : « ذَرَهُ ا حتى يرى عِظَمَ ما سلم منه بك » ، فقال : « هو يراه غداً » ، فقال القاسم : « سلموا علي بن سند - لا رعاه الله ا - إلى صاحبه أبي الجيش ثابت » ،

(١) باداه مباداة : أظهر له ما في نفسه من عداوة أو غيرها

(٢) الجريدة : ورقة تجرد فيها الاسماء وتكتب (كشف بيان)

(٣) المعابر : هكذا بالأصل ، ولا أدري ما هو ، ولعله يريد بعض

فرايته وقد قبّل يده ، ورُدّت علىّ الحياة بشفاعته ، وأُطلِقْتُ من غير مصادرة ولا عقوبة <sup>(١)</sup>

« فلما رجعتُ ثابتٌ إلى مكانه ، وصار بي رسولُ القمامم إليه ، قال لي : « مرّ بي اسمك في الجريدة فاستوهبتك ، لأنّ أباك كان من إخواني » . فجزّيته الخيرة على رعايته والدي ، فيّ

• • •

محمد الغورى  
ولص

٥٩ - وحدثني محمد بن صالح الغورى ، قال :

« كانت لي بضاعة أعود بقضائها على شملى ، فأفترقتُ في معاملات في الصّعيد ، وخرجتُ إلى من عاملته فجمعتها ، وكان مقدارها خمس مائة دينار . وخرجت أريد الفسطاط في رُقّة كثيرة الجمع ، فلما كان مُنتصفُ طريقنا ، وأتى جمعٌ من الصّعاليك فسلبَ الناس جميعاً . ودَهَشْتُ <sup>(٢)</sup> ، فرأيتُ منهم شاباً حَسَنَ الصورة ، فقلت له : « والله ما أملك غير هذا الكيس ، فارفعه لي عندك ! » ، فقال : « وأين بيتك بالفسطاط ؟ » ، فقلت : « في دور عَبَّاس بن وليد » ، فقال : « ما اسمك ؟ » ، قلت : « محمد الغورى » ، قال : « امضِ لشأنك » . وجاءَ منهم من قلّع ثيابي وسراويلي ، وانصرفوا عنا . ولم أزد أن سوّغتُ واحداً منهم جميع ما كان معي <sup>(٣)</sup> ، ودخلنا إلى

(١) المصادرة : توثيق الانفاق على مال يدفع يفترق على أدائه أحد

الطرفين

(٢) دهش : تحير واضطرب

(٣) سوّغه : أعطاه له سائغاً سهلاً

الفسطاط ونحن فقراء . فرجع كل واحد منهم إلى ما تخلف له ،  
وبقيت ليس معي درهم أُنفقُه

« وإني لجالس على درجة المسجد بين المغرب وعشاء الآخرة ،  
حتى رأيت رجلاً قد وقفَ بي ، فقال لي : « هاهنا منزل محمد  
الغوري ؟ » ، قلتُ : « أنا هو ! » ، ولأول الله ! ما اهتديتُ إلى الرجل  
الذي أعطيته المالَ ، لأنه كان عندي أولَ مالٍ ذاهبٍ ، فقال لي :  
« عَنَيْتِي ! » <sup>(١)</sup> ، وأخرج الكيس فدفعه إليّ ، فَرُدَّتْ عليَّ جِدَّتِي  
وتطعمتُ الحياةَ <sup>(٢)</sup>

وكان بالقرب منّا قائد يُعرفُ بابنِ قرّا ، كذتُ مُعامِلاً له وكان  
له محلٌّ <sup>(٣)</sup> ، فسألتُ اللصَّ المبيتَ عندي ففعل . فأصبحتُ وصرتُ  
إلى ابنِ قرّا وقصصتُ عليه قصةَ الرجل ، فقال لي : « الطُفْ لي فيه ،  
فوالله لأنوّهنَّ بِاسمِهِ ، ولأُكافئنّه عنك » . فرجعتُ إليه فأخبرته ،  
فوالله ما أرتاع ولا اضطرب ، ومَضَى معي : فأحسنَ تلقّيه ، وخلعَ  
عليه ، وصيرَه سيارَةً لعمَلِه ، <sup>(٤)</sup> وضمَّ إليه عِدَّةَ وافرَة . ولم يزل في  
حَبِيزِه إلى أن نُوفِّيَ »

\*\*\*

---

(١) عتيتني : أتعبتني

(٢) الجدة : الوفرة والغنى ، وتطم الشيء : ذاقه وتمتع به

(٣) يريد : كان له محل رفيع ومكانة

(٤) وردت هذه الكلمة قبل صفحة ٣٨ ولست أحقق معناها ، وهي

على كل حال : عمل من أعمال الدولة في ذلك العصر

٦. - حدثني أحمد بن أبي يعقوب ، عن أبيه ، عن جده مصقلة ومعن ابن زائدة

واضح ، قال :

« كانت بين المهدي وأخيه جعفر بن أبي جعفر عداوة في أيام المنصور ، وكان مَصْقَلَةً بن حبيب يَنْقُلُ عنه إلى جعفر ما يكره ، ولا يُمكنُ المهديَّ أن يسْطُوَ على مصقلة ولا يمسُّه بسوء . فلما تولى الخلافة نَدَرَ دمه ، فاخْتَفَى . فحدثني مَصْقَلَةُ أنه نَبَّأَ به موضعه الذي كان به ، فخرج مستترا يريد غَيْرَهُ ، فلحقه رجل من أعدائه وصاح في أصحاب الأرباع<sup>(١)</sup> ، « هذا بُغْيَةُ أمير المؤمنين ! » ، « فسرعَ إلى الشَّرَطِ ورأيتُ الموتَ عِيَاناً . فبينما أنا في أيديهم ، اجتاز بي معن بن زائدة ، فصحت به : « ياسيدي ! يا أبا المنذر ! أجرني أجاارك الله ! » ، فقال للشَّرَطِ والرجل المُنشَبَّثِ بي : « خلُّوا عنه » ، فقال الرجل : « ماذا أقول لأمير المؤمنين ؟ » ، قال : « تقول له إنه عندي » ، ثم أمر بحمل علي جَنْبِيهِ من جنائبه<sup>(٢)</sup> ، وسار بي إلى منزله ، وقَدَّمَ طعامه فأكلت معه ومع ولده . فلما فرغنا من الطعام قيل له : « وافي رسولُ أمير المؤمنين ! » ، فقال لولده : « آقُضُوا حَقِّي عليكم بالأُتَسَلُّوا مَصْقَلَةَ ، فقد آسْتَجَارَ بي ! » . فخلفوا له

---

(١) أصحاب الأرباع : هم فيما نستظهر من بعض النصوص ، الذين يتولون مراقبة المسافرين ، والنظر في أحوالهم ، ويكون لهم حق حبس الداخلين إلى المدينة عن دخولها ، وقد مضى ذكرهم أيضاً في ص (٥١) والأرباع هنا هي النواحي : أي نواحي المدينة ومدخلها

(٢) الجنبية : هي الناقة التي يحمل عليها الطعام والميرة ، والجمع جنائب

على ذلك ، وركب

« فلما رآه المهدي قال : « تُجِيرُ عَلِيَّ يَا مَعْنُ ؟ » ، قال : « نعم يا أمير المؤمنين ! » ، قال : « ونعم أيضاً ؟ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! قَتَلْتُ فِي دَوْلِكَ زُهَاءَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ عَدْوٍ ، وَلَا أَسْتَحِقُّ أَنْ أُجِيرَ فِيهَا عَدْوًا وَاحِدًا ! » ، قال : « نعم تستحقُّ ذلك ، قد وهبناك دمه » ، فقال : « يا أمير المؤمنين اليس هكذا يُنْعِمُ مِثْلُكَ بِالْحَيَاةِ ! إِذَا تَصَدَّقْتَ عَلَى أَحَدٍ بِحَيَاتِهِ فَاجْعَلْهَا فِي خَفِضِ عَيْشٍ مِنْ نِعْمَتِكَ <sup>(١)</sup> » . قال : « يُعْطَى أَلْفَ دِينَارٍ » ، قال : « يا أمير المؤمنين ! لَا تَسْتَوِي جَائِزَتُكَ وَجَائِزَةُ عَبْدِكَ مَعْنُ ! هَذَا مَا سَمَحْتَ لَهُ بِهِ » ، فقال : « آدِفُوا إِلَى جَارِ مَعْنٍ أَلْفَى دِينَارٍ » . فَحَمَلَتْ مَعْنُ إِلَى مَنْزِلِ ثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، وَأَمْنَتْ عَلَى نَفْسِي » ،

\*\*\*

٦١ - وَحَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ ، قَالَ :  
« لَمَّا تَوَفَّى مُحَمَّدَ رُوَيْهٍ ، قَبِضَ عَلِيٌّ - وَعَلَى مَضْرٍ وَشَيْبَانَ ابْنِي أَحْمَدَ بْنِ طُولُونَ - جَيْشُ بْنُ خَمَارُويهِ ، وَحَبَسْنَا بِدِمَشْقٍ . فَلَمَّا قَفَلْنَا إِلَى مِصْرَ ، حَبَسْنَا فِي حُجْرَةٍ مِنَ الْمِيدَانِ مَعَهُ . وَكَانَتْ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَائِدَةٌ نَجْتَمِعُ عَلَيْهَا ، وَكَانَ فِي الْحِجْرَةِ رِوَاقٌ وَبَيْتَانِ ، وَجُلُوسُنَا فِي الرَّوَّاقِ . فَوَافَى خَدْمٌ لَهُ ، فَأَدْخَلُوا أَخَانًا مُضْرٍ فِي الْبَيْتِ وَأَغْلَقُوا عَلَيْهِ الْبَابَ ، فَاتَّفَقَ عَلْنَا . وَكَانَتْ الْمَائِدَةُ تُقَدَّمُ إِلَيْنَا ، وَنُتَمَعُّ أَنْ

أولاد ابن  
طولون وابن  
أخيهم

(١) الخفض : السعة والدعة واللين في العيش

نُلقِيَ إليه منها شيئاً ، فأقام خمسة أيام لا يَطْعَم ولا يَسْتغِيث . ثم  
واقانا ثلاثة من أصحاب جَيْش ، فقالوا : « مامات أخوكم بعدُ ؟ » ،  
فقلنا : « مانسمع له حِسا » ، ففتحوا الباب فوجدوه حياً ، ورام  
القيام فلم يصل إليه ، ورامه الثلاثة بثلاثة أسهم في مقاتله فَظْفَيْ (١) .  
وكانت الليلة التي دخلوا فيها ليلة جمعة ، وأخرجوه وأغلقوا  
الباب علينا

« واقنا يوم الجمعة والسبت لم يقدم إلينا طعامٌ ، فظننا أنهم  
يسلُكُون بنا طريقه . فلما كان يوم الأحد ، سمعنا رجّة في الدار  
وفُتِح باب الحجره ، وأدخل إلينا جيش بن نُخارويه ، فقلنا : « ما خبرك  
فقال : « غاب أخي على أمرى ، وتولى إمارة البلد هارون بن نُخارويه ،  
فقلنا : الحمد لله الذي قبَضَ يدَكَ ، وأضرَعَ خَدَكَ ، (٢) ، فقال :  
« ما كان عزمي إلا أن ألحقكما بأخيكما . » وأنفذ إلى جامعنا  
مائدةً ، فلما طعمنا بعث إلينا خادماً : « إن جيشاً كان قد عزم  
على قتلكما كما قتل أخاكما ، فاقتلاه وخذا بثأركا منه ، وأنصِرِ فاعلى  
أمانٍ ، » وبعث إلينا خدماً ، قدسرعوا إليه فقتل . وأنصرفنا إلى  
منازلنا وقد كُفينا عدونا ،

\*\*\*

أحد ملوك  
الهند وتاجر

٦٢ — وحدثني منصور بن إسماعيل الفقيه ، قال :

(١) طفق الرجل : حمد وحمد وانطقاً لُهب حياته

(٢) أضرعه : أذله وأخضعه

« خرج رجل نعرفه بتجارة ، فصدّه إلى الهند : فرجع إلينا بأزراع من الطيب كثيرة لها قيمة خطيرة ، وهو في نهاية السُرور ، فقلنا له : « كم ربحتَ في التجارة التي خرجت بها من عندنا ؟ » ، فقال : « غرقتُ وسائرُ من كان معي ، فسلمتُ بِحُشاشةِ نفسي في جزيرة من جزائر الهند ، فتلقاني قوم فيها وجاءوا بي إلى ملكهم فقال لي : « قد نَفِدَتِ الموهبةُ الخارجةُ عنك ، فما معك من الموهبة الثابتة عليك ؟ » ، قلت : « معي الكتابُ والحسابُ » ، فقال الملك : « ما بقي لك ، أفضل من الذي ذهب منك ، والصوابُ أن تعلم أبني الكتابَ بالعربية والحسابَ ، فأرجو أن نُعوّضَكَ أكثرَ مما [ فقدته ] » ، وسلمَ إليَّ من آبنه : أذكي صبيِّ وأأنظفه ، فتعلّم في مدة يسيرة ما يتعلّمه غيره في مدة طويلة

فلما رأى أنه قد توجّه وأستحققتُ منه الإحسان<sup>(١)</sup> ، صار إلى صاحبُ الملك فقال : « معي هديّة من الملك إليك » ، وأدخل إلى بقرة فنيّية ، ثم قال : « أدفعها لك إلى الراعي ؟ » ، فقلت : « افعِل » ، وصنّرتُ في عيني أمرُ الملك على عظم شأنه . فما مضى زمنٌ قصير حتى جاء الراعي فقال : « ماتت البقرة ا » ، واستقبلني كلُّ خاصّة الملك بالنعيم<sup>(٢)</sup> . ثم ظهر في آبنه تزيّد<sup>(٣)</sup> ، فبعثَ إلى

(١) توجه : أى قصد الوجه الصحيح

(٢) نعيم : أظهر النعم والهم

(٣) تزيّد : يريد زيادة في العلم



ببقرة فتية أخرى فردّذنها إلى الراعى ، فامضت مدة يسيرة حتى  
وَاقَى يبشّرُنِي فقال : « قد حملت البقرة ا » . فلما انتهى حملها وَضَعَتْ  
فهنّأني حاشية الملك بأنسرهم . ثم جلس الملك مجلساً عاماً ، وأحضر  
التجارة التي رأيتموها معي ، ثم قال :

« لم يذهب على ما يجبُ لك في تعليم ابني ، ولم أبعث بالبقرة  
الأولى لفضل البقرة عندي ، ولكن نزلت بك محنة في البحر أتت  
على مالك ، فامتحن بالبقرة ما أنت عليه منها . وعلمتُ أني لو  
أعطيتك جميع ما ملكتُ يدي - وقد بقي منها شيء - لضاع منك  
وهلك لديك . فلما أُخبرت أنها ماتت علمت أنك فيها <sup>(١)</sup> . ثم  
أمتحنت أمرك بالبقرة الثانية ، فلما أُخبرت أنها قد حملت علمت  
أنها قد آنحسرت عنك ، فسُررت لك بذلك ، وأستظهرت بانتظار  
الولادة . فلما ولدتُ شخصاً كاملاً صحيح الأعضاء ، علمتُ أنك  
قد فارقت محنتك . وهذا ما أعددت لك ا » . ثم وصّاني بطيب  
قَوْمته عشرين ألف دينار ، وحملني في البرّ فسلمتُ ، وزاد بأرض  
العرب ثمنه على ما قَوْمته ،

قال منصور : « فرأيتُه قد أيسرَ بعد الخلة والتلفيق في

المعاش <sup>(٢)</sup> ا »



(١) قوله « علمت أنك فيها » : أي أن شوْمك ومحنتك متلبسة بها

(٢) أيسر : غنى بعد شدة وعسر . والخلة : الفقر

٦٣ - وحديثى أبو محمد يحيى بن الفضل ، قال :

« اختفى عند والدى كاتب للفضل بن يحيى بن برمك عند إيقاع  
الرشيد بهم ، وكان يُواصل البكاء عليهم ، ولا يسمع الوَعظَ فيهم ،  
فقال له أبى : « أنا أرجو أن يُخَيِّفَ الله عليك ولا يُضيعك » ،  
فقال : « والله ما بُكأتُ لما فاتنى منهم ، وإنما بكأتُ لجلالة  
أخطارهم ونفاسة أقدارهم ، واقد كان لصاحبى فى الجمعة السالفة  
مالم أسمع بمثله لقديم ولا حديثٍ ، قال لى : « قد كثر الزوارُ  
علينا <sup>(١)</sup> ، فأظنر مقدارَ من أنصرف ، وأرفع إلى عِدَّة من بقى  
من الزوار لا تقدّم فى برِّهم ؛ وأحذر أن ترفع إلى رجلاً من أهل  
الشام » - ، لأنه كان يتشيع <sup>(٢)</sup>

« فخرجتُ فألفيت من فضل عن المنصرفين أربعة وثلاثين رجلاً .  
وجاءنى رجلٌ من أهل الشام كاملُ الأدب ظريفُ الشاهد <sup>(٣)</sup> ،  
فأعلته ما تقدّم به إلى ، فقال : « يا أخى أسألك أن تغالط بى  
وتثبتنى فى وسط الجريدة » ، ففعلتُ ذلك . فنظر إلى الاسماء ثم  
قال : « ألم أتقدّم إليك أن لا يكون فى الجريدة شامى ؟ » ، فقلت :  
« وأين الشامى ؟ » . فوضع - شهد الله - يدهُ على اسمه وحلّق <sup>(٤)</sup> ،

(١) الزوار : هم العفاة والمجندون وطالبو المعروف ، وكانوا يسمون  
السؤال ، فسيام البرامكة ، الزوار ، إكراماً لهم عن شناعة اسم السؤال .

(٢) يتشيع : يتعصب لشيعة على رضى الله عنه وأهل بيته

(٣) ظريف الشاهد : ظريف اللسان

(٤) حلّق : أدار حلقة دائرة على الاسم

ووقع بيده لكل واحد غير الشامي ، فما قصر بأحد عن مائة دينار ، وأمرني بإطلاقها وإنفاقها فيهم . جلست أفرقها ، ورواقي إلى الشامي ، فأرأيت اسمه خالياً وحدثته حديثه ، فقال : « لو تضي شيء لكان ، وأحسن الله جزاءك على ما قدمته من العناية بي » ، وأنصرف وقد غمى أمره ، ولم يبق في الزوار أحد حتى أخذ « فأنا في منزلي قريباً من نصف الليل ، حتى وافاني رسوله ، فحضرت إليه ، فقال : « أويت الساعة إلى فراشي . واستعرضت بفكري شغل الزوار وما أمرت به لهم ، لحسن عندي ، ثم قبجه في عيني حرمان الشامي المسكين ، ورأيتة نقصاً في مروتي ، فتقدم في دفع مقدار مارصل إلى جماعة الزوار إليه » ، فقلت : « ياسيدي ! وصل إلى جماعة الزوار خمسة عشر ألف دينار ، وهذا يكفيه ألف دينار ! » ، فقال : « والله ماتني ألف دينار بغمه وقد رأى غيره يأخذ وقيامه عنك محروماً ، قم فأدفع إليه الخمسة عشر ألف ولا تعذلي ، فالخطأ في الجميل أحسن من الصواب في القبيح ، وليس يشكر الناس من البر إلا ما أفرط ، فأما ما يبلغ الحاجة فلسي عند أكثرهم ، والواجب على من آثر جميل الذكر أن يتغنم أيامه <sup>(١)</sup> ، ولا يسوف بشيء من فعله »

قال أبو محمد : « فبكي والله أبي عند هذا الفصل من حديثه حتى خفت عليه ، وقال : « ما أجهل الناس بقدر ما فقدوه من

(١) يتغنم الشيء : يغتم وينتهز

هذا الرجل ،

قال الكاتب : « فخرجتُ وَبَثْتُ الرُّسُلَ فِي طابِ الشَّامِيِّ حَتَّى وَجَدُوهُ ، فَوَافَانِي وَقَدْ انْحَطَّ أَكْثَرُ لَحْمِهِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَشَكَرْنَا جَمِيعاً ، وَقَبَضَ الْمَالَ وَأَنْصَرَفَ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ »

\*\*\*

والد المؤلف  
وابن المدير

٦٤ - وَسَمِعْتُ يُوسُفَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَالِدِي ، وَهُوَ يَقُولُ :  
« كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَدْبَرِ سَوَّالْفِ تُرَعَى وَبِحَافِظِهَا ، فَلَمَّا تَوَلَّى مِصْرَ رَأَى حُسْنَ ظَاهِرِي ، فَظَنَّ ذَلِكَ عَنْ أَمْوَالِ جَمَّةٍ لَدَى . فَبَدَّ بِي فِي الْمَطَالِبَةِ ، وَأَخْرَجَ عَلَيَّ بَقَايَا الْعُقُودِ أَنْكَسَرَتْ مِنْ آفَاتٍ عَرَضَتْ لِضِيَاعِهَا ، وَلَمْ يَسْمَعْ الْإِحْتِجَاجَ فِيهَا ، وَأَسْتَقْصِرَ مَا أوردته ، و [ظننه ] إنما كان عن حيلة ، فاحتببني مع المتضمنين . فكان يَغْدُو فِي كُلِّ يَوْمٍ غَلامٌ لَهُ يَحْبِبُهُ يُعْرِفُ بِفَضْلِ ، فَيَسْكُتُ عَلَيَّ كُلَّ رَجُلٍ مَا يُؤَدِّيهِ فِي يَوْمِهِ ، فَإِنِ شَكَا أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ ، أَخْرَجَهُ نُحْمَلَتٌ عَلَيْهِ الْحِجَارَةُ ، وَطُولِبَ أَعْنَفَ مُطَالِبَةٍ

« فَلَمْ يَزَلْ بِي لِخَاحِهِ حَتَّى بَعَثْتُ حُصْرَ دَارِي فَضْلاً عَمَّا فِيهَا ، وَعَرَضْتُ دَارِي فَمَنْعَنِي مِنْ بَيْعِهَا ، وَوَجَّهَ إِلَيَّ : « فَأَيْنَ يَكُونُ حُرْمُكَ ؟ » . فَوَافَانِي كَاتِبِي فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ فَقَالَ لِي : « يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَا مَا نَصِلُ لَكَ الْيَوْمَ إِلَى مَا يُقِيمُكَ ، فَضْلاً عَنْ شَيْءٍ تُؤَدِّيهِ أ . »

وأمسك فضل غلامه عن الدخول في ذلك اليوم علينا ، وتعرف ما يؤدبه كل واحد منا ، فلما صليت الظهر من ذلك اليوم أنفدني إلى توقيماً نسخته:

« يا أبا الحسن أعزك الله ! قد ألويت بما بقي عليك <sup>(١)</sup> ، وهو سبعة عشر ألف دينار ، وآثرنا صيانتك عن خُطّة المطالبة هذه المدة ، فإن أزحت العلة فيها ، وإلا سألناك إلى أبي الفوارس مزاحم بن خاقان أيده الله ، وسببت به عليك لأصحابه <sup>(٢)</sup> ، فكتبت إليه رقعة أحلف فيها : « إني ما أملك عدد هذا المال حبّ حنطة : ولو كان لي شيء لُصنتُ به نفسي ! فإن رأى السيد رعاية السائف بيني وبينه وسترتُ مخنفي ، كان أهلاً لما يأتيه ، وإن سلّمني إلى هذا الرجل رجوت من الله عز وجل ما لا يخطئ من رجاه »

« فرجع إلى بعض غلمانه ومعه رقعة محتومة ، فاستر كني . وسارَ بي إلى مزاحم ، فلما قرئت عليه الرقعة أدخلني إليه ، وعنده كاتب له يعرف بالمروزي فعرفني مزاحم ولم أعرفه - : وكان أبوه في الحارة التي فيها دارُ أبي بسرّ من رأى ، وربته أم امرأة لي تعرف بميمونة ، مولاة أم محمد بنت الرشيد ؛ ولا علم لي بشيء من

(١) ألوى ولوى الدين : مطله وتأخر بالعلل عن قضائه

(٢) سبب عليه : أي جعله سبباً يأخذ عليه ما لا من المرسل إليه كان يستحقه لديه ، ويتولى المرسل إليه استخراج المال من الرجل المسبب عليه .

هذا فقال: «أنت كاتب إبراهيم بن المهدي»، قلت: «نعم! أيد الله الأمير»، قال: «كنت أراك وأنا صبي في حازتنا، والله ما طلب ابن المدبر أن يروج علي مالا»<sup>(١)</sup>، وإنما أراد أن أفتلك بالمطالبة. وقد قبلت التسبيب، ورأيت أن أكتب إلى أمير المؤمنين أعرفه رزوحك وقصور يدك عن هذا المال<sup>(٢)</sup>، فإن سهّل، وإلا نجّمه علي وعلى رجالي حتى يقاضوا به في كل نجم<sup>(٣)</sup>، ثم قال للمروزي: «هذا رجل من مشايخي، وأم زوجته ببغداد تولت تربيتي، وقد آستكثبته على أموري وما أحتاج إلى قبالة من الضياع بمصر»<sup>(٤)</sup>، وليس بينك عن رسمك<sup>(٥)</sup>، وأخذ خاتماً قد كان نُختم به السكّاب بحضرة فأعطانيه. وسألني عن العجوز التي ربّته، فقلت: «هي بمصر معي»، وانصرفت من عنده إلى منزلي. فكان أول من هنأني بمجلى منه ابن المدبر، ورجعت إلى نعمتي معه في مدة يسيرة»



٦٥ - وحدثني أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب، قال:

ابن المعجمي  
المهندس وابن  
موسى

(١) روج عليه المال: عجله له

(٢) الرزوح: العجز والضعف والإعياء من النقل

(٣) النجم: الوقت المضروب لإداء المال؛ ونجم المال: آذاه نجومها

(أقساطاً) في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة

(٤) قبالة الضياع: كفالة الرجل أموال خراجها، واحتماله بأدائها

ليت المال

(٥) الرسم: هو عندهم الولاية على بعض أمر الدولة

« كان إبراهيم بن الأعمى المهندس قد تقاصرت يده واختلت حاله ، فتكلم على شكل من أشكال الهندسة ورفعه إلى من أوصله إلى المأمون ، قال أبو كامل : خدثني سندن بن علي فقال :

« سأل المأمون محمد وأحمد آبنى موسى بن شاكر المنجم ، عن منزلة إبراهيم بن الأعمى في الهندسة ، فقالا : « منزلة ضعيفة ، وفيه عامية » ، فقال المأمون للسندی بن شاهك : « أحضرني إبراهيم ابن الأعمى » ، فلما أحضره ووقف بين يدي المأمون ، تهيبه ، فلم تبد منه كلمة ، قال : فرأيت انقطاعه قد سر آبنى موسى <sup>(١)</sup> ، وقال للمأمون : « قد عرفنا أمير المؤمنين أنه ليس بمحل من يدخل إليه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ! لولا أنك تبسطنا بمناجاتك والمواظبة عليها ، لكننا بمنزلة إبراهيم في الانقطاع من كلامك ؛ فأما تقصير هذين به في الهندسة ، فإنني أشهد سيدي أمير المؤمنين أني من بعض تلامذته ، وعاليه آبتدأت قراءة الهندسة ا ، ، فأمر بإيصاله إليه مع خاصته ، وأجرى عليه ماوسعه ،

« فقلت للسندی : « متى قرأت الهندسة ؟ » ، فقال : « امتعضت والله مما لحقه من تعسف هذين الرجلين <sup>(٢)</sup> ، فنزلت هذا القول لأرد به الإصغار عنه <sup>(٣)</sup> ، فصأحت حاله ، ورجع إلى أفضل ما كان عليه ،

---

(١) انقطع الرجل : صمت أو أعى فلم يستطع أن يتكلم أو يعمل  
(٢) امتعض : شق عليه الأمر وعظم فتوجع منه  
(٣) نزل القول : وضعه وادعاه وتقله كذبا ، والإصغار : التحقير  
(٩ - مكافأة)

محمد وأحد  
ابن موسى  
وسند بن علي قال :  
٦٦ - وحدثنى [ أبو كامل ] شجاع بن أسلم الحاسب أيضا «

« كان محمدٌ وأحمدُ أبنا شاعرٍ - في أيام المتوكل - يكيّدان كلَّ من ذُكر [ بالتمكُّم ] في معرفةٍ . فأشخصا سَنَدَ بن علي إلى مدينة السلام وباعدها عن المتوكل . ودبّرَا على السكندى حتى ضربه المتوكل ، ووجّها إلى داره فأخذَا كُتْبَهُ بأمرها ، فأفرداها في خزانة سُمّيت السكندية ، ومكّن هذا لهما آسَمَتَارُ المتوكل بالآلات المتحركة <sup>(١)</sup>

وتقدّم إليهما في حفر النهر المعروف بالجعفرى ، فأسندَا أمره إلى أحمد بن كثير الفرغانى - الذى عمل المقياس الجديد بمصر ، وكانت معرفته أوفى من توفيقه ، لأنه ماتمَّ له عمل نط - فغلطَ في فوهة النهر وجعلها أخفض من سائرهِ ، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائرهُ ، فدافع محمد وأحمد أبنا شاعرٍ في أمرهِ . وأقتضاهما المتوكل ، فسعى بهما إليه فيه . فأنفذَ مستحيثًا في إحضار سَنَدَ بن علي من مدينة السلام ، فوآقَى

فلما تحقق محمد وأحمد أبنا شاعرٍ أن سندا قد شَخَصَ ، أيقنا بالهلكة ويئسا من رُوح الحياة <sup>(٢)</sup>

(١) الآلات المتحركة : هى آلات رصد النجوم المعروفة بالاصطربلاب

(٢) روح الحياة : نسمتها وطيبها



فدعا المتوكل سَنَدًا وقال [له]: ماترك هُذَانِ الرَّدِيثَانِ شَيْئًا مِنْ سُوءِ الْقَوْلِ إِلَّا وَقَدْ ذَكَرَكَ عِنْدِي بِهِ، وَقَدْ أَتَلَفْنَا جُمْلَةً مِنْ مَالِي فِي هَذَا النِّهْرِ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ حَتَّى تَتَأَمَّلَهُ وَتُخَيِّرَنِي بِالْغَلَطِ فِيهِ، فَإِنِّي قَدْ آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي - إِنْ كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا وُصِفَ - أَنْ أَصْلُبَهُمَا عَلَى شَاطِئِهِ « . وَكُلُّ هَذَا بَعَيْنَ مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ وَسَمِدِهِمَا، فَنُجِرَ وَهُمَا مَعَهُ  
« فَقَالَ مُحَمَّدٌ [بِنِ مَوْسَى لِسَد]: يَا أَبَا أَحْمَدَ « إِنْ قُدِرَ الْحَرُّ تَذُوبُ حَفِيفَتِهِ، <sup>(١)</sup> وَقَدْ فَرَعْنَا إِلَيْكَ فِي أَنْفُسِنَا الَّتِي هِيَ أَنْفُسُ أَعْلَاقِنَا <sup>(٢)</sup>، وَمَا نُنْكَرُ أَنَّا قَدْ أَسَانَا، وَالْإِعْتِرَافُ يَهْدِيُمُ الْإِقْرَافَ، فَتَخَلَّصْنَا كَيْفَ شِئْتَ «

« قَالَ لَهَا: « أَنْتَا تَعْلَمَانِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْكِنْدِيِّ مِنَ الْعِدَاوَةِ وَالْمِبَاعَدَةِ، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَوْلَى مَا أَتَّبِعُ. أَكُنْ مِنَ الْجَمِيلِ مَا أَتَيْتَا إِلَيْهِ فِي أَخْذِ كُتُبِهِ؟ وَاللَّهِ لَا ذِكْرُ تُكَا [بِصَالِحَةٍ] حَتَّى تَرُدَّهَا عَلَيْهِ « . فَتَقَدَّمَ مُحَمَّدُ بْنُ شَاكِرٍ فِي حَمْلِ الْكُتُبِ إِلَيْهِ، وَأَخَذَ خَطَّهُ بِاسْتِيفَاتِهَا. فَوُرِدَتْ رُقْعَةٌ الْكِنْدِيِّ أَنَّهُ تَسَلَّمَهَا عَنْ آخِرِهَا، فَقَالَ لَهَا: « قَدْ وَجِبَ لِيكَمَا عَلَى ذِمَّامٍ بَرْدٌ كُتُبِ هَذَا الرَّجُلِ <sup>(٣)</sup>، وَلِيكَمَا عَلَى ذِمَّامٍ بِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي لَمْ تَرَعِيَّاهَا فِي؛ وَالخَطَأُ فِي هَذَا النَّهْرِ يَسْتَبِيرُ مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ بِزِيَادَةِ دِجْلَةٍ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْحِسَابُ عَلَى أَنْ

(١) الحفيظة: الغضب المكتوم في النفس

(٢) الاعلاق: الدخائر النفائس

(٣) الذمام: الذمة والعهد والحق

أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ، وأنا أخبره الساعة أنه لم يقع خطأ في النهر إبقاءً على أرواحكم ، فإن صدق المجمعون أفلتنا الثلاثة ، وإن كذبوا - وجازت مدته حتى تنقُص دجلة وينضب النهر - أوقع بنا ثلاثتنا »

« فشكر محمد وأحمد هذا القول منه ، واستتر الأمر واسترقهما<sup>(١)</sup> به ، ودخل إلى المتوكل فقال [ له ] : « ما غلطا ، زادت دجلة ، وأجرى الماء فيه ، واستتر حال النهر ، وقتل المتوكل بعد شهر [ين] من إجرائه . وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعوا ،



حصار أفریطش ٦٧ - وحدثني الحسن بن مسلم الأفریطشي - ورأيت بعد أن علّت سنه وبلغ المائة سنة ، وكان صحيح النميز ، سليم الخواص - والإخلاص لله قال :

« ألح غزونا على الروم ، ونالهم منا مكروه عظيم . فوجدتم ملك الروم من هذا<sup>(٢)</sup> ، ونذر أن يُخرب أفریطش ولو أنفق ذخائر ملكته . فنظر إلى راهب محبوب تدارم الروم زهادته . فأنزله من متعبده ، وضم إليه أكثر جيوشه ، فوافق جمع لم يُحِط بأفریطش مشله قط . ففرعنا إلى غاق الحصن<sup>(٣)</sup> ، وتسرع الروم إلى بناء

(١) استرقه : استعبده وجعله رقيقاً أو كالرقيق

(٢) وجد من الشيء : غضب في نفسه

(٣) غلق الحصن : أقاله

مساكن لهم ، وخرجوا من المراكب ، وغلبنوا على ميرة البلد وما يكون في جواره <sup>(١)</sup> . واشتد الحصار ، ونزع السعير ، وتحاق المأكول <sup>(٢)</sup> ، وشاع الجهد <sup>(٣)</sup>

ثم زادت المكاره حتى أكل الناس مآمت من البهائم جوعاً ، وأجمعوا على أن يفتحوا الباب له ، فقال لهم شيخ : « إني قد أراكم قد حرمتم التوفيق في قوتكم وضعفكم والصواب أن تقبلوا مني ما أشير به عليكم » ، قالوا : « قل » ، قال : « أتركوا لله قبيح ما يحملكم عليه تظاهر النعمة والسلامة <sup>(٤)</sup> ، وأخلصوا له إخلاص من لا يجد قرجه إلا عنده ، وأصلوا صيانكم من رجالكم ، ورجالكم من نساتكم » . فلما ميزهم هذا التمييز صاح بهم : « عجوا بنا إلى الله ! <sup>(٥)</sup> » ، فعجوا عجة واحدة ، وبكى الشيخ وبكى أكثر الناس . ثم قال : « عجوا أخرى ، ولا تشتغلوا بغير الله » ، فعجوا عجة أعظم من الأولى ، وبكى الناس أيضاً . ثم عج الثالثة وعج الناس معه ، وقال : « تشرفوا من الحصن <sup>(٦)</sup> » ، فإني أرجو أن يكون الله قد فرج عنا »

(١) الميرة : الطعام والزاد

(٢) نزع السعير : غلا ، وتحلق المأكول : هلك أو كاد كما يكون في أيام القحط

(٣) الجهد : المشقة والعسر من الجوع

(٤) تظاهرت النعمة : تضاعفت وتكاثرت

(٥) عج بالبكاء والدعاء : رفع صوته

(٦) تشرف : أطل وتطلع

خلف لى الحسن : « إني تشرّفتُ مع جماعةٍ فرأيتُ الروم قد قوّضوا [رحالمهم] ، وركبوا مراكبهم . وفُتِحَ بابُ الحصن ، فوجدوا قوما من بقاياهم فسألوهم عن حالهم : فقالوا : « كان عميدُ الجيش بأفضل سلامةٍ إلى اليوم ، حتى سمع ضججتكم في المدينة فوضع يده على قلبه وصاح : « قلبي اقلبي ! ، ثم طَفِقَ » <sup>(١)</sup> . فانصرف من كان معه إلى بلد الروم . وخرجنا عن الحصن ، فوجدنا في تلك الأبية من القمح والشعير ما وسع المدينة وأعادَ إليها خصبها ، [ وكفينا ] جماعتهم من غير قتال »

\*\*\*

٦٨ - قال أبو جعفر :

سهل بن شنيف  
وابن بسطام

« ولما غلبَ ابنُ الخليل على مصر ونواحيها ، لم يكن بمصر أسوأ قدرةً على أسباب أبي [علي] الحسين بن أحمد الماذرائي من أحمد بن سهل بن شنيف ، فلم يمضِ شهر حتى انهزم ابن الخليل وظفر به وحمل إلى العراق . ودخل بعد ذلك بشهور أبو العباس أحمد بن محمد ابن بسطام إلى مصر متولياً بالأمانة على الحسين بن أحمد ، وكاشفاً لما جرى عليه أمر الضياع بعد ابن الخليل وأصحابه فقرر أبو علي أمر المتضمنين بالحضرة عند أبي العباس ، فعرض بسهل بن شنيف ولم يدع سوءاً إلا ذكره به . فقال أبو العباس : « سيعلم ما يجرى عليه مني ! » . واتصل [الخبر] بسهل بن شنيف

(١) طفق : انطفات حياته وحمد

فاستطير قلبه وكسّف باله<sup>(١)</sup>. وأحضر مع جماعة أجلبوا من  
الكتّاب مع ابن الخليج<sup>(٢)</sup>، فلما دخلوا عليه كاد يقوم إلى سهل بن  
شنيف، ثم رفعه حتى كان أقرب إليه من أخص أصحابه. ودعا ابن  
حُبَيْش فسارّه، فنظر إلى سهل، وقال لأبي العباس: « الأمرُ على  
ما وصفت »، ثم أطلق سهلاً من ساعته إلى منزله. فسأله أبو علي:  
« هل تعرفه قبل هذا؟ »، فقال: « لا والله ولكنّه ورد عليّ منه  
أشبهُ الناس بأبي ».  
وأفرخ روع سهل بتوفيق الله ولطفه<sup>(٣)</sup>، وما زال حفيّا به  
حتى مات ».

\*\*\*

٦٩ - قال :

المؤلف  
وإبن بسطام  
« كنت قد عماتُ في أيام ابن الخليج لحماية ضياع كانت في يدي .  
فلما تمخضت دولته اختفيتُ ونُهيتُ<sup>(٤)</sup>، وخِفتُ الإيقاع بي ،  
واعتور ضياعي العمالُ<sup>(٥)</sup>، وأضافتُ حالي ، فاجتمع الخوف والفاقةُ .  
فرايتُ - بعد قدوم أبي العباس بن بسطام - فيما برى النائم ،  
يوسف بن إبراهيم والدي ، وأنا أشكو إليه خلّتي وخوفي ، فكأنه

(١) استطير قلبه : ارتاع واضطرب ، وكسّف باله : تغير وساء حاله

(٢) أجلب عليه : أعان الخارجين عليه

(٣) أفرخ روعه : اطمأن قلبه بعد فزع

(٤) تمخضت : كادت أن تولد ، وقربت ولايته الأمر

(٥) اعتوروا الضياع : تداولوها بالإبذاء والتضييق في جباية الأموال

يقول : « أنا أتكلم في أمرك حتى تعودَ إلى محبتك » . فلما أصبحتُ  
قصصتُ الرؤيا على من كنتُ مُخْتَفِياً عنده ، وكان حاذفاً بِالْعِبَارَةِ (١) ،  
فقال : « يجرى لك فرج بذكر أبيك » .

وطلب أبو العباس بن بسطام الدستورات القديمة ليعتبر منها  
عَبْرَ الضِّياع (٢) . فأُخْرِجَ إليه ما كان لسنة خمسين ومائتين ومافباها ،  
فرأى فيها اسمَ والدي في ضياع كثيرة ، فقال : « من هذا يوسف  
ابن إبراهيم ؟ » فقال له أبو علي : « هذا صاحب إبراهيم بن المهدي ،  
ورَضِيعُ المعتصم ! » ، قال أبو العباس : « وصاحبُ كتاب الطَّبِيعِ ؟ » ،  
قال أبو علي : « نعم ! » ، قال : « فله ولدٌ ؟ » ، قال : « نعم في ناحيتي ! » ،  
قال : « فخذْ لي منه كتاب الطَّبِيعِ ، وكتاب أخبار إبراهيم بن  
المهدي ، وصرِّ به إلي حتى يقرأهما علي » ، قال : « أفعلُ » .

وكان إسحاق بن نُصَيْرٍ يعرف موضعي ، فقال له : « أحتاج إلى  
أحمد بن يوسف » ، قال : « تَوَمَّنْهُ ، وعليّ إحضارُه ! » ، فكتب له  
أماناً بِخَطِّه ، وحلَفَ فيه ألا يُسَوِّدَنِي وَلَا يُطالِبَنِي . فخرجتُ إليه  
وأحضرتُه الكتابين . وفرَّجَ اللهُ عني بأضعف سببٍ »

\*\*\*

---

(١) العبارة : تعبير الرؤيا وتفسيرها

(٢) اعتبر عبر الشيء : استدل على الشيء بالشيء وتدبر حسابه حتى يفهمه .  
والدستورات : جمع دستور ، وهي النسخ المحزرة المكتوبة ؛ يريد دفاتر  
الحساب

٧ - وحدثني أم آسية - قابلة أولاد خمارويه بن طولون ، قابلة أولاد خمارويه وأختها وكان لها دينٌ ومذهب جميلٌ ، ومحلٌ لطيفٌ من خمارويه . وقد نذاكرنا لطفَ الله عز وجلَّ في أرزاق عباده ، وُحَسَنَ الدَّفَاعِ عنهم - : أنه تزوّجها وأُخْتَهَا أَخَوَانِ ، فأقبلتُ حالَ زوجِ أختها وأدبرتُ حالَ زوجها ، قالت : وتُوِّقِي زوجها بأسـ. ولا حالة ، وخلف لها بناتٍ ، وتعدّر عايبها تجهيزه من آختلاله . وتُوْفِي زوج أختها ، وقد خلف من العَيْنِ والمَسَاكِنِ والأَوَانِي لولدِ أختها : قالت : « فكنْتُ أَجَاهِدُ فِي مَوْتِهِ وَلَدِي ، وَإِذَا وَقَفَ أَمْرِي ، صِرْتُ إِلَى أَخْتِي فَقُلْتُ : « أَفْرِضِي كَذَا وَكَذَا » ، استجيباً من أن أقول لها : « هَبِّي لِي . . . » . ودخل شهر رمضان ، فلما مضى نصفه ، اشتَهَوْا عَلَيَّ صِيَانِي حَلْوَا فِي الْعِيدِ ، فصرت إلى أختي فقلت لها : « أَفْرِضِي دِينَاراً أَعْمَلُ بِهِ لِلصِّيَانِ حَلْوَا فِي الْعِيدِ » ، فقالت : « يَا أُخْتِي اتَّعِظِي بِقَوْلِكَ : « أَفْرِضِي » ، وَإِذَا قَرَضْتُكَ مِنْ أَيْنَ تُعْطِينِي ؟ أَمِنْ غَلَّةِ دُورِكَ أَوْ بُسْتَانِكَ <sup>(١)</sup> ؟ لو قلت : « هَبِّي لِي ، كَانَ أَحْسَنَ » . فقلت لها : « أَقْضِيكَ مِنْ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا يُحْتَسَبُ ، وَجُودِهِ الَّذِي يَأْتِي مِنْ حَيْثُ لَا يُرْتَقَبُ » . فتضاحكت وقالت : « يَا أُخْتِي ! هَذَا وَاللَّهِ مِنَ الْمُنَى ، وَالْمُنَى بَصَائِعُ النَّوْكَى ! » <sup>(٢)</sup> . فَأَنْصَرَفْتُ عَنْهَا أَجْرُ رِجْلِي إِلَى مَنْزِلِي

(١) الغلة : الدخل الذى يغله العقار

(٢) النوكى : جمع أنوك : وهو الاحق الذى لاعقل له

« وكان في جوارنا خادم أسود لبنت اليتيم امرأة حمارويه ،  
فلما بلغت حارتنا قال لي : « في جوارنا امرأة تُطلق قد أوجعت  
قلبي »<sup>(١)</sup> أدخل إليها فليس لها قابله<sup>(٢)</sup> »<sup>(٣)</sup> . قالت أم آسية :  
« والله ما عانيتُ بمخرضة قط<sup>(٤)</sup> ، فدخلت إليها ، فمسحتُ جوفها ،  
وأجلستُها كما كان القوابل يُجلِسُنِي في طَلْقِي ، فولدت من ساعتها .  
فلما أمسك صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها ، فقلت : « قد ولدت ، ،  
فمجب من سرعة أمرها ، وظن أن هذا شيئاً قد اعتمده بجذقي  
صناعة ، ولطف في مهنتي . فمضى إلى سته بنت اليتيم - وكانت  
مقرباً بأول ولدٍ حمل لابن الجيش<sup>(٤)</sup> ، وقد عرض عليها قوابل  
استنقلتهن - ، فقال : « في جوارنا قابله أحضرناها المرأة في حارتنا  
تطلق ، فوضعت يدها على جوفها فتمشط ولدها ا » ، ووصفني  
بما لا يوجد في قُدرة أحدٍ إلا بالله عز وجل ! فقالت للخادم :  
« إذا كان غداً جئني بها ، ، فأتى الغلام ودعاني إلى مولاته ،  
فأجبتُ بانسراح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخقت رُوحى  
وقالت : « إلى التمام تقدير الله تبارك وتعالى ، . ثم شككت مغساً

---

(١) طلقت المرأة (بالبناء المجهول) : إذا أدركها المخاض ورجع  
الولادة

(٢) القابلة : هي التي تتلقى الولد من بطن أمه ، (المولدة)

(٣) المخرضة : هي الماخض ، وهي المرأة إذا ضربها الطلق ورجع

الولادة

(٤) أقرب الحامل وهي مقرب : إذا دنا ولادها



تجدده المُقَرَّب<sup>(١)</sup> ، فأدخلتُ يدي في ثيابها ومَسَحْتُ جوفَها ، وَعَجَّجْتُ إلى الله تعالى في سِرِّي بتوفيق ، وكنتُ أدعو - وَمَنْ حَضَرَ من أهلها يَتَرَمَّ أنى أرتي - فسكن ما وجدتهُ وتبرَّكتُ بي ودخل إليها نُمارويه وقال : « ما وَجَدْتِي ، فقالت : « مَغْسَا في جوفى ، فوضعت قابلهُ أَرْدُهَا يدها عليه ، فزال ما أجده ! » ، وأخرجتني إليه - وكان قريبا من حُرْمِهِ - ، فقال لى : « أرجو أن يُخَلِّصها الله عز وجل ببركتك »

قالت أم آسية : « ودخلنا في العَشرِ الأَراخِرِ من شهر رَمَضان ، وقد تمسكتُ من الإِخْلاصِ لله عز وجل بما لا يَصِلُ إليه من سَاحِ في الجبال ، خوفاً من شِماتِة أُخْتى بى . فلم تمض إلا ثلاثة أيام حتى يَحِضتُ ، فأجسستها على كُرْسِي الوِلادة - وكان مقدارُ طَلْقِها ساعتين - ، فولدت ابناً أسهلَ وِلادَةٍ ، وأبو الجيش يقوم ويقعد ، ويذهبُ وَيَجِيء . فلما ولدت - وكانت تتوَقَّع من الولادة أمراً عظيماً - فلما أَلْقَتْه قالت لى : « هذا الطلق ؟ » ، قلت : « نعم ! » فقَبِلت - يَعْلَمُ اللهُ - عَيْنِيَّ من الفَرَحِ . وصاح نُمارويه : « أخبر بى يا مَبَارَكَةُ بِخَبْرِها » ، فقلت : « وَحَيَاةِ الأَمير إنهما فى عَافِيَةٍ ، وقد ولدت غلاماً سوى الخَلْقِ بِمُحْمَدِ اللهِ . فوجه إلى ألف دينار ، وألح أبو الجيش فى النَّظَرِ إليها لَفَرَطِ إِشْفاقِهِ عليها ، فاستوقفتهُ إلى أن نقلتُ حَوَائِجِ الوِلادة وقلت لها : « ياسيدتى ! آصْحكى فى

---

(١) المغس والمغص : تقطيع يأخذ فى أسفل البطن والمعى

وَجْهَهُ كَمَا تَرِيهِ<sup>(١)</sup> ، . فلما دخل إليها ضحككت في وجهه ، فتقدم  
بصدقة بمالٍ كثيرٍ عنها وعن ولده ،

وقالت لى أم آسية : « لما كان يوم الأُسبوع - ووقع قبل العيد  
يوم واحدٍ - ، أمرت لى بخمسة مائة دينار ، وحصل من أتباعها ألفُ  
دينار ، فحصل لى ألفان وخمسة مائة دينار . وخلعت على وسائر حَسَمِهَا  
أكثر من ثلاثين خِلمَةً ، وحُجِلَ إلى ما أُعِدَّ للعيد ثلاث موائد  
خاصَّة . وانصرفت إلى منزلى ، فأرسلتُ إلى أختى مائةً ، ووافقتى  
مهنَّتة ، وقد تقاصرطوها ، فأرَبَتْها ما حصل لى من المال والخِلمَعِ  
والطَّيبِ ، وقلت لها : « يا أختى ! أنكرتني على قولى : « أقرضيني ،  
ومن هذا كُنْتُ أفضيك . فلا تستصغرى من كان اللهُ مادَّةً ،  
وعليه مَدَارُ نَفْتِهِ وتعويضه »

واكتسبت هذه المرأةُ بمحلَّها من أبى الجيش مالا كثيرا ،  
وقضت لجماعةٍ من وجوه البلد حوائجَ خطيرة



٧١ - وحدثني شجاع بن أسلم الحاسب ، قال : قلت لسنَد  
ابن على : « من كان سببِك إلى المأمون ، حتى اتصلت به ، وكنت  
[ فى جلسانه ] من العلماء ؟ » . فقال : « أحدثك به :

سند بن على  
والمجسطى

« كان والدى يتكسَّبُ بصناعة أحكام النجوم مع قومٍ من  
أسباب السلطان يودُّونه ويحبُّونه . وتعلَّقَ قلبى بعد فراغى من  
(١) كما تَرِيهِ : تريد ، حين تَرِيهِ ، وقد مضى مثل ذلك فى ص (١٠)

قراءة كتاب أفليدس بكتاب الميجسطى<sup>(١)</sup>. وكان - في أيام المأمون بسوق الوراقين - رجلاً يُعرف بمروفي ، يُورق هذا الكتاب ويبيعه<sup>(٢)</sup> - بعد تكامل خطّه وأشكاله وتجايدّه - بعشرين ديناراً فسألت والدي أبتياعه لي ، فقال : « أنظرني يا بنيّ إلى أن يتبيأ لي شيء آخذه<sup>(٣)</sup> ، إما من رزق وإما من فضل ، وأبتأعه لك

وكان لي أخٌ لا يشتهي بما [ تقدمت ] أنا فيه من العلم شيئاً ؛ إلا أنه كان يخدمُ أبي في حوائجه والإشفاقِ عليه . فلما سَوَّقني أبي بالكتاب وطالت المدّة فيه ، ركبتُ معه لأمسك دابّته في دخوله إلى من يدخُل إليه ، ولي إذ ذاك سبع عشرة سنّة . فخرج إلى غلمانٍ من كان عنده فقالوا : « انصرف ، فقد أقام أبوك عند مولانا . » فمضيت بالدابّة فبعتها بسرّجها ولجامها بأقلّ من ثلاثين ديناراً ، ومضيت إلى معروف فاشتريتُ الكتابَ بعشرين ديناراً

وكان لي بيتٌ أدخلو فيه ، وجئتُ إلى أمي فقلت لها : « قد جنيتُ عليكمُ جنابةً » ، واقتصصتُ عليها القصة<sup>(٤)</sup> ، وحلّفتُ لها : إن شحذت أبي عليّ حتّى يمتنعني من النظر في الكتاب<sup>(٥)</sup> لاخرُجن

---

(١) هذان الكتابان من أشهر كتب يونان المترجمة إلى العربية ، الأول في

أصول الهندسة ، والآخر في الهيئة

(٢) ورّق الكتاب : نسخته وأعدّه كاملاً للبيع

(٣) أنظره : آخره وأجله

(٤) اقتص الشيء : حكاه متتابعاً

(٥) شحذه عليه : حرّضه عليه وأغضبه

عنه إلى أبعاد غاية ، ورَدَدَتْ عليها فَضْلَ ثَمَنِ الدَّابَّةِ ، وقلت لها :  
« أنا أغلق بَابَ هذا المنزِلِ الذي لي ، وأرضي منكم برغيفٍ يُلقَى  
إليَّ كما يُلقَى إلى المحبوسِ ، إلى أن أقرأه جميعه . فتَضَمَّنتُ لي  
بتسكين قَوْرَتِهِ ، ودخلتُ البيتُ وأغلقتُهُ من عندي . فمضى أخِي  
إلى والدي في الموضوع الذي كان فيه ، فأسرَّ إليه الخبر ، فتغير وجهه ،  
وتلجأج في حديثه ، فقال له مَنْ كان عنده : « قد شغلتَ قلبي وقلبَ  
مَنْ حَضَرَ بما ظهر منك ، فبحقِّي عليك إلا أخبرتنا لِمَ ذا ؟ » ، قال  
فخرته : فقال : « هذا والله يُسرِّنا في ولدك ؛ فاتعدَّ فيه بكل جميل <sup>(١)</sup> » ،  
ثم استحضر من إسْطَبَلِه بَغْلًا أفره من بغلِ أبي <sup>(٢)</sup> ، وسرَّجاً خيراً من  
سرَّجه ، وقال لأبي : « اركبْ هذا البغلَ ، ولا تتكلم ابْنَكَ بحرفٍ »  
قال سَنَدٌ : « وأتمت ثلاثَ سنينَ كيومٍ واحدٍ ، لا يرى لي أبي  
صورةً وجهٍ ، وأنا مُجدِّدٌ حتى استكملتُ كتابَ المجسطي . ثم  
خرجتُ وقد عميتُ أشكالا مُستصعباتٍ ووضعتها في كُمِّي .  
وسألتُ : « هل للمهندسين والحسابِ موضعٌ يجتمعون فيه » ؛  
فقبل لي : « لهم مجلس في دارِ العباس بن سعيد الجوهري ترَبِّ  
المأمون ، يجتمع فيه وجوهُ العلماءِ بالهَيْئَةِ والهندسة » . فحضرتُه ،  
فرايتُ جميعَ من حضرَ مشايخَ ، ولم يكن فيهم حَدَثٌ غيري ،  
لأنني كنتُ في العشرين سنة <sup>(٣)</sup>

(١) اتعد : يريد انتظار فيه وعده بكل جميل

(٢) أفره ، من الفراهة : وهي نشاط الدابة وقوتها انتهى فاره

(٣) الحدث : الصغير السن

« فقال العباس : « من تكون ؟ وفيمَ نَظَرْتَ ؟ » ، فقالت : « علام يجبُ صناعةَ الهندسة والهيئة » ، قال : « ما قرأت ؟ » ، قالت : « أقليدس والمجسطي » ، قال : « قراءة إحاطة ؟ » ، قلت : « نعم » . فسألتني عزىء مستصعب في كتاب المجسطي ، كان تفسيره في الأوراق التي كانت في كمي ، فأجبتُه . فعجب وقال « مَنْ أهدك هذا الجواب ؟ » ، قلت : « استخرجتهُ قَرِيحَتِي ، وما سمعته من غيري ، وهو وغيرُه فيما مرَّ بي في وَرَقٍ معي » ، قال : « هاته » . فلما رآه اغتَاطَ واضطرب ، ثم قال لبعض من بين يديه من غلمانِه : « السَّفَطُ » <sup>(١)</sup> ، فجئى به ، فنظر إلى خاتمِه فوجده بحاله ، ثم فَضَّه وأخرج منه كُرَّاسَةً فجعل يقابلُ بها الورقَ الذي كان معي ، فكان الكلامُ فيما معه أحسنَ رُصْفًا من الكلامِ الذي معي . والمعنى واحد

« فقال : « هذا شيءٌ توأيتُ تبيينَه من كتاب المجسطي ، فلما أحضرتنيهِ توهمتُ أنه سُرِقَ مِنِّي ، حتى تبيَّنتُ اختلافَ اللفظين مع اتفاقِ المعنى » . ثم أمر أن تُقطعَ لي أقبية <sup>(٢)</sup> ، وتُرنادلي مِنطقتَه مُدَهَّبَةً <sup>(٣)</sup> ، ففرغ من جميع ذلك في تلك الليلة ، ودَخَلَ بي إلى المأمون ، وأمرني بملازمته ؛ وأجرى لي أنزالاً ورزقاً <sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) السَّفَطُ : وعاء تعبي فيه الأشياء

(٢) أقبية : جمع قباء ، وهو ثوب تجمع أطرافه من أمام بأزرار

(٣) المنطقة : ما يدور بالبطن كالحزام

(٤) أنزال : جمع نزل ، وهو الرزق

٧٢ - وحدثني أحمد بن أبي يعقوب، قال: حدثني أبي:

« أن جبريل بن بختيشوع كان يخلف الأطباء في دار الرشيد وكانت به نزاهة<sup>(١)</sup>، وبه فاقة شديدة<sup>(٢)</sup>، ورزقه يومئذ ثلاثمائة درهم في كل شهر. فوقع الرشيد في غشية لم يتقدمها علة، فأجمع الأطباء على أنه تالف<sup>(٣)</sup>، وأخبر ابن بختيشوع، فقال: « ماله إلا علاج واحد وهو أن يجموه<sup>(٤)</sup> »؛ فقال محمد الأمين: « أخاف أن أخاطبه »؛ ثم قال: « قد أيسنا منه، والصواب أن نمتحن هذا فيه ». فأحضرنا الحجام<sup>(٥)</sup> فجمع الدم في أخذع<sup>(٦)</sup>يه وهو مستلق<sup>(٧)</sup>؛ ثم أخرج من دمه مجتمتين<sup>(٨)</sup>، ففتح الرشيد عيذه، واستدعى طاماة<sup>(٩)</sup>، وأكل ونام

فلما آتبه آفتص عليه المأمون ما جرى عليه [ أمره، وأذن ]  
لداخلين في تهنئته بالسلامة. فلما آكتملوا قال لهم: « يامعاشر  
الامراء والأطباء إنما آرتبطتكم لحراسة<sup>(١٠)</sup> نفسي<sup>(١١)</sup>، وقد حدث  
عليّ حادث لم يُغن عني فيه بعد الله عزّ وجلّ إلا هذا الغلام  
ونصيبي<sup>(١٢)</sup> مني نزر، ونصيبيكم وافر<sup>(١٣)</sup>، فأعدّوا<sup>(١٤)</sup> ميل المملكة بأن يجعل  
له كل رجل منكم نصيباً من<sup>(١٥)</sup> إنعامي عليه وإحساني إليه، حتى  
يكون له من جماعتكم ما يؤازر ما تقدم عليه به في حسن  
الدفاع عني،

(١) حجه: أخذ من دمه وامتنعه

(٢) الأخذعان: عرفان في جانب العنق يؤخذ منهما الدم عند الحجامة

(٣) ارتبطه: اتخذته واستبقاه

فقتسرع الناس إلى جبريل فأعطوه الضياع والثور والأموال .  
وما برح حتى كان أيسر من في المملكة ، وتربّت النعمة لديه  
وولديه حتى وازت نعم الخلفاء

\*\*\*

٧٣ - وحدثني عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان ، عن أبيه ، عن عمرو بن عثمان  
والرشيد  
جده ، قال :

كان لي مجلس في ديوان الإنشاء قليل الجدوى عليّ ، وحالي حالٌ  
لا تنهض بما يحتاج إليه المقتصد ، وقد لزمته يمين لا كهمارة لها  
في ترك النّبيذ . فكان جماعة الكتاب يجلسون ماجلس الوزير -  
وهو يومئذ الفضل بن الربيع - ، فإذا آنصرف إلى منزله ، آنصرفوا  
إلى ماعقدوا عليه أمرهم من الاجتماع ، وأقيم وحدي في الديوان  
إلى أن يُغلق

فبكرت إليه في يوم من الأيام ، وجاءت مطرة تطرب الوزير  
فيها إلى الشرب<sup>(١)</sup> ، لتشاغل الرشيد في دعوة لزيدة ، فلم يبق في  
ديوان الإنشاء غيري . فإني لجالس حتى دخل إلى خادم من خاصّة  
الرشيد ، فأخذ يدي وأدخلني إلى الرشيد . فلما مثلت بين يديه ، قال اقرأ  
هذا الكتاب ، فقرأته ، فبينته وأعربته فقال : « أحبّ عنه بين يدي » ،  
فأجبت عنه بأحسن معانٍ وأجود لفظ . فقال : « اقرأه عليّ » ، فقرأته ،  
فقال لمسرور الكبير : « ألف دينار » . فجاء بها ، فقال : « أدفعها

(١) تطرب إلى كذا : طرب

إليه ، وُقِلَ للفضلِ يَصْرِفُ إليه ديوان الإنشاء<sup>(١)</sup> . فهو أحقُّ به  
بِمَنِّ غادره . ثم قال لي : « خذ هذا المال ، وسأُنظِرُ لك في الوقتِ  
بعد الوقت ما يزيدُ في اصطِناعِي لك ، فلا يُفسِدِ الغنى ما أصلحتَه  
الفاقةُ من حُسْنِ ملازمتك ، واستزِدْني أزدك »

قال عمرو : « فاجتهد الفضلُ بن الربيع أن يُشْرِكَ بني وبين  
من كان يتولَّى الإنشاء ، فلم يُطْلَقْ له الرشيد ذلك وأزْدَنِي به<sup>(٢)</sup> ،  
حتى فرقت الأيام بَيْنَنَا »

### خاتمة

كلمات للفلاسفة  
والحكماة

قال أبو جعفر قال بزرجهر : « الشدائدُ قبل المواهب ، تُشْبِهُ  
الجوع قبل الطعام : يَحْسُنُ به موقعه ، وَيَلَدُّ معه تناوُلُه »  
وقال أنفلاطُن : « الشدائدُ تُصْلِحُ من النَّفسِ بمقدار ما تُفسِدُ  
من العيش ، والتَّترُفُ يُفسدُ من النَّفسِ بمقدار ما يُصاح من  
العيش<sup>(٣)</sup> »

وقال : « حانظ على كل صديق أهدته إليك الشدائد ، وآله  
عن كل صديق أهدته إليك النعمة ،

وقال أيضاً : « الترفه كالليل : لا تتأمل فيه ما تُصدِرُه أو تتناوله ،

(١) صرف إليه كذا : رلاه إياه

(٢) أطلق له : أذن له

(٣) الترف : الترفه والترفه في العيش



والشدة كالنهار: ترى فيها سَعْيِكَ وَسَعَى غَيْرِكَ ،

وقال أردشير: « الشدة كُحْلٌ تَرَى بِهِ مَا لَا تَرَاهُ بِالنُّعْمَةِ »



خاتمة المؤلف  
لهذا الباب

وَمَلَاكٍ مَصْلِحَةِ الْأَمْرِ فِي الشَّدَةِ شَيْئَانِ : أَصْغَرُهُمَا قُوَّةُ قَلْبٍ  
صَاحِبِهَا عَلَى مَا يَتَوَبُّهُ ، وَأَعْظَمُهُمَا حُسْنُ تَقْوِيضِهِ إِلَى مَالِكِهِ وَرَازِقِهِ  
وَإِذَا صَمَدَ الرَّجُلِ بِفِكْرِهِ نَحْوَ خَالِقِهِ <sup>(١)</sup> ، عِلْمٌ أَنَّهُ لَمْ يَمْتَحِنُهُ  
إِلَّا بِمَا يُوجِبُ لَهُ مَثُوبَةٌ ، أَوْ يُمَحِّصُ عَنْهُ كَبِيرَةٌ <sup>(٢)</sup> ، وَهُوَ مَعَ هَذَا  
مِنَ اللَّهِ فِي أَرْبَاحٍ مُتَّصِلَةٍ ، وَفَوَائِدٍ مُتَّابِعَةٍ

فَمَا إِذَا اشْتَدَّ فِكْرُهُ تَلْقَاءَ الْخَلِيقَةِ ، كَثُرَتْ رِذَائِلُهُ ، وَزَادَ تَصَنُّعُهُ ،  
وَبَرِمَ بِمُقَامِهِ فِيهَا قَصْرٌ عَنِ تَأْمِيلِهِ ، وَاسْتِطَالَ مِنَ الْمِحْنِ مَا عَسَى أَنْ  
يَنْقِضِي فِي يَوْمِهِ ، وَخَافَ مِنَ الْمَكْرُوهِ الْعَلَّةَ أَنْ يُخْطِئَهُ

وَلِئِمَّا تَصَدَّقَ الْمُنَاجَاةَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ رَبِّهِ لَعَلَّهُ بِمَا فِي السَّرَائِرِ ،  
وَتَأْيِيدِهِ الْبَصَائِرِ . وَهِيَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَشْبَاهِهِ كَثِيرَةٌ الْأَذْيَةُ ، خَارِجَةٌ  
عَنِ الْمَصْلِحَةِ

وَاللَّهُ تَعَالَى رَوْحٌ يَأْتِي عِنْدَ الْيَأْسِ مِنْهُ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
خَلْقِهِ <sup>(٣)</sup> ، وَإِلَيْهِ الرَّغْبَةُ فِي تَقْرِيْبِ الْفَرَجِ وَتَسْمِيلِ الْأَمْرِ ، وَالرَّجُوعُ

(١) صمد إلى كذا : قصد وتوجه ومضى إليه

(٢) محص عنه الذنب : نقصه وأسقطه عنه

(٣) الروح : رحمة الله ، فإن الراحة كلها معها

إلى أفضل ما تطاول إليه السُّؤل؛ وهو حسبي ونعم الوكيل

---

تمَّ الكتاب

والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد النبي وعلى آله  
وعترته الطاهرين وسلامه

## فهرس الأعلام

أحد بن أبي يعقوب بن واضح : ٦٦١ و ٦١٤٥

١٤٤ و ١١٩ و ٨٣

أحد بن يوسف ( كاتب أحد بن وصيف )

٥٢

أحد بن يوسف بن إبراهيم أبو جعفر ( مؤلف

الكتاب ) : ١ و ٦ و ٢٥ و ٢٨ و ٥٢ و ٥٦

١٤٦ و ١٣٦ و ١٣٥

أخو أحد بن يوسف ( مؤلف الكتاب ) : ٥٦

أحمد بن يوسف بن جعفر بن سليمان

الهاشمي : ٦٨

ابنا الأرقط : ٥٦

أردشير : ١٤٧

إسحق بن إبراهيم ( عم المؤلف ) : ١١

إسحق بن إبراهيم بن تميم : ١٣ و ٢٠ و ٢٣

إسحق بن تميم ( إسحق بن إبراهيم ... )

إسحق بن عيسى بن علي بن عبد الله بن

عباس : ١٥

إسحق بن نصير العبادي : ١٦ و ١٧ و ١٣٦

إسماعيل بن أسباط : ١٢

الأعشى : ١١٥

أفلاطون : ٤٨ و ٤٩ و ٦٧ و ١٤٦

اليون ( ملك الروم ) : ٩٧ و ٩٩

الامين : ٤٧ و ٩٧

بني أمية : ٨٢

أبو أيوب : ٨٨ و ١٠١

### ب

ابن بختيشوع : ( جبريل ... )

بذل ( جارية ) : ٦٤

البرامكة : ٤٥

البرجان : ٩٧

ابن بروخ : ٤٨ و ٤٩

بزرجهر : ١٤٦

بشر المريسي : ٦٤

بطرس : ٩٦ و ٩٨

### ١

أم آسية ( قابلة أولاد بخارويه ) : ١٢٧ - ١٤٧

إبراهيم الامام : ٩٦

إبراهيم بن الأعجمي المهندس : ١٢٩

إبراهيم بن المهدي : ١٥ و ١٦ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٧

١٢٨ و ١٢٦

ابن الأبرد : ١٠٢

أحد بن أسباط : ١٣

أحد بن أمين : ٥٨ و ٦١ و ١١٠ و ١١٤

أحد بن بسطام : ( أحد بن محمد بن بسطام )

أحد بن خالد الأحول : ٤٦

أحد بن خالد الصربني : ٦٥

أحد بن دعيم : ٧

أحد بن سقلاب : ٥٢

أحد بن سهل بن شذيف : ١٣٤

أحد بن صالح : ٥٢

أحد بن طغان : ٤٥

أحد بن طولون : ٩٧ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١٨١ و ١٩١ و ٢٨

٢٩ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٦ - ٥٨

٧٤ و ٧٥ و ٨٥ - ٩٠ و ١٢٠

أحد بن علي ( أبو الطيب ) : ٣١

أحد بن أبي عمران الفقيه : ٦٤ و ١١٤

أحد بن كثير الفرغاني : ١٣٠

أحد بن محمد : ( ابن أبي عصمة )

أحد بن محمد بن بسطام ( أبو العباس ) :

١١٦ و ١٣٤ - ١٣٦

أحد بن محمد بن مدبر : ٨٥ - ٩١ و ١٢٦ و ١٢٨

أحد بن مدبر ( أحد بن محمد ... )

أحد بن موسى بن شاذكر المنجم : ١٢٩

١٣٠ و ١٣٢

أحد بن وصيف : ٥٢

أحد بن وليد : ١٦ و ١٨

الحيزان أم الرشيد : ٩٦١٩٥

د

داود بن محمد بن أبي الساج : ٩٢

الدغاني : ١٠٤

دميانة : ٢٦١٢٥

الديدان ( علي المتطب ) : ٤٨

ديوانيان خالد القسري : ٣

ر

الريبع بن يونس الحاجب : ٦٦

ريعة بن أحمد بن طولون : ١٢٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٥٦

الرشيد : ١٠١٦ و ١١٧٤ و ١١٧٩ و ١١٦٦ و ١٢٤٤ و ١٤٥١

الروم : ١٣٢ و ٨٥

ز

زيدة : ١٤٥

الزبير بن بكار : ٨١

ابن الزوق : ١٨

زينب بنت سليمان بن علي الهاشمية : ٩٦ و ٩٥

س

ابن أبي الساج : ( محمد ... )

أبو السرايا : ٩٧

سعد الفرغاني : ٨٩

سعيد بن عبد الله بن الحكم : ١٠٣

سليمان بن ثابت : ٧٤

السندی بن شاهك : ١٣٠

سند بن علي : ١٣٠ و ١٣١ و ١٤٠

سمل بن شيف : ١٣٥ و ١٣٤ و ٩٠

سوار ( أبو عبد الرحمن العمري ) : ٧

سوار بن أبي شراة ( أبو الفياض ) : ٥١

سيف بن ذى يزن : ٩٩ - ١٠١

ش

شجاع بن أسلم الحاسب : ١٢٨ و ١٣٠ و ١٤٠

شعبة : ١٨

ت

الترك : ٢٧

ث

ثابت : ( أبو الجيش )

ثعلب : ١٧ و ١٦

ابن التاجي : ٦٤

ج

جبريل بن بختيشوع : ١٤٥ و ١٤٤

ابن الجصاص : ٥٢

جعفر بن أبي جعفر المنصور : ١١٩

جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي : ٦٨

أبو الجيش ( بخارويه )

أبو الجيش ثابت : ١١٧ و ١١٦

جيش بن بخارويه : ١٢٠ و ١٢١

ح

الحبشة : ١٠١

أبو حبيب المقرئ : ٣٨

ابن حبيش : ١٣٥

حرقة بنت النعمان بن المنذر : ٨٠

الحسن بن مخلد : ٨٩

الحسن بن مسلم الأفريقي : ١٣٢ و ١٣٤

حسن بن مهاجر : ٥٨ و ٥٧

الحسين بن أحمد الماسزاني : ١٣٤

الحسين بن شعرة : ٨٧ و ٨٦

خ

خالد الأموي : ٣

خالد بن سم : ٨٤

خالد بن عبد الله القسري : ٤ و ٣

الخليج ( أبو طالب ) : ١٠

ابن الخليج : ١٣٥ و ١٣٤ و ٢١

بخارويه بن أحمد بن طولون : ٩١ و ٩٢

١٠٢ و ١٠١ و ١٠٠ و ١٢٧ و ١٢٠ - ١٤٠

الخوارج : ٧٧

على بن الحسين القاضى ( ابو عبيد ) : ٧٦

على بن سند : ١١٦

ابن عمر الأخبارى : ١٠٩

عمر بن فرج الرخعى : ٣٦

عمر بن يزيد البرقى : ٧٧

عمرو بن العاص : ١٠٣

عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٦ و ١٤٥

عمرو بن محمد بن عمرو بن عثمان الكاتب : ١٤٥

العمري : ( أبو عبد الرحمن ... )

عيسى بن على بن عبد الله بن عباس : ١٥

## ف

الفرس : ٩٩ و ٦٨

الفرغانى ( أبو محمد عبد الله ) راوى

الكتاب : ١

الفضل ( أبو يحيى ) : ١٢٤

الفضل بن الربيع : ١٤٦ و ١٤٥

الفضل بن سهل : ٤٨ و ٤٧ و ٤٥

الفضل بن يحيى بن برمك : ١٢٤

فهم : ٣٨ و ٣٧

أبو الفياض : ( سوار بن أبي شراة )

فيروز : ٦٨ - ٧٢

## ق

القاسم بن شعبة : ١٨ - ٢٠

القاسم بن عبيد الله بن وهب : ١١٦ و ١١٧

القبط : ١٠٣

ابن قرا : ١١٨

## ك

كسرى : ٩٩ و ٨٣

كسرى ( أبروز ) : ٧٨

الكندى : ١٣١ و ١٣٠

## م

المأمون : ٢٤ و ٢٥ و ٤٧ و ٩٧ و ١٤٠ و ١٤٢ و ١٤٤

ماجور : ٨٨ - ٩٠

ماتاه الله بن مرزوق : ٦٥

المبرد : ١٧ و ١٦

المتوكل : ٤٢ و ٤٣ و ٧٢ و ١٣٠ - ١٣٢

شقيير الحادم : ٧٤

شيبان بن أحمد بن طولون : ١٢٠

الشير : ١٢

## ص

صاعد : ٣١ و ٣٣

## ط

الطائى : ٣٢ و ٣٣

طابو طالب ( الخليج )

طاهر بن الحسين : ٤٧

ابن طباطبا ( محمد بن إسماعيل ) : ٩٢

ابن طغان : ( أحمد ... )

## ع

بنو العباس : ٨٢

أبو العباس ( السفاح ) : ٨٢

العباس بن خالد البرمكى : ١١٠ و ١١٣

العباس بن سعيد الجوهرى : ١٤٢ و ١٤٣

أبو العباس الطرسوسى : ١٩ و ٨٧

عباس بن وليد : ١١٧

أبو عبد الرحمن العمري : ٧ و ٩ و ٧٥ و ٧٦

عبد العزيز بن خالد الأموى : ٣

عبد الله الفرغانى ( راوى الكتاب ) : ١

عبد الله بن القاسم التنوى : ١١٥

عبد الله بن المقفع : ٦٨ و ٩٩

عبيد الله بن وهب : ١١٦

أبو عبيد الله ( كاتب المهدي ) : ١١٥

العجم : ٨٣

عدى بن زيد : ٧٨ و ٧٩

ابن عدى بن زيد : ٧٩ و ٨٠

العرب : ٩٩

ابن أبي عصمة ( أحمد بن محمد ) : ٤٠

عقبة : ١١٤

العقيقى : ٥٦

غلان بن المغيرة : ٥٣ و ٥٥

أبو على : ١٣٦

على المتطبب : ( الديدان )

منصور بن إسماعيل الفقيه : ١٢١  
المهدى : ١١٩١١٥٦٢٦١  
موسى بن طونيق : ١٠٥  
موسى بن مصلح : ( أبو مصلح )  
الموفق : ٣٣٣٣١  
ميخائيل البطريق : ٩٧-٩٩  
ميمونة ( مولاة أم محمد بنت الرشيد ) : ١٣٧



ناشى : ٥٩  
ناقع بن مصقلة : ٨٢  
نجاح بن سلعة : ٣٤٥٣٣  
نسيم ( خادم ابن طولون ) : ٧٥٧٧٤  
نصر بن القاسم : ١٠٢  
نعت ( مولاة ابن طولون ) : ٨٨  
نديم بن المنذر : ٨٠٧٩  
نقفور ( ملك الروم ) : ٩٧

## ه

المادى : ٦١ - ١١٥٦٣  
هارون بن خنارويه : ١٢١  
هارون بن ملول : ٥ - ٧ - ٢٠٣٠٤٤٤٥١٠١  
هاشم : ٩٥  
هرثمة بن أعين : ٦٢٦١  
هشام بن عبد الملك : ٩٥٦٦١٥٦٦  
الهياطة : ٦٨ - ٧١  
الهيثم بن ددى : ٧٨

## و

الوائق : ٧٣٧٢٢  
الواسطى ( أبو عبد الله ) : ١٤١٢٢  
واضح ( مولى المنصور ) : ١١٩٨٤٦٦٦  
أبو الوزير : ١٠١٨٨

## ى

ياسين بن زرارة : ٤٤٤٤٢  
بنت اليتيم ( امرأة خنارويه ) : ١٣٨

حارب بن سلعة ( كاتب خالد القسرى ) : ٣  
أم محمد : ٥١٥٥٠  
محمد بن أبا : ١٠٢  
محمد بن إسماعيل : ( ابن طباطبا )  
محمد بن جعفر بن المنصور : ٦٤  
محمد بنت الرشيد : ١٢٧٩٥  
محمد بن أبى الساج : ٩١  
محمد بن سليمان : ٥١٥٥٠  
محمد بن صالح النورى : ١١٧  
محمد بن عامر التيماني : ٩٤  
محمد بن عبد الله بن الحكم : ٢٨  
محمد بن عبد الملك الزيات : ٧٧٧٢  
محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ( أبو الخلفاء ) : ١٥  
محمد بن هرور بن عثمان الكاتب : ١٤٥  
محمد بن موسى بن شاكر المنجم : ١٣٢-١٢٩  
محمد بن هرثمة : ٧٢  
محمد بن دلال : ٩١٩٠  
محمد بن يزيد : ٣٦  
مروان بن محمد الجعدى ( آخر بنى أمية ) :  
٩٦٩٥٨٤  
المرزى : ١٢٧-١٢٨  
مرية زوج هشام بن عبد الملك : ٩٦٩٥  
مراحم بن خاقان أبو الفوارس : ١٢٧  
مساقر : ٣٧٣٦  
مسرور الكبير : ٦٢-١٤٥٦٤  
أبو مسلم الخراساني : ٨٥٨٤  
مسلم بن ثقبه : ١١٤  
مسلمة بن عبد الملك : ١٦-١٥  
مصقلة الحصى : ٨٢  
مصقلة بن حبيب : ١١٩  
أبو مصلح ( موسى بن مصلح ) : ٥٧٩٩  
مضر بن أحمد بن طولون : ١٢٠  
المعتصم : ١٣٦  
معروف الوراق : ١٤١  
معن بن زائدة : ١١٩٦١  
المتصر : ٤٣٤٢٢٦  
المنصور : ١١٩٩٥٨٤٦٦٦

أبو يعقوب بن واضح : ١٤٤١ و ١١٩ و ٨٣ و ٤٥	يحيى بن خالد بن برمك : ٤٨ و ٤٦ و ٤٥
أبو يوسف القاضي : ٦٢ - ١١٤ و ٦٤	يحيى بن الفضل : ١٢٤ و ٢٦ و ٣
يوسف بن إبراهيم ( والد المؤلف ) : ١٥	يحيى بن نجدة : ٢٦
٢٨ و ٢٩ و ٥٦ و ٥٧ و ٦٢ و ٩٥ و ٩٦ و ١٢٦	يزيد بن معاوية : ٨١
١٣٥ و ١٣٦	أبن يعقوب : ٩٤ و ٩٣
يوسف بن عمر : ٣	يعقوب : ( أبو يوسف القاضي )
	يعقوب بن إسحق بن عجم : ٣٣

# فهرس الأماكن

الرملة : ٩٠	
س	أ
سر من رأى : ١٢٧	الأيلة : ٥٨
سمسطا : ٣٧	الاسكندرية : ٢١
ش	أقريطش : ١٣٢
الشام : ٤٣ و٣٠	أمناس : ٣٧ و٣٦ و٢١
الشرقية : ١٠٤٠ -	ب
ص	بخارى : ٢٧
الصعيد الأوسط : ١١٧ و٧	البصرة : ٥٩ و٥٨
ظ	بنداد : ١١٥ و١١٤ و٩٠ و٥١ و٤٢ و٣٣ و١٧ و١٦
طرسوس : ٤٩	و١٢٨ (مدينة السلام)
طوس : ٤٧	البنسا : ٣٧
ع	بوصير الأشمونيين : ٨٥
العراق : ١٣٥ و٩٣ و٨٢ و٨٠ و٥١ و٣	ت
غ	تيس : ٣١ و٣٠
النور : ٨٦	ج
ف	الجعفرى (نهر) : ١٣٠
فارس : ٦٨	ح
الفسطاط : ١٠٣ و٩٥ و٤٣ و٤٢ و٣٠ و٢٤ و٢١	حديثة الموصل : ١٦
و١١٧ و١١٨	حران : ٩٥
ق	الحرّة : ٨١
قصر الجبيرة : ٢٣ و٢٢	حصن مسلة : ١٦
قصر وضاح : ١٧ و١٦	حصن : ٨٢
ك	خ
الكوفة : ١١٥ و١١٤	خراسان : ٤٧ و٢٦
م	د
الحرّة : ٣٧	دجلة : ١٣٢ و١٢١
	دمشق : ١٢٠ و٩٠ و٨١
	ر
	رصاعة مشام : ١٥



هـ	الحلة : ٣٠
	المدينة : ٨١
الهند : ١٢٢	مدينة السلام : ٣٢ و ١١٠ و ١١٢ و ١٣٠
و	( بناد )
واسط : ٧٧ و ٣١	مصر : ٥٠ و ١٧ و ١٨ و ٢٨ و ٢٩ و ٤٢ و ٥٠ و ٨٥
س	و ٨٨ و ٩٣ و ١٠٣ و ١٢٠ و ١٢٦ و ١٣٠ و ١٣٥
	المغرب : ٣ و ٥٥ و ٦١
العين : ٩٣	مكة : ٣٨ و ٣٩

## فهرس الكتاب

صفحة

ترجمة المؤلف ، الأستاذ محمود محمد شاكر

مقدمة المؤلف

رقم

### ١ - المكافاة على الحسن

- |    |  |
|----|--|
| ٣  | ١ - حديث خالد القسرى وديوانياته                |
| ٥  | ٢ - ماشاء الله بن مرزوق ومتضمن                 |
| ٧  | ٣ - أحمد بن دعيم وأعرابيان                     |
| ٩  | ٤ - موسى بن مصلح ومحبوس                        |
| ١١ | ٥ - إسماعيل بن أسباط والخنّاق                  |
|    | ٦ - مسلبة بن عبد الملك ومحمد بن علي جد الخلفاء |
| ١٥ | العباسيين                                      |
| ١٦ | ٧ - إسحاق بن نصير العبادى وورّاق               |
| ١٨ | ٨ - ابن الزق النّخاس والقاسم بن شعبة           |
| ٢٠ | ٩ - هارون بن ملول وإسحاق بن تميم               |
| ٢١ | ١٠ - المؤلف وأعراب من القيسية                  |
| ٢٤ | ١١ - المؤلف وعباسى من ولد المأمون              |
| ٢٦ | ١٢ - يحيى بن نجه وعمر بن فرج الرخجى            |

رقم	صفحة
١٣	— حديث يوسف بن إبراهيم والد المؤلف ومصطنعيه ٢٨
١٤	— المؤلف وبعض التجار ٢٩
١٥	— أحمد بن بسطام وصاعد ٣١
١٦	— نجاح بن مسلمة وإسحاق بن تميم ٣٣
١٧	— محمد بن يزيد ومسافر «أحد المتخصصين» ٣٦
١٨	— أبي حبيب المقرئ وراعى غنم ٣٨
١٩	— أحمد بن أبي عصمة الكاتب وأحمد بن طغان ٤٠
٢٠	— «نصرانى (من أرياف مصر) ومستتر ٤٢
٢١	— يحيى بن خالد البرمكى والفضل بن سهل ٤٥
٢٢	— «على المتطبب وبعض ولد أفلاطون ٤٨
٢٣	— «المؤلف وأبو على محمد بن سليمان ٥٠
٢٤	— المؤلف وسوار بن أبي شراعة الشاعر ٥١
٢٥	— «علان بن المغيرة وبعض الفقهاء ٥٢
٢٦	— «يوسف بن إبراهيم ورجل من أشرف الطالبين ٥٦
٢٧	— «موسى بن مصلح وجماعة من التجار ٥٧
٢٨	— «تاجر وزوجته ٥٨
٢٩	— «هرثمة بن أعين والرشيد ٦١
٣٠	— «أبي يوسف القاضى والرشيد ٦٢
٣١	— «أبي يوسف القاضى وبذل جارية الرشيد ٦٤
٣٢	— «المنصور ورجل من عمال هشام بن عبد الملك ٦٦
٦٦	بعض أقوال الفلاسفة فى حسن المكافأة
٦٧	خاتمة الباب الأول

رقم	صفحة
٣٣	٦٨
٣٤	٧٢
٣٥	٧٤
٣٦	٧٥
٣٧	٧٦
٣٨	٧٧
٣٩	٧٨
٤٠	٨١
٤١	٨٢
٤٢	٨٣
٤٣	٨٣
٤٤	٨٥
٤٥	٩٠
٤٦	٩١
٤٧	٩٣
٤٨	٩٥
٤٩	٩٦
٥٠	٩٩
٥١	١٠١

## ٢ - المكافأة على القبيح

رقم	صفحة
٥٢ -	حديث ابن الأبرد وكاتبه
٥٣ -	عمرو بن العاص ورعية من القبط
٥٤ -	الدفاني والحناق
١٠٥	خاتمة الباب الثاني

### ٣ - حسن العقبي

٥٥ -	حديث ابني عمر الأخباري و غلام يتشطر
٥٦ -	رجل اختلت حاله وعباس بن خالد البرمكي
٥٧ -	أبي يوسف القاضي وابن القاسم الغنوي
٥٨ -	علي بن سند وأبي الجيش ثابت
٥٩ -	محمد بن صالح الغوري ولص
٦٠ -	مصقلة بن حبيب ومعن بن زائدة
٦١ -	جيش بن خمارويه وأعمامه
٦٢ -	رجل من تجار مصر وأحد ملوك الهند
٦٣ -	الفضل بن يحيى البرمكي وشامي
٦٤ -	يوسف بن إبراهيم وأحمد بن المدبر
٦٥ -	إبراهيم بن العجمي وابني موسى بن شاكر
٦٦ -	محمد وأحمد ابني موسى بن شاكر وسند بن علي
٦٧ -	المرابطين بأقريطش وجيش من الروم
٦٨ -	سهل بن شنيف وأحمد بن بسطام
٦٩ -	المؤلف وأحمد بن بسطام
٧٠ -	قابلة أرلاد خمارويه وأختها

رقم	صفحة
٧١ -	حديث سند بن علي وابن سعيد الجوهري
٧٢ -	د جبريل بن بختيشوع والرشيدي
٧٣ -	د عمرو بن عثمان الكاتب والرشيدي
١٤٦	بعض أقوال الفلاسفة في حسن العقبي
١٤٧	خاتمة الباب الثالث
١٤٩	فهرس الأعلام
١٥٤	فهرس الأماكن

